الدكتور عمر سليمان الأشقر

عالم السحر والشعوذة



دار النفائس
للنشر والتوزيع - الأردن

الطبعة الثالثة
١٤١٨هـ - ١٩٩٧م

دار النفائس
للنشر والتوزيع

العبدلي - مقابل عمارة جوهرة القدس
ص.ب : ٢١١٥١١ عمان ١١١٢١ الأردن
هاتف : ٤٠ ٣٩ ٦٩ ـ فاكس : ٤١ ٣٩ ٦٩

عالم السحر والشعوذة

تأليف

الدكتور عمر سليمان الأشقر

دار النفائس
للنشر والتوزيع - الاردن

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ
وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ
يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ
وَزَوْجِهِۦ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ
وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ
بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾

سورة البقرة: ١٠٢

المقدمة

الحمد لله الذي أنار بنور كتابه دياجير الظلم، ونوّر بأنوار هدايته قلوب العرب والعجم، وأحاط علمه بالكائنات، فلا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السموات، وأصلي وأسلم على من أرسله ربُّه هاديا، وإلى الصراط المستقيم داعيا، وإلى الحق مناديا، فأسمع الله به آذانا صمّا، وبصّر به عيونا عميا، وفتح به قلوب غلفا، فاستقامت به البشرية بعد اعوجاجها، ورشدت بعد ضلالها، واستنارت بصائرها بعد إظلامها.

فصلوات الله وسلامه عليه، فهو طبُّ القلوب ودواؤها، ونور العيون وضياؤها، وهو الرسول المجتبى، والخليل المصطفى، صاحب المقام المحمود، والشفاعة العظمى، وأصلي وأسلم على صحبه الأخيار وآله الأبرار وعلى من سلك سبيلهم واتبع طريقهم بإحسان وبعد:

فإنّ السحر عالم عجيب، تختلط فيه الحقيقة بالخرافة، والعلم بالشعوذة، كما تختلط فيه الدوافع والبواعث، والغايات والأهداف.

وهو عالم ظاهره جميل خلاب، يفتن قلوب البسطاء ويخدع السذّج والرعاع، وباطنه قذر عفن، يتجافى عنه أولو الألباب، وينأى عنه أصحاب الفطر السليمة والقلوب المستنيرة.

وتاريخ السحر تاريخ أسود قاتم، وهو خدعة شيطانية، يضلُّ بها شياطين الإنس والجن عباد الله، فيوقعونهم به في أعظم جريمة، جريمة الكفر والشرك والضلال.

لقد عَبَّد الشيطان السحر والسحرة وأتباعهم للشمس والقمر، والنجوم والأصنام والأوثان، بل ترقى به الحال إلى أن عبدهم لنفسه الخبيثة.

لقد كان السحر ولا يزال منزلقا لم يجن البشر من ورائه إلا ثمرات مرة، سترها الشيطان وأتباعه بغلالة رقيقة من خدع لا تروج إلا على الطغام من البشر.

وكان المؤمل أن يكتشف البشر ـ في هذا العصر ـ ضلال السحر والسحرة، فينبذوا دجلهم وباطلهم، فالبشر بلغوا في هذا العصر مكانة متقدمة في العلم. ولكن أنَّى للعلم المادي أن يكتشف حقيقة الدجلة والدجالين!!

لقد أصبح التوجه إلى السحر والسحرة في هذا العصر منذرا بالخطر، وتفاقمت خطورة السحرة اليوم.

لقد أذاقت الحياة المادية الجافة البشرية البلاء العظيم، لقد قست القلوب، وجفت ينابيع الخير في أرواح أكثر الناس في هذا العصر، فكانت العقد والمشكلات النفسية التي أصبحت سمة هذا العصر، وأخذ كثير من الذين فقدوا راحة القلب وطمأنينة النفس يلجؤون إلى السحرة والمشعوذين يبحثون عندهم عن حلٍّ لمشكلات استعصت على علماء النفس، وأساتذة علم الاجتماع والفلسفة، فكانوا كالمستجير من الرمضاء بالنار.

وكنت منذ مدة ألفت كتابا عن الجنّ والشياطين، وقُدِّر لهذا الكتاب أن ينتفع به كثير من القراء، وقد بينت فيه مخططات الشيطان التي يكيد بها الإنسان، وكان السحر واحدا من تلك المخططات التي تحدثت عنها، ولكنها كانت كتابة مجملة لأنها جزئية في موضوع، وليست موضوعا مستقلا بذاته.

واتصل بي كثيرون بعد انتشار الكتاب يحدثونني عن أمور عجيبة وغريبة تقع لهم، وكان واحدا مما تعاقب الحديث عنه السحر، وسمعت وقائع كثيرة أصحابها أحياء يعانون منها معاناة مؤلمة موجعة.

ثمّ إنّ الصحافة في الكويت طرقت موضوع الجن والشياطين والسحر والسحرة وكتب في ذلك الغث والسمين، وقيل في هذا الموضوع الحقُّ والباطل، فرأيت أنّ موضوع السحر يحتاج إلى أن يفرد بمصنف خاص به. وقد قضيت مدة طويلة في الدراسة والبحث والتنقيب في هذا الموضوع وكان هذا الكتاب ثمرة هذه الدراسة.

وقد انتظمت هذه الدراسة بعد المقدمة في أربعة عشر فصلا وخاتمة.

الفصل الأول مخصص للحديث عن تاريخ السحر، وقد استعرضت تاريخه منذ عهد الكلدانيين سكان بابل، مارا بسحر أهل فارس وأهل مصر والهنود والإغريقيين واليهود والنصارى، والعرب ثم المسلمين، وأهل أوروبا، وانتهى بي المطاف إلى السحر في هذا العصر.

وعرّفت في الفصل الثاني السحر في اللغة والاصطلاح، وفرّقت في هذا الفصل بينه وبين المعجزة والحسد.

وبينت في الفصل الثالث بواعث السِّحر ودوافعه ونتائجه وآثاره.

والفصل الرابع مخصص للحديث عن حقيقة السحر، وذكر اختلاف العلماء في هذه المسألة ومذاهبهم وأدلتهم والراجح منها.

والفصل الخامس يعتبر كالتتمة للفصل الرابع، فهو يتحدث عن طرائق السحر، سواءً أكان حقيقيا أو تخييليلا أو مجازيا.

والفصل السادس بيان للمدى الذي يمكن للساحر أن يبلغه بسحره، وتوضيح للصلة الخبيثة التي تربط بين الساحر والشيطان.

وخصصت الفصل السابع للحديث عن الطريقة التي يصبح بها الإنسان ساحرا، والشروط التي يجب أن تتوافر في الساحر كي يعينه الشيطان على تحقيق مراده.

والفصل الثامن يتحدث عن سحر الرسول ﷺ. وقد أوردت في هذا الفصل النصوص الدالة على صحة هذه الواقعة، كما أوردت اعتراضات من كذّب بها وردَّها وأدلتهم، ووجه الردِّ عليهم.

والفصل التاسع مخصص للحديث عن طرق الوقاية من السحر وعلاجه. وقد بينت في هذا الفصل طرائق الأمم في ذلك وأغلبها طرق شركية كفرية، ثم بينت منهج الإسلام في الوقاية من السحر وعلاجه، وأشرت لتلك الأدوية الإلهية الربانية التي جاء بها الإسلام وقاية وشفاءً.

وألقيت في الفصل العاشر الأضواء على حكم الإسلام في تعلُّم السحر وتعليمه والحكم في السحرة عند الأمم الأخرى وعند المسلمين.

والفصل الحادي عشر فصل موجز لبيان مدى قبول توبة الساحر.

والفصل الثاني عشر تفسير لآيات السحر من سورة البقرة.

والفصل الثالث عشر فصل كبير، فيه حديث طويل عن أدعياء الغيب من الكهان والعرافين والمنجمين والمتطيرين، وبيان ضلالهم وحكم الله فيهم.

والفصل الرابع عشر في المؤلفات في السحر.

أما الخاتمة فإنها تحوي خلاصة موجزة لما حوته هذه الدراسة.

أسأل الله تعالى أن أكون قد وفيت الموضوع حقَّه، وأسأله أن يغفر لي ما وقعت فيه من تقصير أو زلل، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

د. عمر سليمان الأشقر

الكويت. ٤ من ذي الحجة ١٤٠٩هـ
٦ من يوليو ١٩٨٩م

الفصل الأول

تاريخ السحر

تمهيد

ذهب الذين أرّخوا للسحر إلى أنَّ السحر بعيد الغور في تاريخ البشرية، واستدلُّوا على ذلك بما خلفه الإنسان من كتابات ورموز وتصاوير وأساطير، وُجدت في الخرائب والقبور، وهذا القول صحيح، وليس اعتمادنا على ما استدلوا به فحسب، فإنَّ أدلتهم يدخلها الشكُّ، ذلك أنَّ التاريخ الإنساني البعيد لم يدونه الإنسان، وهو الذي نسميه مرحلة ما قبل التاريخ.

والتاريخ المدَّون وهو الذي يعود إلى خمسة آلاف عام بداياته الأولى غامضة، وعلمنا عنها قليل، ولذا فإننا لا نستطيع الجزم بمثل ما جزموا به اعتمادًا على الأساطير والرموز والتصاوير التي وعاها البشر أو عرفوها.

والعمدة في صدق هذا القول قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾[1].

فالنصُّ القرآني بعمومه يدلُّ على أنَّ جميع الأمم واجهت رسلها بهذه المقالة الظالمة، وهي اتهامهم بالسحر أو الجنون، وهذا يعني أنَّ جميع الأمم عرفت السحر.

---

(١) سورة الذاريات: ١٠/٢٢٣.

وأول الرسل هو نوح عليه السلام، ولاشكَّ أنَّ قومه واجهوه بهذه المقالة استدلالا بالنص الكريم.

يقول ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى: «كان السحر موجودا في زمن نوح، إذ أخبرنا الله عن قوم نوح أنّهم زعموا أنّه ساحر، وقصة هاروت وماروت كانت من قبل نوح على ما ذكره ابن إسحاق وغيره»[1].

وابن حجر إن كان يعني أنَّ هناك نصّا قرآنيا صريحا في أنَّ قوم نوح اتهموه بكونه ساحراً فإنَّ هذا القول غير صحيح، إذ لم يرد نصٌّ في القرآن يصرح بهذا، وإن كان يريد الاستدلال بالنصّ العام الذي استدللنا به، فهذا حق وصواب.

وأمّا ما حكاه عن ابن إسحاق من أنَّ قصة هاروت وماروت كانت قبل نوح فهذا محتمل، ولم نجد دليلا من الكتاب والسنة يمكن أن يستدلَّ به على تحديد الزمان الذي وقعت فيه تلك القصة.

ولا أتفق مع الذين ذهبوا إلى أنَّ السحر ـ في التاريخ الإنساني ـ سابق على جميع الأديان والمعتقدات، ذلك أنَّ السحر انحراف عن النهج السويّ، وقد أعلمنا الحق ـ تبارك وتعالى ـ أنَّ الإنسان الأول كان موحدا مستقيما، يعبد الواحد الأحد، وحسبنا أن نعلم أنَّ أول إنسان خلقه الله ـ وهو آدم عليه السلام ـ كان نبيًّا عالما بالله تبارك وتعالى، ولا يجوز أن نلتفت بعد هذا البيان الإلهي إلى ما سطّره المؤرخون وعلماء الاجتماع عن جهل الإنسان الأول وضلاله، فالله أخبرنا بالحق، وليس بعد الحق إلا الضلال.

---

(١) فتح الباري: ١٠/٢٢٣.

المبحث الأول

سحر أهل بابل

من الأمم القديمة التي مارست السحر وضلّت به أهل (بابل). قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ﴾[1].

وبابل التي يشير إليها النصّ الكريم كانت مدينة بالعراق على ضفتي الفرات، ولا تزال آثارها قائمة إلى اليوم، وكانت أعظم مدائن العالم في وقتها، وكانت واسعة الأرجاء، كثيرة العلوم والفنون، ومن هذه العلوم والفنون علم السحر والفلك، وقد وصفها (هيرودتس) شيخ المؤرخين في عصره وصفا بديعا، يدلّ على عظمها ورقيها، وكان أهل بابل هم الكلدانيين من النبط والسريانيين[2].

وقد اشتهر انتشار السحر عند أهل بابل واستفاض العلم به مع نص القرآن عليه، يقول ابن خلدون: «وأما وجود السحر في أهل بابل، وهم الكلدانيون من النبط، والسُّريانيون فكثير، ونطق به القرآن، وجاءت به الأخبار، وكان للسحر في بابل ومصر أزمان بعثة موسى عليه السلام أسواق نافقة»[3].

وتحدث صاحب دائرة معارف القرن العشرين عن نبوغ أهل بابل في السحر فقال: «يعتبر أهل بابل وهم الكلدانيون من النبط والسُّريانيون أنبغ الأمم

(١) سورة البقرة: ١٠٢.

(٢) أطال الحديث عنها ياقوت في معجم البدان: ١/٣٠٩.

(٣) المقدمة لابن خلدون: ص ٩٢٧.

في السحر والنجامة، فكانت صناعة مناجاة الأرواح واستخراجهم من الأجساد من الصنائع التي لها المقام الأول لديهم»[1].

ويذكر أبو بكر الرازي المعروف بالجصّاص: «أنَّ أهل بابل كانوا صابئين يعبدون الكواكب السبعة، ويسمونها آلهة، ويعتقدون أنَّ حوادث العالم كلها من أفعالها، وهم معطلة لا يعترفون بالصانع الواحد المبدع للكواكب وجميع أجرام العالم، وهم الذين بعث الله تعالى إليهم إبراهيم خليله صلوات الله عليه؛ فدعاهم إلى الله تعالى، وحاجَّهم بالحجاج الذي بهرهم به، وأقام عليهم به الحجة من حيث لم يمكنهم دفعه، ثمَّ ألقوه في النار، فجعلها الله تعالى بردا وسلاما، ثمَّ أمره الله تعالى بالهجرة إلى الشام».

ويذكر الجصّاص أيضا: «أنَّ أهل بابل كانوا يعبدون أوثانا قد عملوها على أسماء الكواكب السبعة، وجعلوا لكل واحد منها هيكلا فيه صنمه، ويتقربون إليه بضروب من الأفعال على حسب اعتقاداتهم من موافقة ذلك للكوكب الذي يطلبون منه بزعمهم فعل خير أو شرّ، فمن أراد شيئا من الخير والصلاح بزعمه يتقرب إليه بما يوافق المشتري من الدخن والرقى والعقد والنفث عليها، ومن طلب شيئا من الشرّ والحرب والموت والبوار لغيره تقرب بزعمه إلى زحل. بما يوافقه من ذلك، ومن أراد البرق والحرق والطاعون تقرب بزعمه إلى المريخ بما يوافقه من ذلك من ذبح بعض الحيوانات».

ويذكر الجصّاص أيضا: «أنَّ جميع تلك الرقى بالنبطية تشتمل على تعظيم تلك الكواكب إلى ما يريدون من خير أو شرّ ومحبة وبغض، فيعطيهم ما شاؤوا من ذلك، فيزعمون أنهم عند ذلك يفعلون ما شاؤوا في غيرهم من غير مماسّة ولا ملامسة سوى ما قدموه من القربات للكوكب الذي طلبوا منه.

(١) دائرة معارف القرن العشرين: ٥/٦٥.

ومن العامة من يزعم أنه يقلب الإنسان حمارا أو كلبا، ثمَّ إذا شاء أعاده، ويركب البيضة والمكنسة والخابية، ويطير في الهواء، فيمضي من العراق إلى الهند، وإلى ما شاء من البلدان، ثمَّ يرجع من ليلته.

وكانت عوامهم تعتقد ذلك، لأنهم كانوا يعبدون الكواكب، وكلُّ ما دعا إلى تعظيمها اعتقدوه، وكانت السحرة تحتال في خلال ذلك بحيل تموِّه بها على العامة إلى اعتقاد صحته بأن يزعم أنَّ ذلك لا ينفذ ولا ينتفع به أحد، ولا يبلغ ما يريد إلا من اعتقد صحة قولهم وتصديقهم فيما يقولون[1].

وكان لكهنة الكلدانيين وسحرتهم اعتقادات كفريَّة شركيَّة في تأثير الكواكب والنجوم على حياة البشر، وينسبون إليها أموراً كثيرة، منها أنَّ ظهور كوكب المشتري في الليالي القمرية يبشر النساء الحاملات بالمواليد الذكور، وظهور عطارد دليل على زيادة المعاملات التجارية وتحسين الأحوال الاقتصادية للبلاد وعلو كعب العلم والأدب والمشتغلين به، وظهور كوكب زحل يدلُّ على الخلافات العائلية، وتفشِّي الإجرام بالطرق السريَّة.

أما ظهور المريخ فمعناه عزل الملوك أو وفاتهم، وتفشِّي المجاعات والأمراض أو اندلاع الحروب، وظهور الزهرة يدلُّ على رواج سوق الزواج خصوصا للعانسات.

وكان السحرة الكلدانيون يعوِّلون في أعمالهم السحريّة على حركات هذه الكواكب وأوقاتها وتقابلها وابتعادها وكلِّ ما يتصل بها، وذلك لاعتقادهم الراسخ بتأثيرها على حياة الآدميين[2].

---

(١) انظر هذه النقول في أحكام القرآن لأبي بكر الرازي: ١/٤٤ - ٤٥. وإذاشئت معرفة المزيد عن الصابئة فارجع إلى الملل والنحل للشهرستاني: ٢/٥، ٤٩.
(٢) السحر لمحمد محمد جعفر: ص ١٣.

وكلٌّ هذا من الكفر والضلال الذي أضل به شياطين الإنس والجن العباد.

وقد اكتشف الباحثون في آثار الأمم الغابرة كثيرا من الآثار التي خلفتها مدينة بابل «وتدلُّ الكتابات والنقوش التي خلفها البابليون والآشوريون، وكذلك اللوحات المكتوبة بخط المسار على أنَّ فنون السحر كان لها النصيب الأكبر من هذه الكتابات والنقوش».

واستدلوا بتلك الآثار على أنَّ الخوف من الجن والشياطين كان الظاهرة الأساسية في ديانة البابليين والآشوريين، وأنَّ الحياة اليومية عند هذه الأقوام كانت متأثرة بالسحر.

وكانت مدينة (أور) القديمة ـ إحدى المراكز القديمة للثقافة السومرية ـ موطنا كبيرا لفنون السحر، وكانت المؤلفات السومرية القديمة تعجُّ بالموضوعات السحرية كالترانيم والرقى والتعاويذ.

وقد حفظ لنا (آشور بانيبال) ملك آشور من عام (٦٦٨ إلى ٦٢٦ قبل الميلاد) في مكتبته كثيرا من النصوص الدينية والسحرية، وقد جمع هذه النصوص من المعابد المختلفة التي كانت منتشرة في المدن القديمة، وكان أغلبها مكتوبا باللغة السومرية(١).

وقد قسَّم الباحثون في مؤلفات البابليين ونصوصهم السحرية تلك المؤلفات والنصوص إلى ثلاثة مجاميع رئيسة:

الأولى: النصوص التنجيمية، وفيها تذكر الكواكب على أنها آلهة تؤثر في حياة الناس وفي أفعالهم ومصائرهم.

---

(١) فنون السحر، لأحمد الشنتناوي ص ١٠.

الثانية: اللوحات الخاصة ببعض الوسائل المستعملة في الكهانة والتنبؤ بالغيب.

أما المجموعة الثالثة فهي الرقى والتعاويذ التي كانت تستخدم لدرء شرور السحر الأسود وطرح الأرواح الخبيثة التي تحلّ بالأبدان، فتسبب لأصحابها الأضرار والأمراض، إذ كان الاعتقاد أنَّ السبب في المرض يرجع بوجه عام إلى الشياطين والأرواح الخبيثة، ولإبراء الشخص من مرضه يجب طرد هذه الأرواح من البدن[1].

وقد كان أهل بابل يعتقدون أنَّ الأرواح الخبيثة مسؤولة عن الكوارث التي تحلُّ بالعالم من وقت لآخر كالزلازل والبراكين والعواصف والفيضانات المغرقة، ومن ثَمَّ كان من الضروري استخدام التعاويذ لمنع عبث هذه الأرواح بالنظام العام الذي يسير العالم على مقتضاه، وقد رتبت هذه التعاويذ في لوحات مختلفة لكلٍّ نوع منها أثره الخاص في ناحية من هذه النواحي.

وكان الكلدانيون يستعملون دماء الطيور بعد ذبحها في أعمالهم السحرية، ولذا كانوا يُعْنون بأمرها، ويطعمونها طعاما خاصا ولا يأكلونها أبداً[2].

أرأيت كيف أوقع السحر هؤلاء الأقوام في الضلال الكبير والشرِّ المستطير.

ومن طريف ما يروى في السحر بدماء الطيور ما حدث عندما تقابل جيش ملكهم (فلامنيوس) مع جيوش القرطاجيين بزعامة القائد (هانيبال) أن أمر (فلامنيوس) هذا رئيس السحرة بذبح أحد الطيور، وعمل السحر اللازم الذي يضمن له هزيمة أعدائه.

---

(١) فنون السحر. لأحمد الشنتناوي ص١٢.
(٢) فنون السحر: ص ١٣.

ولما عمد الساحر إلى الطائر المقصود، وقدّم له الطعام قبل ذبحه ليجري عليه سحره أبى الطائر الطعام، فعدَّ الساحر هذا دليلا على هزيمة قائده، وعاد إليه يحذره من مغبة الهجوم في هذا اليوم على أعدائه، ولكنَّ القائد (فلامنيوس) قهقه من كلام الساحر، وسأله: وما العمل إذا رفض الطائر الطعام اليوم وغدا وبعد غد، ولمدة طويلة؟ فأجاب الساحر: إنه يجب على الملك الانتظار.

ولكنَّ القائد هزأ من نصيحة ساحره، وأمره بذبح الطائر فوراً، وعمل السحر حالا، فرفض الساحر، وكان جزاؤه القتل فورا.

وأمر (فلامنيوس) جيوشه بالهجوم على القرطاجيين، ودارت الموقعة حول بحيرة (تراسمين)، وقتل فيها (فلامنيوس) وخمسة عشر من رجاله[١].

أرأيت أسخف من هذه العقول التي تؤمن بأن الطيور تعلم الغيب وتبني أحكامها على مثل هذه الترهات والسخافات؟!!

ويذكر الجصّاص أنَّ ضلالة عبادة الكواكب السبعة لم تكن وقفا على أهل بابل، بل كانت شائعة في إقليم العراق والشام ومصر والروم إلى أيام (بيوراسب) الذي تسميه العرب الضحاك، وأن (أفريدون) وكان من أهل (دنباوند) استجاش عليه بلاده، وكاتب سائر من يطيعه، وله قصص طويلة حتى أزال ملكه[٢].

ويذكر ابن كثير أنَّ الذين عمروا مدينة دمشق كانوا على هذا المذهب، وكانوا يستقبلون القطب الشمالي، ويعبدون الكواكب السبعة بأنواع من الأفعال والمقال، وأنه كان على كلِّ باب من أبواب دمشق السبعة القديمة هيكل لكوكب منها ويعملون لها أعيادا وقرابين[٣].

وكلُّ هذا من الضلال العظيم الذي ضلَّ به العباد.

---

(١) السحر لمحمد محمد جعفر: ص ١٢.
(٢) أحكام القرآن للجصّاص: ١/٤٤.
(٣) البداية والنهاية: ١/١٤٠.

المبحث الثاني

السحر عند أهل فارس

يذكر الجصاص أنَّ الفرس كانوا في بداية أمرهم على التوحيد، فلما استولى بعض ملوكهم على مدينة بابل أخذوا يتدينون بقتل السحرة، ولم يزل هذا دينهم حتى حدثت فيهم المجوسية(١).

ويذكر المؤرخون أنَّ رستم قائد الفرس الكبير كان حزّاءً ينظر في النجوم وقد اعتمد على النجوم في حكمه بظهور المسلمين وغلبتهم، وكان هذا أحد الأسباب التي دعته إلى تأخير ملاقاة المسلمين في معركة القادسية مدة طويلة نافت على أربعة أشهر(٢).

ويذكر لنا المؤرخون أنَّ راية كسرى المسماه (زركش كاويان) كان منقوشا عليها بالذهب بمعرفة السحرة ووفقا لتعليماتهم الوفق المثيني العددي(٣) في أوضاع فلكية خاصة، والغرض منها ضمان استمرار نصرة الفرس في جميع المواقع الحربية التي يشنونها على جيرانهم وأعدائهم.

---

(١) أحكام القرآن للجصّاص: ١/٤٤.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير: ٣٨/٧.

(٣) الوفق المثيني العددي عبارة عن مربع مقسم إلى مائة خانة، يحوي كلُّ ضلع من أضلاعها عشرة خانات. ويزعمون أنه إذا أمكن كتابة الأعداد من (١) إلى (١٠٠) في هذا المربع بأي ترتيب كان بحيث يكون أعداد كل ضلع من العشرة أضلاع الأفقية والرأسية منه تساوي تماما مجموع الأعداد المكون منها قطراه، بحيث لا يتكرر أي عدد مرتين. ونقش ذلك في لوح من الذهب عند دخول الشمس في برج الحوت أو القوس فإنَّ حامل هذا اللوح يحقق معظم ما يتمناه.

وقد وجدت هذه الراية ممزقة في الموقعة التي قتل فيها رستم وانهزم فيها الفرس وتشتت فيها شملهم، وهي المعركة المعروفة بمعركة القادسية، وكان الفرس يعتقدون أنَّ الانتصارات التي حازوها عبر تاريخهم ترجع إلى تلك الراية، ولكن عندما جاء المسلمون يحملون دين الله في قلوبهم رافعين راية الحق بطل السحر واندقت راية الكفر، ولم يغن عن الفرس سحرهم شيئا[1].

---

(١) السحر. لمحمد محمد جعفر: ص ١١.

المبحث الثالث

السحر عند المصريين

ومن الأمم التي اشتهرت بالسحر في التاريخ القبط في مصر «وقد دلت المخطوطات المصرية القديمة التي وجدت على ورق البردى أنَّ السحر كان له في مصر الاعتبار الأعلى عند جميع الطوائف، حتى رتبت له رسوم وطقوس، وجعلت له وظائف يقوم بها رجال الدين».

وقد دلتنا تلك المخطوطات على أنَّهم كانوا يتلون العزائم الشركية - في بعض الأحيان - بقصد مفاجأة الآلهة، ليؤثِّروا الآثار المطلوبة لهم، وفي أحيان أخرى كانوا يخلطون الوصفات الطبية بالرقى والتعاويذ لدفع الأمراض.

وكان المصريون الأقدمون يُقَسِّمون الجسد الإنساني إلى أعضاء، معتقدين أنَّ كلا منها تحت تأثير إلـه من الآلهة، وكتبوا جدولا بالأيام السعيدة والنحسة على حسب كلِّ مشروع من المشروعات، فكانوا يقولون: لا يجوز ركوب النيل في التاسع عشر من شهر (هاتور) وكانوا يعتقدون أنَّ الطفل الذي يولد في (بابه) يحكم عليه بالقتل»[1].

«ومن أعظم ملوك مصر الذين حكموهم في آخر عصورهم الملك (نيكتانيبس) وكان ساحرا ضليعا، وامتد حكمه إلى عام ٣٥٨ قبل الميلاد[2].

---

(١) دائرة معارف القرن العشرين: ٥/ ٦٤. و(هاتور) و(بابه) من أسماء الشهور عندهم.

(٢) السحر لمحمد محمد جعفر: ص ١٥.

ويذكر القرافيُّ في (فروقه) أنَّ «القبط في أيام (دلوكا) ملكة مصر بعد فرعون وضعوا السحر في البرابي[1] وصَوَّروا فيه عساكر الدنيا، فأيُّ عسكر قصدهم وأيُّ شيء فعلوه تخيل ذلك الجيش أو رجاله من قلع الأعين أو ضرب الرقاب وقع في ذلك العسكر في موضعه، فتحاشتهم العساكر، فأقاموا ستمائة سنة والنساء هنَّ الملوك والأمراء بمصر بعد غرق فرعون وجيوشه[2].

وكان للسحرة المصريين معادلات جبرية، ومجاميع حسابية وفلكية ورموز وكلمات عويصة يستعملونها باستمرار كلَّما عمدوا إلى السحر، وكان الكاهن قبل قيامه بأعماله السحرية ينزوي في صومعته لمدة تسعة أيام يقوم خلالها بتنظيف مكانه وملبسه يوميا، ويتناول طعاما خاصًا، ويقوم برياضة دينية عميقة، حتى إذا ما انتهت الأيام التسعة المفروضة غسل فمه بالنترون، ورسم باللون الأخضر صورة ريشة صغيرة على لسانه، وهذه الرسمة ـ عندهم ـ تدلُّ على الصدق أو الحقّ. ثمَّ يرسم دائرة كبيرة بلون اليوم الذي سيبدأ فيه السحر، ويرسم حولها من الداخل والخارج العلامات والرموز السحرية، ثمَّ يبدأ عمله[3].

وكان السحرة يمارسون سحرهم عند تحضير الموتى للانتقال إلى العالم الآخر، فاجراءات التحنيط والدفن كانت متصلة ـ عند قدماء المصريين ـ اتصالا وثيقا بالسحر، فقد كانوا يتلون عند كلِّ عملية من عمليات التحنيط الرقى والتعاويذ والعبارات السحرية الخاصَّة التي لايمكن بدونها أن تتم عملية التحنيط كما يجب.

(١) الفروق للقرافي: ٤/١٤٠.

(٢) البرابي: هي بيوت حكمة القبط. ويقال: إنه كان لكل كورة من كُوَر مصر برباه يجلس فيها كاهن على كرسي من ذهب. (راجع كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري: ١/٣٩٤).

(٣) السحر لمحمد محمد جعفر: ص ١٩.

ونجد أكثر من ذلك أنّ نصوص الأهرام المكتوبة باللغة الهيروغليفية وهي أقدم صفحة من صفحات الفكر الإنساني عثر عليها الإنسان حتى اليوم، تحوي آثارا واضحة من السحر، بل إنّ بعض علماء الآثار عدّها مجرد مجموعة من التعاويذ والرموز السحرية.

وأكّد الباحثون في الآثار القديمة أنّ المناظر والرسوم المنقوشة على جدران قبور قدماء المصريين قد نقشت بقصد سحري، إذ كان القصد منها تحقق محتوياتها في الحياة الأخرى.

وفي عهد الامبرطورية المصرية القديمة كان كتاب الموتى المشهور عبارة عن مجموعة من الصور السحرية والتعاويذ والرقى يستخدمها الموتى عندما ينتقلون إلى الحياة الأخرى.

ولم تخل مظاهر الحياة اليومية عند قدماء المصريين من آثار السحر، حتى إن المصري في العهد القديم لم يكن يُحَضّر طعامه أو يتهيأ للنوم إلا بعد تلاوة بعض التعاويذ والصيغ السحرية الخاصة. وقد ازداد الالتجاء إلى السحر في عهد الدولتين الوسطى والحديثة أكثر مما كان عليه الحال في الدول القديمة، نستدلّ على ذلك من وفرة النقوش والكتابات السحرية التي تمّ الكشف عنها، ويرجع تاريخها إلى هاتين الدولتين.

وكانت مصر القديمة موطن الفنون والصناعات المختلفة ويستدلّ من تاريخ هذه الفنون والصناعات أنه لم تكن تتمّ أية عملية من العمليات الصناعية أو الكيماوية إلا بمصاحبة بعض الصيغ الدينية والعبارات السحريّة التي كانت تعتبر أساسية لنجاح هذه العمليات[1].

(١) فنون السحر: ص ٢٥.

لقد بلغ السحرة المصريون بسحرهم مبلغا عظيما، يدلنا على هذا أن الأمم الأخرى كاليونانيين والرومانيين وغيرهم من أهل العالم القديم كانوا يرون أن السحر المصري أرقى وأعمق من سحر البلاد الشرقية الأخرى، وكان سحرة البلاد الأخرى القريبة من مصر يسعون جهدهم لتقليد أعمال السحرة المصريين والتشبه بهم في كلِّ ما يصنعون[1].

ومن اطلع على مكانة السحر عند المصريين قديما علم مدى جناية السحر على البشر عبر التاريخ، ولايملك المسلم وهو يقرأ هذا الضلال إلّا أن يقول: الحمد لله على نعمة الإسلام.

المواجهة بين موسى والسحرة

أخبرنا ربنا في كتابه الكريم العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه عما جرى بين نبي الله موسى عليه السلام والسحرة الكبار على أرض مصر.

وكان الله أرسل موسى عليه السلام إلى فرعون وملئه داعيا إياهم إلى الإيمان بالله، وأرسل معه آيات بينات دالة على صدقه، وكان أعظم هذه الآيات العصا التي كانت تتحول إلى ثعبان عظيم إذا ألقاها موسى من يده، وعندما كذّب فرعون موسى، وطالبه بآية تدل على صدقه أراه الآية الكبرى ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾[2] فأراد فرعون وملؤه إبطال آية موسى بمعارضتها بأعمال السحرة الذين كانوا قد بلغوا في تلك الأيام مبلغا عظيما، فجمعوا له

---

(١) فنون السحر: ص ٢٩.

(٢) سورة الأعراف: ١٠٧.

السحرة من أنحاء دولته ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ ﴾(1) وحدَّد يوم العيد موعدا للمواجهة ﴿ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ ﴾(2).

وجُمع السحرة من أنحاء مصر، ورغبهم فرعون في الأجر والرفعة عنده، ليحفزهم على بذل أقصى ما عندهم في المواجهة في اليوم المشهود، وجمع الناس من مختلف الأقطار ﴿ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾(3).

ووعظ موسى السحرة قبل المبارزة، فتحاوروا فيما بينهم وعزموا على المضي قدما فيما أعدوا أنفسهم له ﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴾(4).

---

(1) سورة الأعراف: ١٠٩ ـ ١١٢.
(2) سورة طه: ٥٨ ـ ٦٠.
(3) سورة الشعراء: ٣٩ ـ ٤٣.
(4) سورة طه: ٦٢ ـ ٦٥.

وقد خير السحرةُ موسى قائلين: ﴿ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴾(١) فاختار موسى أن يكون السحرة هم البادئين ﴿ قَالَ أَلْقُواْ ﴾(١) ﴿ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ۝ قَالَ بَلْ أَلْقُواْ ﴾(٢) ﴿ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾(٣). ﴿ فَأَلْقَوْاْ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾(٤).

وكانت المفاجأة التي هزت موسى، وعقدت ألسنة الحاضرين، لقد سحروا أعين المشاهدين، حتى خيل إليهم أنَّ تلك الحبال والعصي الملقاة أفاعي تسعى على الأرض ﴿ قَالَ بَلْ أَلْقُواْ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴾(٥) ﴿ قَالَ أَلْقُواْ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾(٦) ﴿ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴾(٧) فنزل الوحي يثبته ويسدّده ويهون أمرهم ويبشره بالغلب والنصر ﴿ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ۝ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ۝ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴾(٧).

ألقى موسى مافي يمينه فجاءت على ما صنعوا فابتلعت تلك الحبال والعصي واحدة بعد الأخرى، وكان منظرا مهولا جعل السحرة يخرون ساجدين لربِّ

---

(١) سورة الأعراف: ١١٤ ـ ١١٥.
(٢) سورة طه: ٦٦ ـ ٦٧.
(٣) سورة يونس: ٨٢ ـ ٨٣.
(٤) سورة الشعراء: ٤٥.
(٥) سورة طه: ٦٧.
(٦) سورة الأعراف: ١١٦.
(٧) سورة طه: ٦٨ ـ ٧١.

العالمين، معلنين للجموع الكبيرة التي جاءت لشهود المبارزة أنَّ ما جاء به موسى آية إلهية ربانية ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانقَلَبُوا صَاغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢٢﴾﴾(1). وقال في موضع آخر: ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾﴾(2).

يقول ابن كثير: «لما ألقاها صارت حيّة عظيمة وشكلا هائلا مزعجا بحيث أنَّ الناس انحازوا منها، وهربوا سراعا، وتأخروا عن مكانها، وأقبلت هي على ما ألقوه من الحبال والعصي، فجعلتْ تلقفه واحدا واحدا في أسرع ما يكون من الحركة، والناس ينظرون إليها ويعجبون منها.

وأمّا السحرة فإنّهم رأوا ما هالهم وحيرهم في أمرهم، واطلعوا على أمر لم يكن في خلدهم ولا دار في بالهم، ولا يدخل تحت صناعتهم وأشغالهم، فعند ذلك وهنالك تحققوا بما عندهم من العلم أنَّ هذا ليس بسحر، ولا شعبذة، ولا محال، ولا خيال، ولا زور، ولا بهتان، ولا ضلال؛ بل حقٌّ لا يقدر عليه إلا الحق الذي ابتعث هذا المؤيد بالحقّ، وكشف الله عن قلوبهم غشاوة الغفلة، وأنارها بما خلق فيها من الهدى، وأزاح عنها القسوة، وأنابوا إلى ربهم، وخروا له ساجدين»(3).

---

(1) سورة الأعراف: ١١٧ ـ ١٢٢.
(2) سورة طه: ٧٠ ـ ٧١.
(3) البداية والنهاية: ١/٢٥٦.

المبحث الرابع
السحر عند أهل الهند

«وفي الهند كانت الديانة وعلوم السحر مختلط بعضها ببعض، ليس فقط بالنسبة للتحفظ من الشيطان المغري بالشهوات، بل للتسلط على الآلهة بالرياضات والتقشف والتضحية... الخ.

فلما جاءت الديانة البوذية التي هي إصلاح للبرهمية لم تحذف السحر بل أقرته، وهو لا يزال عظيم الاعتبار في التبت والصين»[1].

وحسبنا أنَّ نعلم أن أحد أسفار (الفيدا) الأربعة، وهو سفر (أترافا) مخصص لمعرفة الرقى والسحر.

و(الفيدا) هو الكتاب المقدس عند الهندوس، وقد تكامل هذا الكتاب عبر الأجيال، ولم يبق منه إلا أسفار أربعة. ومن ينظر في الحال التي عليها الهند اليوم فإنّه يرى في حاضرها صورة لماضيها الغابر، فالسحرة والكهان والعرافون ومروضو الثعابين يبلغ تعدادهم عدة ملايين.

وأما البراهمة الذين يزعمون أنَّ العالم نشأ من زعيمهم ومعبودهم (براهما)فإنّهم مع ازدرائهم للسحر والديانة التي ترتضيه وتقوم عليه لم يقاوموه ولم يستنكروه.

والهنود كانوا يعتقدون بأنَّ النجوم لها تأثير عظيم على البشر، وكان السحرة والعرافون يدَّعون معرفة الغيب، ويطلعون الناس على ما غاب عنهم مقابل أجر

(١) دائرة معارف القرن العشرين: ٥/٦٥.

زهيد، ويزعمون أنَّ باستطاعتهم مواجهة الشر المتمثل في الشياطين والثعابين.

كما كانوا يزعمون أنَّ بمقدورهم تسليط الشياطين على أعداء من يستعين بهم أو يدفع لهم مالا، كما أنَّ باستطاعتهم طرد أولئك الأعداء.

وكان سحرة الهند يزعمون فوق هذا كلِّه أنهم يستطيعون أن يجددوا الحيوية في الإنسان أو أن ينشئوا الحبَّ في أيِّ إنسان لإنسان آخر.

وإذا طالعنا الكتب الطبيّة الهندية القديمة رأينا هذا العلم قد اصتبغ بالسحر في كل مباحثه، سواء في بحث العلل والأمراض أو في التداوي والعلاج[1].

(١) راجع قصة الحضارة لـ(ول ديورانت): ٣/٣٨، ٢٦٧، ٢٢١، ٢٣٥، ٢٤٢.

المبحث الخامس
السحر في بلاد الإغريق

«وكان للسحر مكان واسع عند اليونانيين، وكانوا على نحو جميع الأمم في أمر الاعتقاد بالرقم والعزائم والطلاسم وتأثير الأرواح الشريرة إلى غير ذلك»[1].

«وكان الرأي عند بدء عصر النهضة والتنوير وقيام العلماء بدراسة التراث اليوناني والروماني القديم دراسة نقدية عميقة أنَّ أمة اليونان مبرأة من أعمال السحر إذا قورنت بغيرها من الأمم القديمة وأنَّ أمة قد أنجبت أمثال (أرسطو، وأفلاطون، واكسينيفون، وأوريبيدس) لا يمكن أن يستهويها فنٌّ كفنِّ السحر الذي لا يعدُّ من الفنون الجميلة.

على أنَّ هذا الرأي الذي يذهب إلى تبرئة اليونان القديمة من السحر والسحرة لم يقو على احتمال معاول النقد الحديث لفنون الإغريق وفلسفتهم. فإنه لا يصعب على الباحث أن يلمس آثار السحر في الديانة الإغريقية وفي التاريخ والأدب الإغريقي المليء بالرموز والكنايات السحرية. فالأساطير الإغريقية مليئة بالأفعال السحرية العجيبة التي تنقل الكائنات من حال إلى حال، وبأخبار السحرة والكائنات العجيبة التي تجمع بين خصائص الإنسان والحيوان.

(والإسبرطيون) الذين أعجب الفلاسفة بدستورهم ونظامهم التعليمي كانت حياتهم اليومية تتسم في الواقع بسمات الحياة اليومية البدائية التى تغلب عليها

---

(١) دائرة معارف القرن العشرين: ٥/٦٥.

الطقوس والشعائر التي تمتُّ إلى السحر بصلة كبيرة. كما أنَّ المؤرخ اليوناني المشهور (هيرودتس) ويكنى بأبي التاريخ كان يميل بصفة خاصة إلى تدوين القصص والروايات المتصلة بالتكهنات العجيبة والهواتف التي تخرج من باطن الأرض أو تنبعث من كبد السماء، فيفسرها السحرة كما يريدون ويحبون، فكان تاريخه المشهور مليء بمثل هذه القصص والأعاجيب كما أنَّ كتابات (اكسينيفون) مليئة بأخبار القرابين والكهانة والرؤى والأحلام وما تنبي عنه من خيرات أو شرور.

ولا يقف ذكر هذه الأعاجيب والتكهنات الغريبة عند الكتّاب الإغريق العاديين، بل إنَّ آخرين ممن عرفوا بالحكمة والفلسفة مثل (أفلاطون)، أو التعمق في الأدب مثل (أوربيدس) قد ذكروا الرقى والتعاويذ والأشربة التي تولد العشق والهيام وغير ذلك من الأعمال السحرية.

ونحن إذا أدخلنا في اعتبارنا كلَّ هذه الشواهد الثابتة في كتب التاريخ والأدب والفلسفة فلا يسعنا إلا القول بأنَّ الإغريق لم يكونوا أقلَّ انغماساً في السحر من غيرهم من الأمم القديمة وأنَّ السحر كان عنصراً هاماً من عناصر الحضارة الإغريقية.

والغريب أنَّ علم التنجيم وغيره من العلوم الغيبية لم يظهر في بلاد الإغريق في شكلها المتقدم إلا في العهد (الهلليني) الذي بلغت فيه الحضارة اليونانية أوجها. وتذهب الروايات إلى أنَّ شخصاً يدعى (أوثانسي) قد نقل فنون السحر في شكلها المتقدم إلى بلاد الإغريق، في عهد الحروب التي استعرت بين الفرس والإغريق ولم تكن هذه الفنون بدعة جديدة في نظر الإغريق، إنما كانت بمثابة صور أسمى وأكثر تقدماً من الصور السحرية الغليظة البدائية التي كانوا يمارسونها حتى ذلك الوقت.

ولم تكن الفلسفة اليونانية هي الأخرى مبرأة من السحر. فقد قال (زيللر Zeller) وهو أعمق وأدق من كتب في الفلسفة اليونانية إنَّ الفيلسوف (أمبيدوقليس) كان يعتقد في نفسه القدرة على السحر. نستدلُّ على ذلك من كتاباته ذاته، فقد ذكر أنَّ لديه القوة على مداواة الشيخوخة والمرض، وعلى إثارة العواصف أو تهدئتها، وعلى استنزال المطر أو حبسه، بل وعلى استدعاء الميت إلى الحياة ثانية.

وتحدَّث (أفلاطون) عن السحر في كتبه الفلسفية وخاصة في قوانينه، فهو يذكر أنَّ رجال الطب والأنبياء والعرافين هم وحدهم الذين يستطيعون فهم طبيعة السموم التي تعمل عملها بشكل طبيعي، وفهم أشياء أخرى مثل التعاويذ والعقد السحرية والتماثيل الشمعية.

ولما كان غيرهم من الناس ليست لديهم أية معرفة يقينية عن مثل هذه الأشياء فمن شأنهم أن لا يأبهوا لها وأن يحتقروها. وهو يعترف مع ذلك أنه ليس هناك من فائدة في إقناع أكثر الناس بحقيقة هذه الأشياء، وأنه من الضروري سنّ القوانين لمحاربة السحر والكهانة.

والظاهر أنَّ آراء (أفلاطون) عن الطبيعة مشبعة بعقائد مستمدَّة من مجوس المشرق أو على الأقل بعقائد أكثر صلة بالسحر منها بالعلم كما أنها متمشية مع علم التنجيم، وهو يسبغ على الأشياء المادية سمة إنسية ويخلط بين الخصائص الروحية والخصائص المادية.

ويحاول أفلاطون أيضاً أن يفسّر السحر تفسيراً طبيعيًّا أو عقليًّا، فهو مثلا يقول عن العِرَافة عن طريق الكبد: إنَّ الكبد هو بمثابة المرآة التي تنعكس عليها أفكار المرء وصورة النفس. وهو يتحدث عن الحب الموائم بين العناصر على أنه مصدر الصحة والخصب للنبات والحيوان والإنسان، وأنَّ الحب المتهور بينها هو

علة الطواعين والأمراض وأن دراسة وفهم هذين النوعين من الحب وصلتهما بدورات الأجرام السماوية وتغير فصول السنة هو ما يسمى بعلم الفلك أو علم التنجيم، وأساس قانونه سيطرة الكواكب على المخلوقات الدنيا[1].

(١) فنون السحر: ص ١٧ ـ ٢١ بتصرف قليل، وشيء من الاختصار.

المبحث السادس

السحر عند اليهود والنصارى

كلّ الشرائع التي أنزلها الحقّ تبارك وتعالى «أنكرت السحر وأمرت بمحاربة السحرة، ذلك أنّ السحر يضادُّ الحقّ الذي أنزله الله تبارك وتعالى، فالله يدعو الناس جميعا إلى الإيمان به، وعبادته وحده لا شريك له، والتوكل عليه والالتجاء إليه دون سواه، والسحر يعبد العباد لغير الله تبارك وتعالى، ويصرف قلوبهم ووجوههم إلى الشياطين والنجوم والشمس والقمر والبشر.

وقد أمرت التوراة بني إسرائيل بقتل السحرة، جاء في التوراة «لا تدع ساحرة تعيش»[1].

كما ذكرت لنا التوراة المواجهة التي قامت بين موسى والسحرة، وكيف انتصر موسى على السحرة، «طرح هارون عصاه أمام فرعون وأمام عبيده، فصارت ثعبانا، فدعا فرعون أيضا الحكماء والسحرة، ففعل عرّافو مصر أيضا بسحرهم كذلك، طرح كلُّ واحد عصاه فصارت العصي ثعابين، ولكنّ عصا هارون ابتلعت عصيهم»[2].

والدارس لتاريخ اليهود يعلم أنّ اليهود قد انحرف بهم المسار، فتعلّم كثير منهم السحر ومارسوه، ولم يكن هذا وقفا على العوام منهم، بل تعدّاه إلى علمائهم وأهل الرأي فيهم.

---

(١) سفر الخروج، الاصحاح الثاني والعشرون، فقرة: ١٨.

(٢) سفر الخروج، الاصحاح السابع، فقرة: ١٠ ـ ١٢. وينبغي أن يتنبه القارىء إلى التحريف الذي أصاب النص، فالعصا عصا موسى لا عصا هارون، والملقي هو موسى لا هارون، وهذا معلوم من القرآن الكريم.

فالتلمود يعتقد اعتقادا جازما بأنّ التنجيم علم يتحكّم في حياة الإنسان، فالنجم في زعم كاتبي التلمود يجعل الإنسان ذكيًا أو غنيًا.

يقول الحاخام شانينا «إنّ تأثير النجوم تجعل الرجل ذكيا، وتأثيرها يجعله ثريا، وبنو إسرائيل تحت تأثير النجوم»(١).

والتلمود ممتلىء بطقوس السحر والشعوذة والعِرَافة، ومن الخرافات المرتبطة بالسحر التي يذكرها التلمود أنّ بعض الحاخامات اليهود كانوا قادرين على خلق الإنسان والبطيخ.

ويذكر التلمود في هذا المجال أنّ أحد حاخاماتهم أحال امرأة إلى أتان، ثمّ ركبها وذهب إلى السوق، وهناك قام حاخام آخر بإعادتها إلى صورتها الأصلية.

ويزعم الحاخامات أنّ إبراهيم عليه السلام كان يعرف «العِرَافة»، ويزعمون أنه أعطى بعض الهدايا لأبنائه كانت فيها قوة السحر، وكان يعلّق حول عنقه عقدا يتوسطه حجر يشفي كلّ من رآه(٢).

واستشرى تعلّق اليهود بالسحر حتى بلغ الأمر بهم إلى ترك الشريعة المنزلة ونبذها والتعلق بالسحر في كلّ شأن من شؤون حياتهم، يدُلّك على هذا قول الحقّ تبارك وتعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾(٣).

---

(١) التلمود لظفر الإسلام خان: ص ٧٤.
(٢) التلمود لظفر الإسلام خان: ص ٨١.
(٣) سورة البقرة: ١٠١ - ١٠٢.

إنَّ النصَّ الكريم يوضِّح حجم تعامل اليهود مع السحر، فقد نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم، واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان، وهذا الذي اتبعوه هو السحر الذي علَّمته الشياطين.

وقد زعم اليهود أنَّ نبيَّ الله سليمان كان ساحرا، وبالسحر دانت له الجنُّ والإنس والطير وسخرت له الريح، فبرأ الله نبيه سليمان مما افترته عليه اليهود ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾(1).

وقد ذكر القرآن كثيرا من أخبار نبيه سليمان، فقد أخبرنا القرآن الكريم أنَّ سليمان دعا ربه أن يهبه ملكا لا ينبغي لأحد من بعده، وأنَّ الله استجاب دعاءه ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾﴾(2) وقال الحقُّ مبينا الملك الذي وهبه له: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَـٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَـٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾﴾(3).

وحدثنا الله في مواضع أخرى عن الريح المسخرة لنبيه سليمان ﴿وَلِسُلَيْمَـٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَـٰلِمِينَ ﴿٨١﴾﴾(4) ﴿وَلِسُلَيْمَـٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾(5).

---

(1) سورة البقرة: ١٠٢.
(٢) سورة ص : ٣٥.
(٣) سورة ص: ٣٦ - ٣٩.
(٤) سورة الأنبياء: ٨٢.
(٥) سورة سبأ: ١٢.

وحدثنا عن تسخيره الجنّ لسليمان والأعمال التي كانوا يقومون بها ﴿وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ﴾[1].

وأخبرنا القرآن أنّ الله علّم نبيه سليمان منطق الطير ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا﴾[2].

والمتأمل في هذه النصوص يعلم علما يقينا أنّ ما أعطيه سليمان كان فضلا من الله تبارك وتعالى، كما قال سليمان بعد أن جاءه الذي عنده علم من الكتاب بعرش ملكة سبأ قبل أن يرتد إليه طرفه: ﴿هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾[3]، وقال بعد أن فقه كلام النملة ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ﴾[4].

لقد كان سليمان ملكا نبيّا ولم يكن ساحرا، ولكنه الافتراء الذي لم ينج منه حتى الأنبياء، وليس اتهام سليمان بالسحر بأقلّ من اتهام اليهود له بعبادة الأصنام، ففي المحرف المكذوب من التوراة «وكان في زمان شيخوخة سليمان أنّ نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى، ولم يكن قلبه كاملا مع الرب إلهه كقلب

---

(١) سورة سبأ: ١٢ - ١٣.

(٢) سورة النمل: ١٦ - ١٩.

(٣) سورة النمل: ٤٠.

(٤) سورة النمل: ١٩.

داود، فذهب سليمان وراء (عشتورت) إلاهة الصيدونيين، (وملكوم) رجس العمونيين، وعمل سليمان الشرَّ في عيني الربِّ، ولم يَتْبَعْ الربَّ تماما كداود أبيه، حينئذ بنى سليمان مرتفعة (لكموش) رجس الموآبيين على الجبل تجاه أورشليم، (ولمولك) رجس بني عمون، وهكذا فعل لجميع نسائه الغريبات اللواتي كن يوقدن ويذبحن لآلهتهن، فغضب الربُّ على سليمان، لأنَّ قلبه مال عن الربِّ إله إسرائيل»(١).

هذا ما تقوله التوراة المحرفة عن نبي الله سليمان، أفيبعد عليهم بعد ذلك أن يقولوا عنه: إنه إنما أخضع الجن والإنس والطير والريح بالسحر؟!.

وعلى الرغم من النصِّ الصريح الذي برأ الله به نبيه سليمان من السحر فإنَّ السحر بقي متلبسا بهذا النبي الكريم في أذهان كثير من الناس، ومنهم الذين ينسبون إلى الإسلام، حتى غدا سليمان والسحر قرينان لا يذكر واحد منهما حتى يذكر الآخر.

والمتتبع لهذه الظاهرة الظالمة يجد أنَّ الكذب والافتراء على سليمان لم يتوقف بعد مجيء الإسلام، بل أدخلت على سيرته كثير من القصص والأساطير مما نراه في قصص ألف ليلة وليله وغيره من الكتب، بل إنَّ كثيرًا من كتاب الفرس والعرب والترك مثل الفردوسي، وسعد الدين، وإسحق بن إبراهيم، وأحمد الكرماني، وشمس الدين السيواسي، بالغوا في ذكر أعاجيب سليمان، وذكروا كثيرا من تفاصيل حياته التي أغفلها اليهود بحيث غدا سليمان في كتبهم عبارة عن شخصية أسطورية دون أن يكون لها ضريب على الإطلاق في كتب الأدب الأخرى، حتى ولا في أساطير الهند المغرقة في الخيال(٢).

---

(١) سفر الملوك الأول، الاصحاح الحادي عشر. فقرة: ٤ ـ ٩.
(٢) فنون السحر: ص ٤٧.

وقد تداول الناس عبر التاريخ كتب السحر التي تُعبِّد الناس للشياطين، وتقيم بينهم وبين ربهم حجابا وحاجزا، ونسبوا هذه الكتب إلى نبيٍّ الله سليمان، وسليمان منها براء.

المبحث السابع
السحر في أوروبا

ذكرنا في المبحث السابق أنَّ اليهود هم الذين نشروا السحر في أوربا، وكانت بدايات نشرهم له في الوقت الذي استوطنوا فيه إسبانيا ـ تحت حكم المسلمين ـ حيث وجد اليهود الأمن في ظلِّ الدولة الإسلامية العادلة، ولكنَّهم استغلوا هذه الفرصة لنفث سمومهم في شتى البقاع في أوربا، وقد راع الباحثين في تاريخ أوربا الدورُ الكبيرُ «الذي لعبه السحرة والسحر في حياة هذه الممالك.. فقد كان للسحر والسحرة والساحرات في هذه البلاد شأن عظيم عند الحكام والطبقة الراقية، وأقبل على دراسته وممارسته الأمير والصعلوك والغني والفقير والعالم والجاهل..

ولا عجب، فإنَّ الحسد والتنافس، والتكالب على القوة وحبِّ السلطان والمال، والجشع والطمع وحب الشهوة والانتقام والمكائد، والدسائس وغيرها التي كانت تعيش فيها هذه البلدان ـ كلُّ هذا كان في حاجة ماسة للسحر لتحقيق أغراض ذوي المآرب. فقد كان لكلِّ ملك أو أمير أو أميرة ساحره الخاص الذي يقوم بخدمته ويحقق له أو لها الأغراض»(١).

وقد انتشر السحر في أوربا بواسطة اليهود، ولم يبق السحر هناك كما كان من قبل يمارسه أفراد في شتى المدن والبلاد، بل أنشأ اليهود جمعية عرفت باسم (القبلانية). وأصبح لهذه الجمعية شبه مذهب وفلسفة دينية يعتمد على التلمود،

---

(١) السحر لمحمد محمد جعفر: ص ٣١.

إذ يقال إنَّ الأرواح الشريرة موجودة بشكل دائم بين الناس. وفي هذا الكتاب كذلك فقرات يذكر فيها إمكانية استخدام هذه الأرواح لتحقيق أهداف معينة.

وفي القرن الرابع عشر انتشرت القبلانية في أوروبا ابتداء من ألمانيا، ونزولا إلى فرنسا وإيطاليا حيث أنشأت هذه الفئة من اليهود مدرسة قبلانية سنة ١٥٣٣ كانت أول مدرسة للسحر الأسود إلى أن أغلقت سنة ١٥٧٢. وتطورت هذه الظاهرة بعد ذلك فأنشئت جمعيات عديدة مارست السحر الأسود، ولا يزال بعضها موجودا حتى الآن، ومنها الماسونية التي تمارس شعائر شبيهة بالتي كانت تمارسها القبلانية.

ومن الشخصيات التاريخية التي التحقت بهذه الجمعيات (جيل دي رايس)، مرافق (جان دارك) وماريشال فرنسا فيما بعد. وكان (دي رايس) مشهورا بتقواه، ويعمل الخير، ويتمسك بالمثل العليا. لكن بعد موت (جان دارك) كتب أنه «سلم نفسه إلى الشيطان»، والتحق بمجموعة من الناس تقوم بأشنع الجرائم، خاصة ضد الأولاد. فخلال سبع سنوات اختفى ألوف الأولاد الذين يعتقد أنَّ هذه الجمعية ضَحَّت بدمهم من أجل الشيطان. وبعد أن اكتشف ذلك أحرق (دي رايس) وسجلت أسماء ضحاياه في كتيب خاص بهذه الفترة من التاريخ[١].

---

(١) مجلة الحوادث الصادرة من لندن: ١٩٨٤/٢/١٠.

المبحث الثامن

السحر عند العرب قبل الإسلام

ونجد في تاريخ العرب أخبارا تدلّ على أنّ العرب عرفوا السحر الذي عرفته الأمم الأخرى، ومارسوه كما مارسته تلك الأمم حماية لأرواحهم وأموالهم وبلادهم، ولكنّ العالم بتاريخ العرب يعرف أنه لم يكن للعرب عناية كبيرة في صناعة السحر كما هو الحال عند الآشوريين والسريانيين والمصريين واليونانيين، وجلّ عنايتهم كانت بالكهانة والعرافة، وسيأتي الحديث عنهم في آخر الكتاب.

ومن أوثق الأدلة على وجود السحر عند العرب بمعناه الذي وجد في الأمم الأخرى ماجاء في الأحاديث الصحيحة من قصة أصحاب الأخدود، ففي تلك القصة إخبار بأنّ الملك كان له ساحر، وكان للساحر مكانة عظيمة، وكان بإمكانه تعليم السحر لمن يراه لذلك أهلا.

ولكن يبقى الاستدلال بالقصة موضع نظر، لأنّ الأحاديث الصحيحة الواردة في هذه القصة لم تدلّ صراحة على أنّ أصحاب الأخدود كانوا عربا من أهل نجران كما ذهب إليه بعض المؤرخين، وإن كان هذّا هو الراجح في هذه المسألة.

قصة أصحاب الأخدود

وقصة أصحاب الأخدود رواها مسلم في صحيحه عن صهيب؛ أنّ رسول الله ﷺ قال« كان ملك فيمن كان قبلكم، وكان له ساحر، فلما كبر قال للملك: إني قد كبرت، فابعث إليّ غلاماً أعلّمه السحر، فبعث إليه غلاما يعلّمه، فكان

في طريقه - إذا سلك - راهب. فقعد إليه وسمع كلامه، فأعجبه، فكان إذا أتى الساحر مرَّ بالراهب وقعد إليه، فإذا أتى الساحر ضربه، فشكا ذلك إلى الراهب. فقال: إذا خشيت الساحر فقل: حبسني أهلي، وإذا خشيت أهلك فقل: حبسني الساحر.

فبينما هو كذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس. فقال: اليوم أعلم الساحر أفضل أم الراهب أفضل؟ فأخذ حجرا فقال: اللهمَّ إن كان أمر الراهب أحبَّ إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة، حتى يمضي الناس، فرماها فقتلها، ومضى الناس. فأتى الراهب فأخبره، فقال له الراهب: أي بُني! أنت اليوم أفضل مني، قد بلغ من أمرك ما أرى. وإنك ستُبتلى، فإن ابتُليت فلا تدلَّ عليَّ.

وكان الغلام يبرىء الأكمة[1] والأبرص ويداوي الناس من سائر الأدواء، فسمع جليس للملك كان قد عمي، فأتاه بهدايا كثيرة، فقال: ما هاهنا لك أجمع، إن أنت شفيتني. فقال: إني لا أشفي أحدا، إنما يشفي الله، فإن أنت آمنت بالله دعوت الله فشفاك، فآمن بالله فشفاهُ الله.

فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس، فقال له الملك: من ردَّ عليك بصرك؟ قال: ربي. قال: ولك ربٌّ غيري؟ قال: ربي وربُّك الله. فأخذه فلم يزل يعذِّبه حتى دلَّ على الغلام.

فجيء بالغلام. فقال له الملك: أي بني! قد بلغ من سحرك ما تبرىء الأكمه والأبرص وتفعل وتفعل. فقال: إني لا أشفي أحداً، إنما يشفي الله. فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دلَّ على الراهب

---

(١) (الأكمه) الذي خلق أعمى.

فجيء بالراهب. فقيل له: ارجع عن دينك، فأبىٰ. فدعا بالمئشار[1]. فوضع المئشار في مفرق رأسه. فشقَّه حتى وقع شقَّاه. ثم جيء بجليس الملك، فقيل له: ارجع عن دينك فأبى. فوضع المئشار في مفرق رأسه، فشقه به حتى وقع شقاه.

ثم جيء بالغلام فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى. فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا، فاصعدوا به الجبل، فإذا بلغتم ذُروته[2]، فإن رجع عن دينه، وإلا فاطرحوه، فذهبوا به فصعدوا به الجبل. فقال: اللهم! اكفنيهم بما شئت، فرجف بهم الجبل[3] فسقطوا، وجاء يمشي إلى الملك.

فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله.

فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به فاحملوه في قرقور[4]، فتوسطوا به البحر، فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه. فذهبوا به، فقال: اللهم! اكفنيهم بما شئت، فانكفأت بهم السفينة[5] فغرقوا. وجاء يمشي إلى الملك. فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله.

فقال للملك: إنك لسْت بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به. قال: وماهو؟ قال: تجمع الناس في صعيد[6] واحد، وتصلبني على جذع. ثم خُذ سهماً من

---

(١) (بالمئشار) مهموز في رواية الأكثرين: ويجوز تخفيف الهمزة بقلبها ياء. وروي: المنشار، بالنون، وهما لغتان صحيحتان.

(٢) (ذروته) ذروة الجبل أعلاه، وهي بضم الذال وكسرها.

(٣) (فرجف بهم الجبل) أي اضطرب وتحرك حركة شديدة.

(٤) (قرقور) القرقور السفينة الصغيرة. وقيل: الكبيرة. واختار القاضي الصغيرة. بعد حكايته خلافا كثيرا.

(٥) (فانكفأت بهم السفينة) أي انقلبت.

(٦) (صعيد) الصعيد، هنا، الأرض البارزة.

كنانتي، ثم ضع السهم في كبد القوس[1]، ثم قل: باسم الله، ربِّ الغلام، ثم ارمني. فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني.

فجمع الناس في صعيد واحد، وصلبه على جذع، ثم أخذ سهما من كنانته، ثمَّ وضع السهم في كبد القوس، ثمَّ قال: باسم الله، ربِّ الغلام، ثمَّ رماه فوقع السهم في صُدغه، فوضع يده في صدغه في موضع السهم، فمات. فقال الناس: آمنا برب الغلام، آمنا برب الغلام، آمنا برب الغلام.

فأُتي الملك فقيل له: أرأيت ما كنت تحذر؟ قد والله نزل بك حَذرك[2]. قد آمن الناس فأمر بالأخدود[3] في أفواه السكك[4]، فخدَّت، وأُضْرِم النيران. وقال: من لم يرجع عن دينه فأحموه فيها[5]، أو قيل له: اقتحم. ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها فتقاعست[6] أن تقع فيها. فقال لها الغلام: يا أمَّه! اصبري، فإنَّك على الحقِّ»[7].

قصة صاحب الحضر

وتَذْكر بعض كتب التاريخ أنَّ من العرب من عرف الطلاسم، ففي كتاب (البداية والنهاية) لابن كثير أنَّ أحد ملوك الفرس غزا حصنا بناه أحد ملوك

(١) (كبد القوس) مقبضها عند الرمي.
(٢) (نزل بك حذرك) أي ما كنت تحذر وتخاف.
(٣) (بالأخدود) الأخدود هو الشق العظيم في الأرض، وجمعه أخاديد.
(٤) (أفواه السكك) أي أبواب الطرق.
(٥) (فأحموه فيها) هكذا هو في عامة النسخ: فأحموه، بهمزة قطع بعدها حاء ساكنة. ونقل القاضي اتفاق النسخ على هذا. ووقع في بعض النسخ: فأقحموه، بالقاف وهذا ظاهر. ومعناه اطرحوه فيها كرها. ومعنى الرواية الأولى ارموه فيها. من قولهم: أحميت الحديدة وغيرها، إذا أدخلتها النار لتحمى.
(٦) (فتقاعست) أي توقفت ولزمت موضعها، وكرهت الدخول في النار.
(٧) صحيح مسلم: (ص ٢٢٩٩).

اليمن اسمه (الحضر)، وبانيه يسمى (بالساطرون)، فلم يستطع فتحه لوجود طلسم كان في الحضر، وكان مفتاح هذا الطلسم أن تؤخذ حمامة ورقاء، وتخضب رجلاها بحيض جارية بكر زرقاء، ثمَّ تُرْسَل فإن وقعت على سور الحصن سقط ذلك الطلسم وفتح باب ذلك الحصن[١].

قصة عبدالله بن جدعان

ومن الأخبار التي تدلُّ على انتشار السحر في الجزيرة العربية ـ وقد تكون هذه الأخبار أساطير مكذوبة ـ ما يذكره المؤرخون عن عبدالله بن جدعان أحد كرماء أهل الجاهلية في مكة، فإنَّهم يذكرون أنه خرج ذات يوم في شعب من شعاب مكة، فرأى شقًّا في جبل، فلما اقترب منه إذا ثعبان يخرج إليه ويثب عليه، فجعل يحيد عنه، والثعبان يثب فلا يغني شيئا، ثم تبين لعبدالله أنَّ ذلك الثعبان ليس ثعبانا حقيقيا، وإنما هو مصنوع من ذهب، وله عينان من الياقوت، وقد صنع ليكون حارساً لقبور رجال من ملوك جرهم كانوا مدفونين في ذلك الشق، وكانت عندهم أموالهم وكنوزهم[٢].

(١) انظر القصة في البداية والنهاية: ١٨٢/٢.
(٢) راجع البداية والنهاية لابن كثير: ٢١٧/٢.

المبحث التاسع
السحر عند المسلمين

ولما جاء الإسلام شنَّ حربا لا هوادة فيها على السحرة والكهان والعرافين، وعدَّ الرسول ﷺ السحر واحدا من الجرائم السبع الكبرى، ففي صحيح البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات».

قالوا: وما هنَّ يا رسول الله؟

قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرّم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولِّي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات»(١).

وسمّى هذه الذنوب موبقات لأنها تهلك صاحبها، والموبقات المهلكات. وعد كثير من علمائنا السحر كفرا، واستدلُّوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾(٢).

وأخبر الرسول ﷺ أنَّ الذي يأتي كاهنا أو عرافا فيصدِّقه بما يقول فإنَّه لا تقبل له صلاة أربعين يوما، وفي حديث آخر قال: «فقد كفر بما أنزل على محمد، وعدَّ الذي يقتبس شعبة من النجوم قد اقتبس شعبة من السحر».

---

(١) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الوصايا، باب قول الله: ﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما﴾. فتح الباري: ٣٩٣/٥. ورواه مسلم: ٩٢/١. ورقم الحديث: ٨٩. واللفظ للبخاري.

(٢) سورة البقرة: ١٠٢.

وذهب كثير من العلماء إلى وجوب قتل الساحر وعدم صحة توبته، وصحَّ عن عمر بن الخطاب أنَّه أمر ولاته في شتى أنحاء الدولة الإسلامية بقتل كلِّ ساحر وساحرة، وفعلا نفذ بعض الولاة أوامر الخليفة الراشد(١).

ولذا فإنَّ السحرة لم توجد لهم سوق رائجة في ديار الإسلام، وكان المسلمون المستقيمون ينظرون إلى السحرة نظرة ازدراء واحتقار. ومع ذلك فإنَّ ديار الإسلام لم تخل على مرِّ التاريخ من السحر والسحرة، ولكنَّ المسلمين كانوا ينظرون إليهم نظرة مقت، وكانت سيوف الحكام تلاحقهم بالقتل والضرب والإذاية، وألسنة العلماء تبين خبثهم ودجلهم وضلالهم.

يذكر ابن كثير في كتابه (البداية والنهاية) في حوادث سنة أربع وثمانين ومائتين أنَّ الخليفة المعتضد أمر بأن يُنَادىٰ في جميع أنحاء البلاد بأن لا يجتمع العامة على قاص ولا منجم ولا جدلي(٢).

وقد تحدَّث ابن خلدون عن تاريخ السحر عند المسلمين فقال: «علوم السحر والطِلَّسمات مهجورة عند الشرائع لما فيها من الضرر، ولما يشترط فيها من الوجهة إلى غير الله من الكواكب أو غيره، ولذلك فإن كتبها كالمفقودة بين الناس إلا ما وجد من كتب الأقدمين فيما قبل نبوة موسى عليه السلام. . .، ولم يترجم لنا من كتبهم إلا القليل، مثل (الفِلاحة النبطيَّة) لابن وحشيَّة من أوضاع أهل بابل، فأخذ الناس منها هذا العلم وتفننوا فيه، ووضعت بعد ذلك الأوضاع، مثل (مصاحف الكواكب السبعة)، وكتاب (طمطم الهندي) في صور الدرج والكواكب وغيرها.

---

(١) سيأتي تخريج الأحاديث التي أشرنا إليها هنا في مواضع من هذا البحث. كما سيأتي تحقيق القول في المسائل التي ذكرت هنا، مثل قتل الساحر، وتوبته إن شاء الله تعالى.

(٢) البداية والنهاية: ١١/٧٦.

ثم ظهر بالمشرق جابر بن حيان كبير السحرة في هذه المِلَّة، فتصفح كتب القوم واستخرج الصناعة، وغاص في زبدتها واستخرجها ووضع فيها عدَّة من التآليف، وأكثر من الكلام فيها وفي صناعة السيمياء، لأنها من توابعها، ولأنَّ إحالة الأجسام النوعية من صورة إلى أُخرى إنما تكون بالقوة النفسية لا بالصناعة العملية، فهو من قبيل السحر كما سنذكره في موضعه.

ثم جاء مسلمة بن محمد المجريطي إمام أهل الأندلس في التعاليم والسحريات، فلخص جميع تلك الكتب وهذبها، وجمع طرقها في كتابه الذي سماه: (غاية الحكيم) ولم يكتب أحد في هذا العلم بعده»[1].

وقال في موضع آخر: «وكتاب (الغاية) لمسلمة بن أحمد المجريطي هو مدونة هذه الصناعة، وفيه استيفاؤها وكمال مسائلها. وذُكِرَ لنا أنَّ الإمام الفخر بن الخطيب وضع كتابا في ذلك سماه (السر المكتوم)، وأنه بالمشرق يتداوله أهله، ولم نقف عليه، والإمام لم يكن من أئمة هذا الشأن فيما نظنُّ، ولعلَّ الأمر بخلاف ذلك.».

وذكر ابن خلدون أنَّ «بالمغرب صنفا من هؤلاء المنتحلين لهذه الأعمال السحريّة يعرفون بالبعاجين، يشير الواحد منهم إلى الكساء أو الجلد فيتخرق، ويشيرون إلى بطون الغنم بالبعج فينبعج، ويسمي أحدهم لهذا العهد باسم البعَّاج، لأنَّ أكثر ما ينتحل من السحر بعج الأنعام، يُرَهِّب بذلك أهلها ليعطوه من فضلها، وهم متسترون بذلك في الغاية خوفا على أنفسهم من الحكام».

وذكر أنه «لقي منهم جماعة، وشاهد من أفعالهم هذه بذلك، وأخبروه أنَّ لهم وجهة ورياضة خاصة بدعوات كفريّة وإشراك لروحانية الجنِّ والكواكب،

(١) المقدمة لابن خلدون: ٩٢٤.

سطرت فيها صحيفة عندهم تسمى (الخزيزيّة) يتدارسونها، وأنّ بهذه الرياضة والوجهة يصلون إلى حصول هذه الأفعال لهم[1]، وأنّ التأثير الذي لهم إنما هو فيما سوى الإنسان الحر من المتاع والحيوان والرقيق، ويعبّرون عن ذلك بقولهم: إنما نفعل فيما يمشي فيه الدرهم، أي ما يملك ويباع ويشترى من سائر الممتلكات هذا ما زعموه».

قال ابن خلدون: «سألت بعضهم فأخبرني به، وأما أفعالهم فظاهرة موجودة، وقفنا على الكثير منها، وعاينتها من غير ريبة في ذلك»[2].

ويذكر ابن خلدون أنّ بعض المتصوفة خاضوا في نوع من السحر هو علم أسرار الحروف، وهذا النوع «هو المسمى بالسيمياء، نقل وضعه من الطِلّسمات إليه في اصطلاح أهل التصرف من المتصوفة، فاستعمل هذا الاستعمال الخاص».

ويذكر ابن خلدون أنّ «هذا العلم حدث في الملّة بعد صدر منها، وعند ظهور الغلاة من المتصوفة وجنوحهم إلى كشف حجاب الحس، وظهور الخوارق على أيديهم والتصرفات في عالم العناصر، وتدوين الكتب والاصطلاحات، ومزاعمهم في تنزل الوجود عن الواحد وترتيبه، وزعموا أنّ الكمال الأسمائي مظاهره أرواح الأفلاك والكواكب، وأنّ طبائع الحروف وأسرارها سارية في الأسماء، فهي سارية في الأكوان على هذا النظام والأكوان من لدن الإبداع الأوّل تتنقل في طوره وتعرب عن أسراره، فحدث لذلك علم أسرار الحروف، وهو من تفاريع علم السيمياء، لا يوقف على موضوعه، ولا تحاط بالعدد مسائله، تعددت فيه تآليف البوني وابن العربي وغيرهما ممن اتبع آثارهما، وحاصله عندهم وثمرته

(١) هذا الذي يفعلونه مما تعينهم عليه الشياطين، وهم عباد الشياطين، وقد توصل البشر إلى مثل هذه الأفعال من غير استعانة بالشياطين، فالأشعة اليوم تقتل وتدمر بصمت وهدوء.

(٢) المقدمة لابن خلدون: ص ٩٣٠.

تصرف النفوس الربانية في عالم الطبيعة بالأسماء الحسنى والكلمات الإلهية الناشئة عن الحروف المحيطة بالأسرار السارية في الأكوان»[1].

وقد أطال ابن خلدون في الكلام على هذا النوع من السحر، فإن شئت المزيد فارجع إليه.

---

(١) المقدمة: ص ٩٣٦.

المبحث العاشر

السحر في أمريكا والعالم الجديد

«عندما احتل الأسبانيون أمريكيا وجدوا للسحر مكانة كبيرة، ورأوا السحرة منقطعين في الفيافي يأوون إلى الغيران صائمين متقشفين محافظين على رسوم محددة من الرياضة النفسية يزعمون أنها أوصلتهم إلى مناجاة الأرواح والتسلط على نواميس الطبيعة.

ورأوا أنَّ للسحرة في أمريكيا الشمالية اطلاعا واسعا على خواص النباتات، فكانوا يصفونها للأمراض المختلفة، وكانوا يزعمون أنهم بالتأثير على صورة الشخص أو تمثاله ينتقل ذلك التأثير إلى صاحب الصورة أو التمثال، فيضره أو ينفعه كما يريد الساحر»(١).

(١) دائرة معارف القرن العشرين: ٥/٦٤.

المبحث الحادي عشر
السحر في العصر الحاضر

كان أهل القرية يجتمعون بعد كلّ كارثة تحلّ بهم بسبب البرق أو غيره حول ساحر القرية، ويطلبون منه أن يحدّد سبب الكارثة التي حلّت بقريتهم. عند ذلك ينظر الساحر في مرآة ويلفظ اسم أحد السكان أو عددا منهم، فيحكم أهل القرية على هؤلاء بالحرق أحياء، ولا يستطيع أحد من المحكوم عليهم بالإعدام بهذه الطريقة ولا من أقاربهم أن يعترض على هذه العقوبة القاسية، فجميع أهل القرية مقتنعون بأنّ الذين حكم عليهم بتلك العقوبة كانوا أداة للشيطان، وقد جلب الشيطان الضرر من خلالهم لغيرهم من أهل القرية.

قد يظنّ من يقرأ هذه الحادثة أنّها من أخبار القرون الوسطى، ولكنّ هذه القرية موجودة حاليا في جنوب أفريقيا، وقد لقي ستة من أهلها الموت حرقا، لأنّ ساحر القرية ذكر أنّهم الذين تسببوا بالكارثة التي أحلّها البرق في قريتهم في عام ١٩٨٣[1].

وقد يظنّ الناس أنّ هذا اللون من الدجل مقصور اليوم على الأمم المتخلفة، وهذا غير صحيح، فإنّ أكثر شعوب العالم تحضرا تجري فيها طقوس السحر على نحو واسع وبطرق مختلفة تصل إلى الإيذاء والقتل.

«ففي فرنسا يوجد ملايين من الفرنسيين المقتنعين بأنّهم ضحية الشيطان. وثمة اجتماعات ليلية تعقد في مخازن المشروبات في الطوابق السفلى من الفنادق

(١) راجع مجلة الحوادث الصادرة من لندن في عددها ١٤٢٣ بتاريخ ٨٤/٢/١٠.

الكبرى أو في بهو مواقف السيارات أو في الطوابق الأرضية لوزارة الدفاع في باريس التي يبدو أنها استضافت احتفالا من احتفالات الفودو (عبادة روحية لدى زنوج هاييتي).

في مايو ١٩٨٥ أضرم رجل وأخته النار في فراش والدهما المعاق لإنقاذه من الشيطان، وفي أبريل ١٩٨٥ فقد متقاعدان كلَّ ماشيتهما واكتشفا صخورا بوزن ٥٠٠ كيلوغرام في سرير ابنتهما، وعثرا على آلاف الدبابيس من جميع الأشكال في البستان والبيت، وفي أبريل ١٩٨٤ قتل شقيقان والدهما بثلاثين طعنة بالسكين، لأنهما كانا يعتقدان أنه كان يحضِّر (شراب المحبة) لكي يسحر زوجته ويفتنها. وقبل خمس سنوات حاول أن يهلك زوجته بالنار، وفي فبراير ١٩٨٤ قتل بناء مواطنا تركيا بالسكين لأنه كان يؤذيه بسحره».

وليست فرنسا وحدها موطن السحرة ففي ولاية (أوهايو) بالولايات المتحدة، يضحى سنويا منذ ١٩٦٩ بخمسة مواليد جدد على مذبح الشيطان من أجل الاحتفال بعودة فصل الصيف. وفي شهر يوليو الماضي أوسع ثلاثة رفائين احدى الفتيات ضربا وأحرقوها، لكي يحصلوا على أسماء الذين كانوا يعذبون روحها!.

وقد أظهر تحقيق أجرته وزارة الصناعة والبحث الفرنسية عام ١٩٨٢ بقصد تقدير مدى عقلانية المواطنين الفرنسيين أن ١٨٪ من هؤلاء يؤمنون بالسحر. ومع أن نصف الأشخاص المستجوبين قد أعلنوا أنَّ العلم سيفسر يوما تأثير هذا السحر ونتائجه، فإن بؤره تتكاثر. وفي الوقت نفسه تُودَع سنويا عدة آلاف من طلبات الرقية أو التعويذة في الأبرشيات الدينية.

ويقدر عدد السحرة والمشعوذين في فرنسا بحوالي ثلاثين ألفا، ويتجاوز «مجموع مبيعاتهم» السنويّة الثلاثة مليارات فرنك، مع أنه يستحيل معرفة الأرقام

بدقة. لأنَّ المادة ٤٠٥ من القانون الجزائي حظرت السحر، إذ نصَّت على عقوبات بالسجن من سنة إلى خمس سنوات بحق «المشعوذين والعرافين الذين يقنعون المخدوعين بأنَّهم يملكون القدرة على شفاء بعض الأمراض أو على خلق النجاح أو الحوادث أو الأحداث». وهكذا يمارس العديد من «مناجي الأرواح» أو «الوسطاء» السحر سرا، بينما تعلن مدارس السحر أو جمعيات عبدة الشيطان عن نفسها تحت أسماء مستعارة ووهمية شتى، كالجمعيات التي لا تبغي الربح والتي ينظمها القانون رقم ١٩٠١.

انطلاقا من هذه الممارسات، تنظم المؤتمرات والندوات والحلقات الدراسية المغلقة وتتكاثر، كما يصدر السحرة سنويا مئات من «أدلة السحر» ومن كراريس «العالم الشيطاني» فضلا عن أنَّ التلفزيون يهتم بالموضوع كثيرا، وله في هذا المجال مداخلات عدَّة.

لا يمرُّ يوم دون أن تروي الصحف قصة من قصص السحر الواقعية. بعض هذه القصص يُضْحِك، مثل حكاية رجل الأعمال التولوزي (من مدينة تولوز) الذي رقص حول صندوق صغير مليء بالأوراق النقدية لكي ينتزع عقدا مع اليابان. لكن بعضها الآخر يرعب ويحزن، مثل ذلك السيناريو المأساوي في مدينة (مونبيلييه) ففي مارس ١٩٨٣، قتلت احدى الممرضات ابنها البالغ من العمر ٦ سنوات بغية طرد الأرواح الشريرة منه، وذلك أثناء احتفال طقسي جنائزي.

إنها قضايا مذهلة تحير القضاة ساعة إصدار الحكم، وتقلق الكنيسة، ففي ٢٩ أبريل الماضي دعت اللجنة الرعوية المؤلفة من خبراء كنسيين في الباطنية والتنجيم إلى تعبئة المؤمنين ضد «هذا التحدي الأكبر من الإلحاد». وكان الفاتيكان قد أدان بشدة قبل أشهر خلت، وبواسطة صحيفة «اوسرفاتوري

رومانو» أولئك «الذين يمارسون السحر والذين يلتمسونه».

لكنَّ فرنسا لا تحتكر وحدها الاعتقاد بالخرافات، ففي ألمانيا، يؤمن مواطن من أصل أربعة بالسحر وآثاره. وتحوي ألمانيا ٨٠ ألف ساحرة، حتى أنَّ شعبها اعتقد منذ ثلاث سنوات أن (رومنيغه) أحد أبطال كرة القدم الوطنيين، كان ضحية ساحر فرنسي! وفي شهر مايو الماضي، أزالت احدى أشهر شركات مساحيق الغسيل الأميركية شعارها عن علبها، لأنها كانت تتلقى يوميا وطوال أشهر متتالية الألوف من الرسائل التي تستنكر وجود رموز شيطانية في هذا الشعار. وفي الصين لا يزال للسحر وجود ظاهر، وقد حكم على امرأة في شنغهاي بالسجن خمسة عشر عاما لأنها حاولت الاتصال بأخيها المتوفى بواسطة ساحر.

لكن من هم الفرنسيون الذين يعيشون تحت هاجس السحر؟ إنَّ معظمهم من النساء، حسب رأي مدير البحث في المجلس الوطني للبحوث العلمية. فالتحقيق الذي طلبه وزير التربية سنة ١٩٨٢ أظهر أنَّ الفرنسيات، وبخاصة غير العاملات منهن هنَّ أكثر ميلا إلى الاعتقاد باللامعقول. ثم إنَّ الأشخاص الذين لا يحتلون غير مركز اجتماعي عادي بالرغم من تحصيلهم الدراسي المهم هم أكثر تأثرا بهذا النوع من المعتقدات، إذ يبدو أنَّ التفاوت بين أعدادهم ومركزهم الاجتماعي يشجع هذا الإذعان لتصورات أخرى عن الواقع. وغالبا ما تكون سلسلة من المآسي والآلام والخيبات المهنية أو الشخصية وراء توجه المرء نحو «المختص» بفك السحر عنه. فالشيطان أو الساحر هما المذنبان الجاهزان للمحاكمة والمعاقبة!.

عندما يعترف الطبيب بالإخفاق يستعين «المريض» بالساحر، وعندما يهز كتفيه، يظهر الكاهن. ففي فرنسا يوجد الراقون في كثير من الأبرشيات، يُعَيِّنُهُمْ

المطران بالنظر إلى «ورعهم وتمسكهم بالتقاليد»، ويزيد عدد هؤلاء عن المائة في فرنسا. إنَّ هؤلاء الكهنة، المسنين غالبا، يلبون الطلب كيفما كان، في باريس يلتمس المؤمنون مواعيد قبل بضعة أشهر، وذلك فقط من أجل لقاء لا يدوم أكثر من ربع ساعة بسبب طول «لائحة الانتظار».

على أي حال يبدو أنَّ اللجوء إلى التنجيم والإيمان بالقوى الخفية ليسا فقط خشبة الخلاص بالنسبة إلى رجال ونساء تائهين. فالظاهرة أعمق جذورا، وجذورها ممتدة في تاريخ الغرب نفسه. إنها أحد الأجوبة على انهيار الروحانية، وعلى عقلانية علمية مفرطة عاجزة عن إعطاء معنى للحياة البشرية.

فالذي كانت الكنيسة تسميه استحواذا فيما مضى، يسميه الطب اليوم «هستيريا»، وهي التي تبقى أعمال الاحتيال التي لا تحصى منتشرة متكاثرة، كما حصل لصاحبة الفندق في مدينة نانسي التي دفعت ٦٥ ألف فرنك فرنسي لقاء تعويذة مصنوعة من. . . ورق المراحيض!

اليوم لم تعد الكنيسة ولا الشرطة هي التي تقلق السحرة وتخيفهم أكثر من أي شيء آخر، بل مصلحة الضرائب.

فمنذ سنتين يدفع «الوسطاء» الضريبة على القيمة المضافة، الأمر الذي يجعل العلماء قلقين من هذه الموجة التي «تشكل خطرا على تقدّم الإعلام العلمي»[1].

وفي عام ١٩٨٨ ألقت الشرطة الفرنسية القبض في مدن عديدة وخاصة في مدينة باريس على عدد كبير من النصابين والمحتالين من نوع «خاص»، كانوا

---

(١) راجع جريدة القبس في عددها (٤٧٧٤) بتاريخ ٢٦/٨/١٩٨٥.

يَدَّعون السحر والتنبؤ بالمستقبل والكتابة لابتزاز الأموال من زبائن بسطاء أو متعطشين لكلّ ماهو غريب وغير اعتيادي. وقد لوحظ أنّ نشاط هؤلاء المشعوذين لم يكن في يوم من الأيام مزدهرا كما هو عليه الآن مع العلم أنّ استغلال بساطة جزء كبير من الناس كان دوما على مرّ العصور مصدر كسب مادي وفير لعدد من المحتالين.

لكن الظاهرة التي كانت لسنوات خلت هامشية وبسيطة، باتت تكتسب اليوم أبعادا جديدة جعلت منها ظاهرة مقلقة وحملت السلطات الفرنسية على التدخل لوضع حد لانتشارها. هناك بالطبع البصارون والبصارات الذين تعرفهم جميع المجتمعات في كل بقاع الأرض، هؤلاء يكتفون بالادعاء بقدرتهم على قراءة الماضي والتنبؤ بالمستقبل ويكتفون بهذا القدر، نشاطهم علني وموسع، ويدفع الفرنسيون لهم كلّ سنة حوالي ثلاثين مليون فرنك بدلا عن خدماتهم وينظمون المهرجانات والمؤتمرات، وباتوا يستعملون الكمبيوتر والتقنيات الحديثة لذر الرماد في عيون زبائنهم.

وإلى جانب هؤلاء المبصرين «الرسميين» إذا صح التعبير، ترى اليوم في باريس وليون ومارسيلياولوهاتر وغيرها من المدن وحتى القرى الصغيرة النائية أنواعا جديدة من «السحرة» والوسطاء الروحيين الذين يَدَّعون القيام بالمعجزات كالعثور على شخص مفقود، أو إعادة المحبوب، أو جلب الثروة، أو التنبؤ بأرقام اليانصيب، وحتى الكتابة (كتابة الشر) للخصوم والأعداء والشفاء من الأمراض الخطيرة. لقاء هذه «الخدمات» يتقاضى هؤلاء السحرة والمشعوذون من زبائنهم مبالغ مالية تبلغ في بعض الأحيان حدودا خيالية ثمنا لخدمات خيالية لا تمت إلى الواقع بصلة.

وفي كثير من الأحيان ترى هؤلاء السحرة يختفون ويتبخرون ويفقد لهم كل أثر بعد أن يكونوا قد احتالوا على الناس وابتزوا أموالهم.

وتقدر إحصائيات الشرطة الفرنسية حاليا عدد السحرة والمبصّرين والمتاجرين بالبساطة الإنسانية بأكثر من ستين ألف شخص.

والأغرب من كلّ شيء هو أنّ السواد الأعظم من هؤلاء السحرة والمبصّرين والوسطاء الروحيين يعملون ويمارسون نشاطهم بشكل علني أو شبه علني، فقسم منهم يملك مكاتب أو عيادات معروفة، والقسم الآخر يجلب الزبائن إليه عبر إعلانات مبوبة في بعض الصحف والمجلات الهامشية أو المتخصصة في مجال العلوم غير الطبيعية.

يكفي أن يتصفح المرء هذه المجلات والجرائد ليلاحظ الإعلانات المبوبة التي تتحدث عن عجائب وغرائب قدرات هؤلاء الأشخاص السحرية وغير الاعتيادية، والتي ترافقها عناوينهم وأرقام هاتفهم. وقد لاحظت الشرطة الفرنسية ازدياد نوع خاص من هؤلاء السحرة في المدن الكبيرة، وهم السحرة الأفارقة الذين يطلقون على أنفسهم اسم «مارابوت». وجميعهم يدعي التخصص في مجال ما.

بعضهم متخصص في القضاء على سوء الطالع والنحس، وبعضهم الآخر متخصص في الكتابة، وقسم آخر متخصص في التنبؤ بأرقام اليانصيب الوطني أو العثور على المفقودين، أو في ضمان النجاح المهني والاجتماعي والعاطفي. هؤلاء يستقبلون زبائنهم عادة في غرف صغيرة تقع في الأحياء الشعبية من المدن الكبيرة ومعظمهم (كما تقول السلطات) دخل فرنسا بطريقة غير شرعية من دول أفريقيا السوداء خاصة من غينيا والسنغال.

وتذهب السلطات إلى حدّ التأكد إلى أنَّ هؤلاء الأفارقة شكلوا مافيا لرجال السحر والشعوذة تحافظ على مصالحها أحيانا بوسائل لا تمتُّ إلى السحر والعلوم غير الطبيعية بصلة. وقد اكتشفت الشرطة الفرنسية مؤخرا في مدينة (لوهافر) شبكة ضخمة من السحرة الأفارقة الذين كانوا يدَّعون أنهم مراسلو الأنبياء ويتمتعون بقدرات سحرية فائقة. والأدهى من كلِّ ذلك أنَّ الشرطة تجد نفسها عاجزة عن إثبات تهمة الاحتيال على هؤلاء السحرة، ويجد الزبائن الذين دفعوا أموالا طائلة لقاء «لا شيء» أنفسهم عاجزين عن تحصيل حقوقهم.

في القرون الوسطى، كانت السلطات تحرق السحرة أحيانا، أما اليوم، فإنَّ السلطات لا يمكنها أن توجه إليهم إلا تهمة الاحتيال والابتزاز، ولكن كيف السبيل إلى ذلك بغياب الأدلة المادية والحسية؟ كل ما بوسعها في كثير من الأحيان هو إيقاع المحتالين في فخّ الجرم المشهود، أو طردهم بسبب وجودهم غير الشرعي في الأراضي الفرنسية.

ومما يعقّد الأمر ـ كثيرا ـ إيمان الزبائن الفرنسيين بقدرات السحرة والمشعوذين، ولا يكتشفون عملية النصب والاحتيال إلا متأخرين بعد فوات الأوان.

ولا يجب أن نعتقد أنَّ ضحايا هذا الاحتيال هم من الطبقات الشعبية البسيطة، فهناك عدد كبير من المثقفين وأرباب العمل الذين يقعون في فخ السحرة مثل (باتريك) ٣٩ سنة، وهو أحد الموظفين في احدى الشركات الباريسية الكبيرة الذي يقول: «يقال إنَّ مثل هذه الأمور لا تحصل إلا للغير ولكنها حصلت لي.

كان لدي رغبة كبيرة في أن يتحقق مشروع مهّمّ بالنسبة لي داخل الشركة التي أعمل بها، وبالمصادفة تعرفت بواسطة أحد أصدقائي على شخص من احدى

الدول الافريقية السوداء الذي أثار دهشتي وإعجابي لكثرة معارفه وثقافته.

وبعد أن عقدت معه عدة جلسات «روحية» آمنت بقدرته، وسلمته أمانة مالية قيمتها ٧٥ ألف فرنك، وضعها أمامي في خزنة حديدية، وأكَّد لي أنه سيعيدها إليَّ إذا لم يتحقق مشروعي. ولكنَّ مشروع باتريك لم يتحقق كما أنَّ هذا الساحر الكبير اختفى مع المبلغ الذي سُلِّم إليه أمانة.

إنَّه الاحتيال الصرف كما يقول أحد مفتشي الشرطة، فلا وثائق ثبوتية، ولا براهين، وبالتالي لا إمكانية قانونية على الإطلاق في ملاحقة المحتالين ومعاقبتهم. الحلُّ الوحيد يبدو في أن يخفف بعض الفرنسيين من إيمانهم الأعمى بالسحرة وأن ينظروا بواقعية أكثر إلى الأمور(١).

وفي جزر (هايتي) و(البرازيل) ينتشر نوع من السحر يسمى (الفودو)، وهو نوع من أنواع السحر الأسود، يقصد فيه السحرة استخدام الأرواح لتحقيق أهدافهم ومقاصدهم السيئة.

ويجتمع القائمون بهذا الأمر في احتفال راقص، ويزعمون أنَّ الروح تستولي على جسد امرأة، فتقوم تلك المرأة برقصة، وهذه الرقصة جزء من هذه الشعوذة التي يضحك فيها الشيطان على عقول البشر.

ويستخدم في (الفودو) الدمى ومشية الموت ليجلبوا المرض والموت إلى الشخص الذي يريدون أذيته، وخلال الترانيم السحرية يستخدمون الدم والمني والنباتات السامّة وبقايا الجثث الآدمية. ويلاحظ أنَّ ممارسي هذا النوع من السحر يصابون بنوع من الصرع، يتبعه دخول روح (أزروويل) في الشخص الذي يقوم

---

(١) راجع جريدة القبس الكويتية بتاريخ ١٢/٧/١٩٨٨.

بالرقص، ويزعمون أنَّ المرأة التي تدخل الروح جسدها لا تشعر بجسدها، ولكنها تشعر بوجود قوة تتجه لتفجير رأسها، وتبقى على هذه الحال لمدة ثلاث أو أربع ساعات إلى أن يحدث السحر.

ومن الضلال الذي يصاحب هذه الديانة الكفرية أنَّ المرأة التي تقوم بهذه الرقصات يسمح لها بالزواج من عدد من الرجال بقدر عدد الخواتم التي كانت تلبسها، كما أنه يجوز لها أن تقيم علاقات أخرى مع الرجال من غير زواج بالقدر الذي تراه.

وعند الانتهاء من الرقص تطلب الروح المرطبات أو المشروبات الكحولية، وتطلب نقلها على كرسي لتنام ثم تفارق بعد ذلك جسد المرأة(١).

ولاشك أنَّ هذه الروح التي تعبث بالبشر وتجعلهم لعبة في يدها إنما هي شيطان من الشياطين.

ويلاحظ المتابعون لأخبار الانتخابات في العالم الغربي أن المتنبئين والمتنبآت بالغيب ينشطون في فترة الانتخابات في التنبؤ فيمن يكون الرئيس المقبل، كما تكثر التنبؤات فيما سيكون عليه مستقبل البلاد في السنوات القادمة.

وقد نقلت لنا الصحافة خبر مأساة عظيمة وعجيبة، فقد انتحر في أمريكيا أكثر من ثمانمائة شخص، اتبعوا مهووسا يدعى (جون). وقد أمر هذا الضال أتباعه بالعزلة عن المجتمع، ليتطهروا ويمارسوا طقوسهم الخرافية الخاصة بهم، وعندما اتخذ زعيمهم قرار الموت الجماعي، تقدموا لملاقات الموت عن طواعية، وانتحروا جميعا، وقبل أن يُقْدموا على الموت ذبحوا أطفالهم وصغارهم.

---

(١) راجع ملحق جريدة الأنباء الكويتية: تاريخ ١٩٨٨/٦/٢٢.

وتنقل لنا وكالات الأنباء أنَّ كوريا جنوبيا دجالا اتبعه ملايين من البشر، وفاقت شعبيته شعبية أي رئيس جمهورية جلس على كرسي الحكم في الولايات المتحدة، وامتلك من وراء ذلك بلايين الدولارات، وقصورا بالغة الفخامة.

وأوضح دليل على العقلية الخرافية في العالم المعاصر تلك العين المرسومة على الدولار الأمريكي لدرء عين الحسود.

والذي يتابع أخبار السحرة والمشعوذين في بلادنا العربية والإسلامية يجد أن الأمر لا يقل سوءا عمّا يحدث في فرنسا وأمريكيا، وكان المفروض أن لا يجد السحرة لهم سوقا رائجة في ديار الإسلام التي يحرِّم دينها السحر ويعده احدى الموبقات الكبار.

وسأذكر للقارىء الكريم بعض ما نشر في الصحف والمجلات الكويتية عن السحر في دولة الكويت وحدها في فترة تتبعت فيها كثيرا مما كتب في هذا الموضوع.

نشرت جريدة القبس في عددها (٨ مارس ١٩٧٩) خبر إلقاء رجال المباحث على مشعوذة تقوم بأعمال السحر والشعوذة كانت تتقاضى مقابل الجلسة الواحدة مع مرضاها مبلغ (٢٠) دينارا.

وفي عدد القبس المنشور بتاريخ ٢١ يونيو ١٩٧٩ خبر إدانة محكمة الجنح لمشعوذة تدعى «سكينة» بتهمة النصب والاحتيال، وممارسة السحر والشعوذة، وقد وجد عندها كمية من الخرز والحجارة والأحجار التي تمارس بها طقوسها السحرية، وكانت تحصل على (٤٥) إلى (٥٠) دينارا مقابل الجلسة الواحدة، ووجد أنها تمارس هذه الشعوذة منذ عشرين عاما.

ومن أغرب ما نشر خبر مشعوذ يدَّعي القدرة على علاج المرضى النفسانيين بأساليب غريبة، فقد ذكرت القبس بتاريخ ٢١ يناير ١٩٨٠ أنَّ مشعوذا يُدْعى

(عودا) كان يستقبل ضحاياه في خيمة بالصحراء، ويعالجهم بإدخال أسياخ حديدية في أجسامهم، بحيث يخترق السيخ الجسد حتى يظهر من الجهة الأخرى ولا يكتفي بهذا، بل يلجأ إلى ضرب المريض بالسيخ أو بالسيف، وقد ضبط رجال المباحث مع هذا الأفاك مبلغا من المال هو حصيلة دجله وشعوذته.

ونشرت جريدة القبس بتاريخ ١٨ يناير ١٩٨٠ أنّ رجال المباحث قبضوا على حارس يمارس السحر والشعوذة ويزعم أنه يصنع أحجبة تحبب المرأة إلى زوجها.

وفي عدد القبس (٢٧ يناير ١٩٨٠) خبر القبض في الجهراء على مشعوذة وابنها لممارستها السحر والشعوذة.

وفي عدد القبس (١١ يوليو ١٩٨٠) نبأ القبض على رجل يمارس السحر يبلغ من العمر (٩٠) عاما، وجد رجال المباحث عنده أوراقا وخرزا وودعا ورأس هدهد ورجل ذئب.

وتذكر القبس في عدد (١٦ يوليو ١٩٨٠) نبأ قبض رجال المباحث في محافظة العاصمة على امرأة تدعى فاطمة بتهمة ممارسة السحر، تصنع الحجاب الواحد بمبلغ (٥٠) دينارا. وتستعمل في سحرها دجاجة وكمية من السكر، وهي تطلب من المريض وضع قطعة السكر في مكان حساس ووضع الدجاجه تحت السرير.

وفي عدد القبس ٨ اكتوبر ١٩٨٠ نبأ القبض على مشعوذة تدعى (وبرية) تمتهن أعمال السحر.

ونشرت جريدة السياسة بتاريخ ٢٨ مايو ١٩٨٠ نبأ راهبة سورية في الرميثية تداوي بالأدعية والطب العربي، وذكرت أن مواعيدها محجوزة لمدة سنتين.

وفي (٢٥ يوليو ١٩٧٩) نشرت جريدة القبس حديثا للسيد عبدالكريم جعفر مدير مكتب وزير الصحة في دولة الكويت يحذر فيه المرضى الكويتيين من مشعوذة يرحل إليها بعضهم للمداواة والعلاج، وهذه المشعوذة من الأردن تدعى (مدللة).

وقد ذكر مدير مكتب الوزير في حديثه أنه سافر بتكليف من وزير الصحة إلى الأردن وقضى فيها ستة أيام واطلع على شيء من الدجل الذي تقوم به تلك المشعوذة التي يأتيها المرضى من بلاد بعيدة ومنها الكويت. وذكر أنها تستقبل في كل يوم (٣٠) مريضا تقريبا، ولكنه لم يثبت أنَّ مريضا واحدا تم شفاؤه على يديها.

وذكرت جريدة القبس بتاريخ (٢ أغسطس ١٩٨٥) أنَّ نصابا باع امرأة وصفة خرافية بمبلغ (١٥٠٠) دينارا كويتيا، وكانت هذه المرأة عاقرا، وزعم هذا المشعوذ أنه قادر على جعلها تنجب، واكتشفت المرأة بعد فوات الأوان أنها دفعت مبلغا كبيرا في مقابل أوراق مسوَّدة بكلمات وحروف وبعض المواد الرخيصة التي لا تساوي دينارا واحدا.

وفي جريدة السياسة بتاريخ (١٢ مايو ٨٧) خبر مفاده أنَّ امرأة استطاعت أن تحصل من ثري على مبلغ (١٥٠) ألف دينار كويتي، يدعي هذا الثري أنَّ هذه المرأة سحرته، بعد أن أسقته شوربة دجاج، فأوقعته في حبها، فخطبها، ثمَّ طلبت منه مالا فوضع هذا المبلغ تحت تصرفها، ثم لم يرها بعد ذلك.

وفي جريدة القبس بتاريخ (٢١ فبراير ١٩٨٧) خبر عن دجال استطاع أن يجمع مبلغا كبيرا من المال من المقيمين والوافدين الذين يعانون من أمراض نفسية، وقد فرَّ بعد ذلك هاربا تاركا بين أيديهم أحجبة لا تسمن ولا تغني من جوع.

وقد نشرت جريدة السياسة بتاريخ (٢١ مايو ١٩٨٦) صورا لأحجبة لا تفهم كلماتها. وتحتوي على آيات قرآنية متداخلة، وتوسلات شركية.

وذكرت الجريدة أنّ شبكة من المشعوذين في الكويت تُسوّق هذه الأحجبة والخزعبلات وأن الحجاب قد يبلغ (١٥٠٠) دينارا. وذكرت الجريدة أنّ أفراد هذه الشبكة يتكاثرون في المناطق التي يسكنها البسطاء من الناس الذين يسهل خداعهم.

وهؤلاء المشعوذون يستخدمون في أداء طقوسهم السحرية أمورا كثيرة مثل الميدالية الملفوفة بخيط وهي ضد السحر، والخرزة لجلب الحظ وللمحبة، أو لجلب الرزق، أو للتفريق بين الزوجين، كما يستخدمون الفنجان وقراءة الكف وطق الطار، والبخور والودع وطاسة الخلاص، ويطلبون من زبائنهم مطالب غريبة، فقد يطلب الواحد منهم نعجة سوداء، أو خروفا أبيض، أو ذا قرون، وقد يطلبون ذبح ديك ودفنه في المقبرة.

الفصل الثاني

تعريف السحر

المبحث الأول

تعريف السحر لغة

يطلق السحر في لغة العرب على كلّ شيء خفي سببه ولطف ودقّ، ولذلك تقول العرب في الشيء الشديد الخفاء: أخفى من السحر، وتصف ملاحة العينين بالسحر، لأنها تصيب القلوب بسهامها في خفاء، كما يوصف البيان بالسحر، ومنه قول الرسول ﷺ: (إنَّ من البيان لسحرا[1])، وإنما كان بعض البيان سحرا لأنه «يروق للسامعين، ويستميل قلوبهم، ويغلب على نفوسهم، ويحوِّل الشيء عن حقيقته، ويصرفه عن وجهته» وسُمِّي السحور سحورا لأنه يقع

---

(١) حديث «إن من البيان لسحرا» رواه البخاري في صحيحه في كتاب الطب، باب: إن من البيان لسحرا، فتح الباري (٢٣٧/١٠) قال: عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: «قدم رجلان من المشرق فخطبا، فعجب الناس لبيانها، فقال رسول الله ﷺ: «إن من البيان لسحرا».

وقد قال بعض العلماء: هذا خرج مخرج الذم، فالرجل يكون عليه الحق، وهو ألحن بحجته من صاحب الحق، فيسحر القوم ببيانه، فيذهب بالحق، وذمّه هنا لأن فيه تصويب الباطل وتزيينه حتى يتوهم السامع أنه حق.

وحمل بعضهم الحديث على المدح والحث على تحسين الكلام وتحبير الألفاظ، وإنما يحمد صاحب البلاغة مالم يخرج إلى حد الاسهاب والاطناب، وتصوير الباطل في صورة الحق. (راجع فتح الباري: ٢٣٧/١٠، وتفسير القرطبي: ٥٤/٢).

خفيا آخر الليل، والسَّحر: الرئة، وهي محلُّ الغذاء، وسميت بذلك لخفائها ولطف مجاريها إلى أجزاء البدن، وتطلق العرب السحر على الخديعة، لأنه يخفى سببها ويدقُّ، ومنه قول لبيد:

فإن تسألينا فيم نحن فإننا عصافير في هذا الأنام المسحَّرِ[1]

(1) راجع في المعنى اللغوي: لسان العرب: ٢/١٠٦. والقاموس المحيط: ص ٥١٩. وكتب اللغة.

المبحث الثاني

تعريف السحر في إصطلاح العلماء

لم يفرق الجصَّاص في تعريف السحر بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي، فالسحر عنده «اسم لكلّ أمر خفي سببه وتخيل على غير حقيقته وجرى مجرى التمويه والخداع[(١)]».

وذهب هذا المذهب الفخر الرازي في تفسيره فقال: «اعلم أن لفظ السحر في عرف الشرع مختص بكلّ أمر يخفى سببه، ويتخيل على غير حقيقته، ويجري مجرى التمويه والخداع[(٢)]».

وهذان التعريفان غير مانعين، ولذلك أدخل هذان العالمان في السحر ما ليس منه، وسيأتي بيان هذا عند الكلام على أنواع السحر.

وعرف ابن عابدين السحر بأنه «علم يستفاد منه حصول ملكة نفسانية يقتدر بها على أفعال غريبة لأسباب خفية[(٣)]».

وعرَّفه ابن خلدون تعريفا قريبا من التعريف السابق فقال: «السحر علوم بكيفية استعدادات تقتدر بها النفوس البشرية على التأثير في عالم العناصر، إمّا بغير معين أو بمعين من الأمور السماوية، والأول هو السحر والثاني الطلسمات[(٤)]».

---

(١) أحكام القرآن للجصاص: ١/٤٢.
(٢) قصة السحر: ٢٥.
(٣) حاشية ابن عابدين: ١/٤٤.
(٤) المقدمة: ٩٢٣.

والفرق بين التعريفين الأولين والتعريفين الأخيرين أنّ السحر عند الأولين يشمل كلّ ما خفي سببه سواء كان هذا الذي خفي سببه حيلة علمية أو خاصية لبعض المخلوقات أو كان تخيلا وخداعا، أما التعريفان الأخيران فإنهما يجعلان السحر صفة لبعض النفوس تستطيع بما علمته من السحر التأثير في العالم المادي.

ونحن لا ننازع الجصّاص والرازي في جواز إطلاق اسم السحر على كلّ ما خفي سببه، ولكننا ننازعهما في أنّ ذلك هو اصطلاح الشارع، وقد أقرّ الجصّاص بأن اسم السحر أطلق على البيان في حديث الرسول ﷺ «إن من البيان لسحرا» مجازا لا حقيقة(١).

وكان الأحرى به أن يجعل دخول النميمة وما يفعله أصحاب الحيل بمعونة الآلات المركبة على النسب الهندسية، والاستعانة بالأدوية للتوصل إلى المراد، وخفة اليد في السحر من باب التجوز، وليست من السحر الحقيقي الذي حكم الله بكفر فاعله.

يقول الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب: «سحر الأدوية والتدخين ونحوه ليس بسحر، وإن سمي سحرا فعلى سبيل المجاز، كتسمية القول البليغ والنميمة سحرا، ولكنه حرام لمضرته، يعزر من يفعله تعزيرا بليغاً(٢)».

وهناك أمر آخر له أثر بين في توجيه العلماء في تعريف السحر وجهة معينة وهو اعتقاد بعضهم أنّ السحر لا حقيقة له، واعتقاد البعض الآخر بأنّ له حقيقة.

---

(١) أحكام القرآن: ١/٤٣.

(٢) تيسير العزيز الحميد: ص ٣٢٥.

فأبوبكر الرازي الذي عَرَّفه بأنَّه اسم لكلّ أمر خفي سببه وتخيل على غير حقيقته وجرى مجرى الخداع والتمويه، إنما عرفه على هذا النحو لأنَّ السحر لا حقيقه له عنده.

ومن الذين ذهبوا هذا المذهب من المعاصرين الأستاذ سيد قطب، فقد قال في تعريفه: «إنَّ السحر خداع الحواس، وخداع الأعصاب، والإيحاء إلى النفوس والمشاعر، وهو لا يغيّر من طبيعة الأشياء، ولا ينشيء حقيقة جديدة لها، ولكنه يخيل للحواس والمشاعر بما يريده الساحر[1]».

أما الذين ذهبوا إلى أنَّ للسحر حقيقة فقد عرفه بمثل ما عرفه به ابن خلدون.

ومن الذين ذهبوا هذا المذهب ابن قدامة، فقد قال في تعريفه: «هو عقد ورقى يتكلم به أو يكتبه، أو يعمل شيئا يؤثر في بدن المسحور أو قلبه أو عقله من غير مباشرة له[2]»

وقال التهانوي في تعريفه: «هو الإتيان بخارق عند مزاولة قول أو فعل محرم في الشرع، أجرى الله سبحانه سنته بحصوله عنده ابتداءً[3]».

---

(١) في ظلال القرآن: ٦/٤٠٠٧.

(٢) المغني: ٨/١٥٠

(٣) كشاف اصطلاحات الفنون: ١٥٢

المبحث الثالث

الفرق بين السحر والمعجزة والكرامة

التدقيق في الفروق بين السحر والمعجزة والكرامة تظهر لنا حقيقة السحر، فكثير من الناس يختلط عليهم أمر السحر بأمر المعجزة والكرامة، والمعتزلة أنكروا حقيقة السحر لما لم يستطيعوا التفرقة بينه وبين المعجزة.

والفرق بين السحر والمعجزة والكرامة من وجوه:

الأول: السحر علم مكتسب يحصل بالتعلم والصناعة، قال تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾(1). وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ﴾(2). وقال موسى للسحرة: ﴿مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾(3).

وهو يتم بمعاناة أقوال وأفعال، والكرامة هبة ومنحة من الله لا تحتاج إلى شيء من المعاناة، والمعجزة كذلك وتعطى لأنبياء الله ورسله(4). يقول ابن خلدون: «المعجزة قوة إلهية تَبعث في النفس ذلك التأثير، فهو مؤيد بروح الله على فعله ذلك، والساحر إنما يفعل ذلك من عند نفسه وبقوته النفسانية، وبإمداد من الشياطين في بعض الأحيان»(5).

---

(1) سورة البقرة: ١٠٢.
(2) سورة طه: ٦٩.
(3) سورة يونس: ٨١.
(4) راجع فتح الباري: ٢٢٣/١٠.
(5) مقدمة ابن خلدون: ٩٣٢.

الثاني: أنَّ المعجزة والكرامة لا تظهر على فاسق، والسحر لا يظهر إلا من فاسق، «فالنبي الذي تظهر المعجزات على يديه أفضل الناس نشأة ومولدا ومزية وخُلُقًا وخَلْقا وصدقا، وأدبا وأمانة وإشفاقا ورفقا وبعدا عن الدناءآت والكذب والتمويه. . .، وأما الساحر فعلى العكس من ذلك كلِّه لا تجده في موضع إلا ممقوتا حقيرا بين الناس وأصحابه وأتباعه كلُّ مبطل»(١).

يقول ابن حجر: «ينبغي أن يعتبر بحال من يقع الخارق منه، فإن كان متمسكا بالشريعة متجنبا للموبقات فالذي يظهر على يده من الخوارق كرامة، وإلا فهو سحر، لأنه ينشأ عن أحد أنواعه كإعانة الشياطين»(٢).

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية في السحرة والعرافين والكهان والمجتهدين في العلم والزهد والعبادة، ولكنهم لا يؤمنون بما جاءت به الرسل ولا يصدقونهم بما أخبروا، ولا يطيعونهم فيما أمروا: «هؤلاء جميعهم لابدَّ أن يكذبوا ولابدَّ أن يكون في أعمالهم ما هو إثم وفجور مثل نوع من الشرك أو الظلم أو الفواحش أو الغلو أو البدع في العبادة، ولهذا نزلت عليهم الشياطين واقترنت بهم فصاروا من أولياء الشيطان لا من أولياء الرحمن، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾(٣).

وَذِكْرُ الرحمن هو الذكر الذي بعث الله به رسوله ﷺ مثل القرآن، فمن لم يؤمن بالقرآن ويصدِّق به ويعتقد وجوب أمره فقد أعرض عنه، فَيُقَيِّضُ له الشيطان فيقترن به، ولهذا لو ذكر الرجل الله سبحانه وتعالى دائما ليلا ونهارا مع غاية الزهد، وعبده مجتهدا في عبادته، ولم يكن متبعا لذكره الذي أنزله ـ وهو

---

(١) الفروق: ٤/١٧٠.
(٢) فتح الباري: ١٠/٢٢٣.
(٣) سورة الزخرف: ٣٦.

القرآن ـ كان من أولياء الشيطان، ولو طار في الهواء أو مشى على الماء، فإنّ الشيطان يحمله في الهواء»[1].

ويقول ابن خلدون في هذا المعنى: «الساحر لا يصدر منه الخير، ولا يستعمل في أسباب الخير، وصاحب المعجزة لا يصدر منه الشرّ، ولا يستعمل في أسباب الشر، وكأنها على طرفي النقيض في أصل فطرتها، والله يهدي من يشاء، وهو القوي العزيز، لا ربَّ سواه»[2].

الثالث: «أنَّ معجزات الأنبياء عليهم السلام على حقائقها، وبواطنها كظواهرها، وكلما تأملتها ازددت بصيرة في صحتها، ولو جهد الخلق كلُّهم على مضاهاتها ومقابلتها بأمثالها ظهر عجزهم عنها، ومخاريق السحرة وتخييلاتهم إنما هي ضرب من الحيلة والتطلف لإظهار أمور لا حقيقة لها، وما يظهر منها على غير حقيقتها يعرف ذلك بالتأمل والبحث، ومتى شاء أن يتعلم ذلك بلغ فيه مبلغ غيره، ويأتي بمثل ما أظهره سواه»[3].

وتناول هذا المعنى القرافي مفرقا بين السحر والمعجزة فقال: «الفرق بينهما أنَّ السحر والطلسمات والسيمياء ليس فيها شيء خارق للعادة، بل هي عادة جرت من الله بترتيب مسبباتها على أسبابها، غير أن تلك الأسباب لم تحصل لكثير من الناس، بل للقليل منهم كالعقاقير التي تعمل منها الكيمياء والحشائش التي يعمل منها النفط الذي يحرق الحصون والصخور، والدهن الذي من ادهن به لم يقطع فيه حديد، والسمندل الحيوان الذي لا تعدو عليه النار، ولا يأوي إلا فيها، هذه كلُّها ونحوها في العالم أمور غريبة قليلة الوقوع، وإذا وجدت أسبابها

---

(١) مجموع الفتاوى: ١١/١٧٣.
(٢) مقدمة ابن خلدون: ٩٣٥.
(٣) أحكام القرآن للجصّاص: ١/٤٩.

وجدت على العادة فيها.

وكذلك إذا وجدت أسباب السحر الذي أجرى الله به العادة حصل، وكذلك السيمياء وغيرها كلُّها جارية على أسباب عادية، غير أن الذي يعرف تلك الأسباب قليل من الناس. أما المعجزات فليس لها سبب في العادة أصلا، فلا يجعل الله تعالى في العالم عقارا يغلق البحر أو يسيِّر الجبال في الهواء، ونحو ذلك، فنحن نريد بالمعجزة ما خلق الله تعالى في العالم عند تحدي الأنبياء على هذا الوجه، وهنا فرق عظيم»[1].

وهذا الذي قاله هذان العالمان صحيح، فإنَّ المعجزة لا يمكن مضاهاتها، ولا يعلم البشر لها سببا، أما السحر فله أسباب خفية، قد يجهلها الناس ويعلمها النزر اليسير منهم، وقد يجهلها أهل عصر ويعلمها من بعدهم، فقد كان بعض الذين يتصلون بالجن قديما تريهم الجن «شيئا براقا مثل الماء والزجاج، ويمثلون له فيه ما يطلب منه الأخبار به، فيخبر الناس به، وكانوا يوصلون إلى وليهم كلام من استغاث به من أصحابه، ويجيبهم، فيوصلون جوابه إليه»[2].

وقد استطاع البشر في هذا العصر أن يصلوا إلى هذا الذي وصل إليه الجن، وعلمه القاصي والداني، فهذه الهواتف والراديوات والأقمار الصناعية التي تنقل الأخبار صباح مساء تجعلنا نعلم أمورا كان يظنها الناس قديما في قمة السحر، وكان الشياطين يضلُّون بها العباد، ولا يمكنون العباد من الاستفادة منها إلا إذا عبدوهم من دون الله.

والانتقال من مكان إلى مكان بسرعة فائقة أصبح اليوم يتم في وقت قصير، وكان الذي تنقله الشياطين بمثل هذه السرعة، يَعْجَبُ الناس له أشدَّ

---

(١) الفروق: ١٦٨/٤.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام: ٣٠٩/١١.

العجب، وقد أعلمنا الله أنَّ لدى الشياطين قدرات عجيبة يتمكنون بها من الانتقال في هذا العالم، وينقلون من يريدون نقله.

الرابع: أنَّ المعجزة لا يمكن إبطالها أما السحر فإنه يمكن إبطاله، إما أن يبطله ساحر مثله أو أعلم منه، ولذلك يقوم صراع وحروب بين السحرة وشياطينهم، وإما أن يبطله أهل التقى والإيمان بما أعطاهم الله من اليقين، وبما يتلونه من آيات الكتاب، والأدعية والأذكار. وقد حدث أن حضر بعض الأتقياء عند بعض هؤلاء المنحرفين، فقرأ آية الكرسي، فلم يستطع أن يفعل الساحر شيئا. وطار بعض هؤلاء في الهواء فلما هلل بعضهم سقط المحمول ووقع.

ويذكر ابن خلدون أنَّ راية كسرى ـ وكانت تدعى «زَرْكشن كاويان» ـ كان فيها الوفق المثيني العَدَدي منسوجا بالذهب في أوضاع فلكية، رصدت لذلك الوَفْق، وأهل الطلَّسمات والأوفاق يزعمون أنَّ هذا الوفق الذي كان في الراية مخصوص بالغلب في الحروب، وأنَّ الراية التي يكون فيها أو معها لا تنهزم أصلا.

ولكن هذه الراية سقطت في معركة القادسية كما سقط قائد الفرس رستم، وتمرغت بالوحل، فقد عارض هذا السحر الذي تلبست به هذه الراية المدد الإلهي من إيمان أصحاب رسول الله ﷺ، وتمسكهم بكلمة الله، فانحلَّ كلُّ عقد سحري، ولم يثبت أمام جحافل الإيمان، وبطل ما كانوا يعملون[1].

الخامس: السحر يوجد من الساحر وغيره، وقد يوجد جماعة يعرفونه ويمكنهم الإتيان به في وقت واحد، والمعجزة لا يمكن أن يأتي أحد بمثلها[2].

---

(١) راجع مقدمة ابن خلدون: ٩٣٤.

(٢) تفسير القرطبي: ٢/٤٧.

السادس: والفرق الذي اعتمده المتكلمون أنه راجع إلى التحدي، وهو دعوى وقوعها على وفق ما ادعاه الرسول. قالوا: والساحر مصروف عن مثل هذا التحدي، فلا يقع منه. ووقوع المعجزة على وفق دعوى الكاذب غير مقدور، لأنَّ دلالة المعجزة على الصدق عقلية، لأنَّ صفة نفسها التصديق، فلو وقعت مع الكذب لاستحال الصادق كاذبا وهو محال، فإذن لا تقع المعجزة مع الكاذب بإطلاق[1].

(١) مقدمة ابن خلدون: ٩٣٥.

المبحث الرابع
الفرق بين السحر والحسد

ولمزيد من التدقيق في تحديد معنى السحر ينبغي أن نبحث في الفرق بين السحر والحسد، فقد يخلط بعض الناس بينهما. تقول العرب: «حَسَدَه يَحْسِده ويَحْسُدُه حَسَدًا وحَسَّدَه، إذا تمنى أن تتحول إليه نعمته وفضيلته، أو يسلبهما هو، قال:

وترى اللبيب مُحَسَّدا لم يَجْتَرِمْ   شَتْم الرجالِ وعرضه مَشْتُومُ

وقال الجوهري: الحسد أن تتمنى زوال نعمة المحسود إليك، يقال: حَسَده يَحْسُدُه حُسُودا»[1].

فإذا تمنى الإنسان مثل النعمة التي وهبها غيره من غير أن يتمنى زوالها عن صاحبها، فذلك يسمى الغبطة، يقول صاحب اللسان: «الغَبْطُ: أن يتمنى أن يكون له مثلها، ولا يتمنى زوالها عنه»[2].

والحاسد تتكيف نفسه بالخبث فتصبح نفسا غضبية خبيثة حاسدة تؤثر في المحسود بطريقين **الأول**: قوة النفس الذاتية، وهي في هذه الحال تؤثر في المحسود غاب أم حضر.

والثانية: بطريق عين الحاسد، وهذا لا يؤثر إلا إذا كان المحسود موجودا ونظر الحاسد إليه نظرة شر وحسد، إذ لو نظر إليه نظرة ساه لاه فإنه لا يؤثر فيه شيئا.

---

(١) لسان العرب: ١/٦٣٢.

(٢) لسان العرب: ١/٦٣٢.

والعائن الذي يمرض ويؤذي غيره بسبب تلك النظرة الخبيثة المنبعثة من أعماق نفسه يضر غيره لأمرين:

الأول: لشدّة العداوة والحسد، فإذا قابل العائن عدوه وتوجهت نفسه الخبيثة إلى المنظور إليه أضر به.

والثاني: الإعجاب، وهو أنَّ الناظر يرى الشيء رؤية إعجاب أو استعظام فتتكيف روحه بكيفية خاصة تؤثر في ذلك المتعجب منه.

وقد تكلّم ابن خلدون في (مقدمته) على الذين يؤثرون في الآخرين بعيونهم فقال: «ومن قبيل التأثيرات النفسانية الإصابة بالعين، وهو تأثير من نفس المِعْيان، عندما يستحسن بعينه مدركا من الذوات أو الأحوال، ويفرط في استحسانه، وينشأ عن ذلك الاستحسان حسد يروم معه سلب ذلك الشيء عمن اتصف به، فيؤثر فساده.

وهو جبلة فطرية، أعني هذه الاصابة بالعين، والفرق بينها وبين التأثيرات النفسانية أنَّ صدوره فطري جبلي لا يتخلف ولا يرجع إلى اختيار صاحبه ولا يكتسبه، وسائر التأثيرات ـ وإن كان منها مالا يكتسب ـ فصدورها راجع إلى اختيار فاعلها، والفطري منها قوة صدورها لا نفس صدورها، ولهذا قالوا القاتل بالسحر يُقْتَل، والقاتل بالعين لا يُقْتَل، وما ذلك إلا بما يريده ويقصده أو يتركه، وبما هو مجبور في صدوره عنه».

والساحر والحاسد يشتركان في أنَّ كلَّ واحد منهما يقصد الشر، لكنَّ الحاسد بطبعه ونفسه وبغضه للمحسود، والساحر بعلمه وكسبه وشركه واستعانته بالشياطين[1].

(١) بدائع الفوائد لابن القيم: ٢/ ٢٣٥.

والشياطين تُعين الحاسد والساحر، ولكنَّ الحاسد تعينه الشياطين بلا استدعاء منه للشيطان، والساحر يطلب من الشيطان أن يعينه وربما يعبده من دون الله حتى يقضي له حاجته[1]. وقد قرن الحق تبارك وتعالى في سورة الفلق بين الاستعاذة من شرّ الحاسد وشرّ الساحر في قوله: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ۝ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾[2].

والاستعاذة من هذين الشرين تعمُّ كلَّ شرّ يأتي من شياطين الإنس والجن، فالحسد يكون من شياطين الإنس والجن، وكذلك السحر[3].

وقد دلَّ قوله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾[4] على أنَّ للحاسد شرّاً يؤذي المحسود، فلا يجوز أن يدَّعى مدع أنَّ الحاسد لا يؤثر في المحسود ولا يضره، وقد رأينا في هذا العصر حيوانات بريّة وبحرية تقتل غيرها من طريق أشعة تنبعث من عينها أو جسدها، فلم لا يكون في بعض الناس قوة خاصة تؤذي الآخرين وتضربهم.

---

(١) بدائع الفوائد: ٢/٢٣٤.
(٢) سورة الفلق: ١ ـ ٥.
(٣) بدائع الفوائد: ٢/٢٣٣.
(٤) سورة الفلق: ٥.

الفصل الثالث

بواعث السحر ودوافعه

الذي يدرس حال السحرة عبر التاريخ يتبين له مدى العناء الذي يعانيه السحرة، وشدَّة العقوبات التي كانت توقع على المتعاملين بالسحر وقسوتها، ومع ذلك استمرَّ إقبال كثير من الناس على تعلم السحر والعمل به، فما الذي يدفع هؤلاء إلى هذا المسلك الخطر.

إنَّ الدافع الأول دافع نفسي مصتبغ بحبِّ الشر والرغبة في إيذاء الآخرين وتدميرهم والسيطرة عليهم، وفي سبيل ذلك يتحالفون مع الشيطان ويدمِّرون أنفسهم كما يدمِّرون غيرهم.

وقد أعطى الجهلاء من الناس السحرة دوافع لمزيد من التوجه نحو هذا الشر الكبير، وذلك لأن كثيراً من الناس يبجلون السحرة ويعظمونهم ويلجؤون إليهم لتحقيق رغباتهم وأهوائهم، وفي سبيل ذلك يبذلون لهم نفائس الأموال، ويغرقونهم بالهدايا والتحف.

وقد حدثنا الباحثون في تاريخ السحر والسحرة عن ذلك الثراء والجاه الذي كان يعيش فيه بعض السحرة والكهنة

فمعبد الكاهنة (دلفي) في اليونان كانت تحيط به الساحات المتسعة وتنتشر فيه النوافير والمعابد الجميلة، وكان له (أستاد) عظيم، ومسرح فخم، وتقوم في

جنباته التماثيل المصنوعة من الذهب والبرنز والرخام، وتزينه الرسوم التي رسمها أعظم فناني ذلك العصر[1].

وحدثنا الباحثون أيضا أنَّ الملك قارون ملك (ليديا) قدَّم لمعبد الكاهنة (دلفي) من كلٍّ نوع من أنواع الحيوانات الصالحة ثلاثة آلاف رأس، وأحرق عدداً كبيراً من غالي الثياب المحلاة باللالىء ونفيس الأحجار الكريمة على أمل أنَّ ذلك كلَّه سوف يكسبه عطف ومناصرة إله ذلك المعبد المزعوم، كما طلب من (الليديين) أن يقدم كل منهم قرباناً لذلك الإله.

وبعد أن انتهى ذلك الملك من تقديم القرابين أذاب قدراً كبيراً من الذهب، وصنع منه قواعد للتماثيل، طول الواحدة منها ستة أشبار، وعرضها ثلاثة أشبار، وارتفاعها شبر، وبلغ عددها (١١٧) قاعدة. وكان أربع من هذه القواعد من الذهب الخالص، أما البقية فكانت من خليط الذهب والفضة، كما صنع تمثالاً لأسد من الذهب الخالص. وصنع قدرين كبيرين، إحداهما من الذهب والأخرى من الفضة، وضعت الذهبية منها إلى يمين الداخل إلى المعبد والفضية إلى يساره، وأرسل قارون إلى ذلك المعبد بالإضافة إلى ما تقدم أربع قوارير من فضة لحفظ الخمور، واثنتين لحفظ ماء الطهور، إحداهما من الذهب والأخرى من الفضة[2].

ولكنَّ الثمن الذي يدفعه السحرة لقاء السحر الذي يحصلون عليه ثمن باهظ كبير، ذلك أنَّهم يدفعون في مقابل السحر أنفسهم، فلا يرضى الشيطان بأقل من العبودية له، وإذا دان العبد للشيطان فإنَّ نفسه تصبح خبيثة، وقلبه

---

(١) التنبوء بالغيب: ص١٩.

(٢) التنبؤ بالغيب: ص٣٤.

مظلما، وأخلاقه دنسة فاسدة، وتصرفاته معوجة هوجاء، فتراه دائما يغرس الشرَّ حيثما حلّ، ويشعُّ في كلّ مكان وصل إليه خبث نفسه وسوء سلوكه.

وقد يرتكب في سبيل إرضاء نفسه الخبيثة وأهوائه الدنسة كلّ الحماقات والشركيات، فيدعو من دون الله آلهة شتى، ويرتكب الموبقات، ويأكل النجاسات والمحرمات، ويذبح الذبائح ويقرب القرابين باسم الشيطان أو باسم الآلهة التي تعبد من دون الله.

وقد رأينا في مواقف كثيرة أنَّ التقدير والاحترام الذي حصل عليه الساحر تحول إلى احتقار وإهانة، فكثيراً ما يثور الناس على الساحر إذا تبين لهم كذبه، أو عدم استطاعته تحقيق ما وعدهم بتحقيقه، ويكون ثمن ذلك هو القضاء على الساحر وإنهاء وجوده.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية مبيناً تفاهة الثمن الذي يحصل عليه السحرة وعظم الخسارة التي تصيبه.

«أرباب السحر والنيرنجيات وعمل الكيمياء وأمثالهم ممن يدخل في الباطل الخفي الدقيق يحتاج إلى أعمال عظيمة، وأفكار عميقة، وأنواع من العبادات والزهادات والرياضات ومفارقة الشهوات والعادات، ثمَّ آخر أمرهم الشك بالرحمن، وعبادة الطاغوت والشيطان وعمل الذهب المغشوش، والفساد في الأرض، والقليل منهم ينال بعض غرضه، الذي لا يزيده من الله إلا بعداً، وغالبهم محروم مأثوم يتمنى الكفر والفسوق والعصيان، وهو لا يحصل إلا على نقل الأكاذيب وتمني الطغيان، سماعون للكذب، أكالون للسحت، عليهم ذلة المفترين»(١).

(١) درء تعارض العقل والنقل: ٥/٦٢.

وقد حمل شيخ الإسلام ابن تيمية حملة شديدة على الفلاسفة الذين يمارسون السحر والتنجيم وبيَّن ضلالهم، وأن غاية الواحد منهم أن يكون مشركاً عابداً للشيطان، وفي هذا يقول:

«المنجمون والمعزمون فيهم من الجهل والضلال والكذب والمحال مالا يحصيه إلا ذو الجلال، وهل كان الطوسي وأمثاله ينفقون عند المشركين من التتر إلا بأكاذيب المنجمين ومكائد المحتالين المنافية للعقل والدين..

وأما أئمتكم البارعون ـ كأرسطو وذويه ـ فغايته أن يكون مشركاً سحّاراً، وزيراً لملك مشرك سحّار كالإسكندر بن فيلبس وأمثاله من ملوك اليونان الذين كانوا أهل شرك يعبدون الأوثان»[1].

ويقول في موضع آخر:

«وهل وُجِد في العالم أجهل وأضل وأبعد عن العقل والعلم من أمة يكون رؤوسها الفلاسفة؟ أَوَلَمْ تكن أئمتكم اليونان ـ كأرسطو وأمثاله ـ مشركين يعبدون الأوثان، ويشركون بالرحمن، ويقربون أنواع القرابين للشيطان؟.

أو ليس من أعظم علومهم السحر، الذي غايته أن يعبد الإنسان شيطاناً من الشياطين، ويصوم له، ويصلي، ويقرب له القرابين، حتى ينال بذلك عرضاً من الدنيا، فساده أعظم من صلاحه، وإثمه أكبر من نفعه؟»[2].

والطريف في الأمر «أن الساحر على الرغم مما يبذله من جهد وتعب، ويُقدِم عليه من تضحيات في سبيل التعاليم الشيطانية ورضاه بالذل والخنوع وارتكابه المعاصي والمخازي وبيع روحه وكلّ ما يملك لإبليس فإننا نرى جزاءه

(١) درء تعارض العقل والنقل: ٥/٦٨.
(٢) درء تعارض العقل والنقل: ٥/٦٤ ـ ٦٥.

من الشيطان لا يتكافأ ولا يتناسب مع كلّ هذا الجهد وهذه التضحيات، لأنَّ عمل الساحر لا يدوم بتاتاً بصفة مستمرة، فإذا أراد الساحر استمرار تأثير سحره فعليه إعادة العمل وتكراره، وبذلك يرتبط الساحر بالشيطان باستمرار، ويشعر أنه بحاجة إليه، فإذا حلت بالساحر المصائب والنوائب فإنَّ الشيطان يتخلى عنه، ولا يسعى لخلاصه»[1].

وقد استعرض محمد محمد جعفر الجهود الهائلة التي يبذلها الذين يمارسون السحر في مواضع من كتابه[2].

أما البشر الذين يلجؤون إلى السحرة فإنّهم لا يرجعون إلا بالحسرة والخيبة، وحسبهم أنهم تركوا المَلاَذَ الحقَّ الذي يجب اللجوء إليه وهو رب العباد، ولجؤوا إلى الشيطان وعبيده فماذا يتوقعون أن يعطيهم؟!.

إنَّ السحر قد اختلط على مدار التاريخ بالأسطورة والحيل المضلِّلة، والخرافات وكلُّ هذا يحرف المسار الفكري والتوجه العملي، ويجعل الإنسان يتصرف تصرفات حمقاء تقضي عليه وعلى أهله وماله.

يحفظ لنا التاريخ أنَّ شعوب أمريكا اللاتينية القديمة دمَّرت حضارتها أسطورة قديمة عن إله أبيض يأتي من وراء البحار لينقذ الشعب.

وعندما جاء (كورتيز) الإسباني على رأس قوة مسلحة اعتقدت تلك الشعوب أنَّ الوعد الأسطوري قد تحقَّق، ولم يكتشف هؤلاء الذين ضلَّلتهم الأسطورة حقيقية (كورتيز) الباحث عن الذهب، إلا بعد أن ذبح مقاتليها، وأرسل الأحياء إلى المناجم.

---

(١) السحر لمحمد محمد جعفر: ص٩١ بشيء من التصرف.
(٢) راجع على سبيل المثال: ص ٢٢٠ ـ ٢٢١.

وفي إفريقيا استثمر الحاكم البريطاني (جورج غراي) أسطورة كانت منتشرة عند قبيلة (الهوسا) إحدى قبائل (البانتو) التي سكنت الأجزاء الجنوبية الشرقية من إفريقيا في إخضاع هذه القبيلة والسيطرة عليها.

وكانت الأسطورة تتمثل في استشارة الأسلاف في كلّ أمر من الأمور، وقد أرسل (جورج غراي) ثلاثة من رجاله في عام (١٨٥٧) في زي (الأسلاف) ليعلنوا لهذه القبيلة القوية والتي كانت خاضت حرباً واسعة ضد المستوطنين الأوروبيين - نبوءة عجيبة، تزعم أنه سيعمُّ أرضها الخير والسلام، وستطرد الأوروبيين والمستعمرين، ولكن بعد أن تشرق الشمس من مغربها، ولكن هذه المعجزة لن تتم إلا بعد أن تذبح القبيلة ماشيتها، وتحرق مزروعاتها، ولم ينفع اعتراض زعيم القبيلة وقلة معه على هذه الاستشارة، وقضى هؤلاء الجهلاء على أنعامهم وزرعهم، ليصبحوا بعد ذلك لقمة سائغة لذلك الحاكم المخادع، الذي استطاع أن يقصم ظهر القبيلة بعد ذلك بيسر وسهولة.

ومن أعظم الدوافع التي تدفع الناس اليوم إلى الوقوع في حبائل السحرة والمشعوذين والأفاكين على الرغم من التقدُّم العلمي الذي بلغته البشرية - المعاناة التي يعانيها البشر في هذه الأيام، فالحيرة والقلق والهموم المستكنة في أعماق القلوب، والعقد النفسية - كلُّ ذلك يجعلهم يلجؤون إلى السحرة والمشعوذين والمخدرات والمهدئات، يطلبون من وراء ذلك راحة النفس وهدوء البال، فلا يزداد حالهم إلا سوءاً.

وكلَّما ابتعد الناس عن الله ومنهجه واللجوء إليه والتوجه إليه عظمت حيرتهم وكثر بلاؤهم، ووجد شياطين الجن والإنس لدجلهم رواجاً عند الضائعين التائهين من البشر.

الفصل الرابع

السحر بين الحقيقة والوهم

اختلف المنتسبون للإسلام في هذه المسألة اختلافا بينا، «فذهب أهل السنة والجماعة إلى أنّ السحر ثابت، وله حقيقة، وعلى هذا أهل الحلّ والعقد الذين ينعقد بهم الإجماع، ولا عبرة مع اتفاقهم بحثالة المعتزلة ومخالفتهم للحقّ»[1].

وقال القرافي في فروقه: «السحر له حقيقة، وقد يموت المسحور أو يتغير طبعه وعاداته، وإن لم يباشره، وقال به الشافعي وابن حنبل، وقالت الحنفية إن وصل إلى بدنه كالدخان ونحوه جاز أن يؤثر وإلا فلا، وقالت القدرية لا حقيقة للسحر»[2].

وقال الشيرازي من الشافعية: «وللسحر حقيقة، وله تأثير في إيلام الجسم وإتلافه، وقال أبو جعفر الاستراباذي من أصحابنا: لا حقيقة له، ولا تأثير له، والمذهب الأول»[3].

وقال النووي: «قال أبو جعفر الاستراباذي من أصحابنا: لا حقيقة للسحر، وإنما هو تخييل، والصحيح أنّ له حقيقة، وبه قطع الجمهور، وعليه

---

(١) تفسير القرطبي: ٢/٤٦.

(٢) الفروق للقرافي: ٤/١٤٩.

(٣) المجموع للنووي: ١٩/٢٤٠.

عامّة العلماء، ويدلّ عليه الكتاب والسنة الصحيحة المشهورة»[1].

وقال ابن حجر الهيثمي: «اختلف العلماء في أنّ للسحر حقيقة أم لا؟ فقال بعض العلماء: إنه تخييل لا حقيقة له، وقال الأكثرون ـ وهو الأصح الذي دلت عليه السنة ـ له حقيقة»[2].

وقال ابن حزم: «ذهب قوم إلى أنّ السحر قلب للأعيان وإحالة للطبائع، وأنهم يُرُون أعين الناس ما لا يرى، وذهب أهلُ الحق إلى أنّه لا يقلب أحد عينا ولا يحيل طبيعة إلا الله عز وجل لأنبيائه»[3].

وواضح من هذه النقول أنّ عامة أهل السنة والجماعة يذهبون إلى القول بأنّ للسحر حقيقة، والذين خالفوا فئة قليلة، منهم أبو جعفر الاستراباذي من الشافعية، وأبو بكر الرازي من الحنفية، وابن حزم الظاهري، والفرقة التي خالفت في هذه هي المعتزلة[4].

يقول الفخر الرازي بعد أن ساق أنواع السحر الثمانية: «اتفق المعتزلة على إنكار هذه الأنواع إلا النوع المنسوب إلى التخييل، والمنسوب إلى التضريب والنميمة، فأمّا الأقسام الخمسة الأولى فقد أنكروها، ولعلهم كفروا من قال بها، وجوّز وجدوها»[5].

---

(١) روضة الطالبين للنووي: ٣٤٦/٩.
(٢) الزواجر: ١٠٠/٢.
(٣) الفصل لابن حزم: ٢/٢.
(٤) المجموع للنووي: ٢٤٠/١٩. أحكام القرآن للجصاص ٤٣/١. المحل لابن حزم: ٣٦/١. والفصل لابن حزم: ٢/٢.
(٥) قصة السحر: ص ٤٧.

أدلـة الجمـهـــور

١ ـ استدلّ الجمهور على أنّ السحر متحقق الوقوع بالأدلة من الكتاب والسنة، فلو لم يكن موجوداً حقيقة لم ترد النواهي عنه في الشرع، والوعيد على فاعله، والعقوبات الدينية والأخروية على متعاطيه والاستعاذة منه، وقد أخبر الله تعالى أنه كان موجوداً زمن فرعون، وسيأتي في ثنايا هذا البحث كثير من النصوص الدالة على ما ذكرنا.

٢ ـ قوله تعالى: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ﴾[1] فقد أخبر الحقُّ في هذا النص أنّ الشياطين يعلّمون الناس السحر، وأنّ الناس يتعلمون منهم، وإذا لم يكن للسحر حقيقة فماذا يُعَلِّمون؟ وماذا يتعلم الناس؟..

ويكفي في الدلالة على المطلوب تصريح النصّ القرآني بأنّ الساحر يفرق بسحره بين المرء وزوجه، وأنه يضرّ بسحره الناس.

٣ ـ قوله تعالى: ﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴾[2] والنفاثات في العقد الساحرات اللواتي يعقدن في سحرهن، وينفثن عليه، فلولا أنّ للسحر حقيقة لما أمر الله بالاستعاذة منه.

٤ ـ واستدلّ القرافي بالإجماع، وهو يرى أنّ الخلاف فيه وقع بعد إجماع الصحابة على أنّ له حقيقة، فلا يلتفت إلى هذا الخلاف.

---

(١) سورة البقرة: ١٠٢.

(٢) سورة الفلق: ٤.

يقول القرافي: «وكان السحر وخبره معلوماً للصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، وكانوا مجمعين عليه قبل ظهور القدرية»[1].

وقال ابن القيم في ردّه على المعتزلة الذين قالوا: إنّ السحر كلّه تخييل: «وهذا خلاف ما تواترت الآثار عن الصحابة والسلف، واتفق عليه الفقهاء، وأهل التفسير والحديث، وما يعرفه عامة الفقهاء»[2]

٥ ــ واستدلّوا بسحره ﷺ، فقد ثبت في كتب السنة أنّ لبيد بن أعصم اليهودي سحر الرسول ﷺ، حتى إنه يخيل إليه أنه يفعل الشيء وهو لا يفعله، ثم شفاه الله وعافاه، وقد استدلّ القرطبي بحديث سحره ﷺ ، ثم قال: «وفيه أنّ النبي ﷺ قال لما حَلّ به السحر: «إنّ الله شفاني»، والشفاء إنما يكون برفع العلة والمرض، فدلّ على أن له حقاً وحقيقة، فهو مقطوع به بإخبار الله تعالى ورسوله على وجوده ووقوعه»[3].

٦ ــ واستدلّ ابن القيم بقوله تعالى: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾[4] وبقوله: ﴿سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ﴾[5].

ووجه الاستدلال بهذه النصوص أنه إذا «جاز على الساحر أن يسحر جميع أعين الناس مع كثرتهم، حتى يروا الشيء بخلاف ما هو به، مع أنّ هذا تغيير في إحساسهم، فما الذي يحيل تأثيره في تغيير بعض أعراضهم وقواهم وطباعهم؟.

---

(١) الفروق للقرافي: ٤/١٥٠

(٢) التفسير القيم: ٥٧١.

(٣) تفسير القرطبي: ٤١/١. وسنتكلم على سحر الرسول ﷺ في فصل مستقل.

(٤) سورة طه: ٦٦.

(٥) سورة الأعراف: ١١٦.

وما الفرق بين التغيير الواقع في الرؤية والتغيير الواقع في صفة أخرى من صفات النفس والبدن؟.. فإذا غير إحساسه حتى صار يرى الساكن متحركاً، والمتصل منفصلاً، والميت حياً فما المحيل لأن يغير صفات نفسه، حتى يجعل المحبوب إليه بغيضا، والبغيض محبوبا وغير ذلك من التأثيرات»[1].

٦ ـ واستدلّ العلماء على حقيقة السحر بوقوع السحر ووجوده، يقول ابن القيم: «والسحر الذي يؤثر مرضا وثقلاً وعقلاً وحباً وبغضاً ونزيفاً موجود، تعرفه عامة الناس، وكثير من الناس عرفه ذوقا بما أصيب به منهم»[2].

وقد شاهد الناس في كلّ عصر ومصر السحرة يطيرون في الهواء ويمشون على الماء.

يقول ابن قدامه: «وللسحر حقيقة فمنه ما يقتل، ومنه ما يمرض، ومنه ما يأخذ الرجل عن زوجته، وما يبغض أحدهما إلى الآخر، أو يحبب بين اثنين، وهذا قول الشافعي»[3]؟.

ويقول أيضاً: «اشتهر بين الناس وجود عقد الرجل عن امرأته حين يتزوجها، فلا يقدر على إتيانها، وحلّ عقده فيقدر عليها بعد عجزه عنها، حتى صار متواتراً لا يمكن جحده، وروى من أخبار السحرة ما لا يكاد يمكن التواطىء على الكذب فيه»[4].

وجاء في كتاب (السحر) لمحمد محمد جعفر أنّ السحر حقيقة كائنة موجودة لا مراء فيها، فقد ذكرته جميع الكتب السماوية، وخلفه البابليون والمصريون

---

(١) التفسير القيم: ٥٧١.
(٢) التفسير القيم: ص٥٧١.
(٣) المغني: ٨/١٥٠.
(٤) المغني: ٨/١٥١.

والهنود والصينيون وغيرهم في كتاباتهم ونقوشهم وتماثيلهم وآثارهم وحوته سجلات وملفات المحاكم في (انجلترا وفرنسا وإيطاليا وبولنده وروسيا والبرتغال) وغيرها، وورد في اعترافات السحرة والساحرات عند محاكمتهم وما خلفوه وراءهم من معدات ومواد وعقود ومواثيق مع الشيطان ومازالت محفوظة بالمكاتب العامة أو المتاحف»[1].

وقال القرطبي: «ولقد شاع السحر وذاع في سابق الزمان وتكلم الناس فيه، ولم يبد من الصحابة والتابعين إنكار لأصله»[2].

ويقول ابن خلدون: واعلم أنَّ وجود السحر لا مرية فيه بين العقلاء من أجل التأثير الذي ذكرناه»[3].

وقد ذكر لنا ابن خلدون شيئاً من السحر الذي شاهده وعاينه يقول في هذا: «ورأينا بالعيان من يصّور صورة الشخص المسحور بخواص أشياء مقابلة لما نواه وحاوله موجودة في المسحور، وأمثال ذلك المعاني من أسماء وصفات في التأليف والتفريق، ثمّ يتكلم على تلك الصورة التي أقامها مقام الشخص المسحور عيناً أو معنى، ثم ينفث من ريقه بعد اجتماعه في فيه بتكرير مخارج تلك الحروف من الكلام السوء، ويعقد على ذلك المعنى في سبب أعدّه لذلك تفاؤلاً بالعقد واللزام، وأخذ العهد على من أشرك به من الجن في نفثه في فعله ذلك، استشعاراً للعزيمة بالعزم، ولتلك البنية والأسماء السيئة روح خبيثة، تخرج منه مع النفخ، متعلقة بريقة الخارج من فيه بالنفث، فتتنزل عنها أرواح خبيثة، ويقع عن ذلك المسحور ما يحاوله الساحر»[4].

---

(١) السحر: ص ١١.

(٢) تفسير القرطبي: ٢/٤٦.

(٣) مقدمة ابن خلدون: ٩٢٧.

(٤) مقدمة ابن خلدون: ٩٢٨.

ويذكر ابن خلدون أيضا أنه شاهد «من المنتحلين للسحر وعمله من يشير إلى كساء أو جلد، ويتكلم عليه في سرّه، فإذا هو مقطوع متخرق، ويشير إلى بطون الغنم كذلك في مراعيها بالبعج، فإذا أمعاؤها ساقطة من بطونها إلى الأرض»(١)

ويذكر ابن خلدون أنَّ هذا الصنف يسمى بالبعَّاجين، لأنَّ أكثر ما ينتحلون من السحر بعج الأنعام، وقصدهم بذلك إرهاب أهلها ليعطوه من فضلها، ويذكر أنَّه لقي جماعة منهم، وشاهد من أفعالهم هذه بذلك، وأخبروه أنَّ لهم وجهة ورياضة خاصة بدعوات كفريّة وإشراك لروحانية الجن والكواكب، سطرت فيها صحيفة عندهم تسمى الخزيزيّة يتدارسونها، وهم يصلون بهذه الرياضة والوُجهة إلى حصول هذه الأفعال لهم، وأنَّ التأثير الذي لهم إنما هو فيما سوى الإنسان الحرّ من المتاع والحيوان والرقيق، ويعبرون عن ذلك بقولهم إنما نفعل فيما يمشي فيه الدرهم، أي ما يملك ويباع ويشترى من سائر المتملكات، هذه ما زعموه، وسألت بعضهم فأخبرني به، وأما أفعالهم فظاهرة موجودة، وقفنا على الكثير منها، وعاينتها من غير ريبة في ذلك»(٢).

ويذكر أنه «سمع أنَّ بأرض الهند في عهده من يشير إلى إنسان فيتحتت قلبه ويقع ميتاً، وينقب عن قلبه، فلا يوجد في حشاه، ويشير إلى الرمانة، وتفتح فلا يوجد من حبوبها شيء»(٣).

---

(١) مقدمة ابن خلدون: ٩٢٨.

(٢) مقدمة ابن خلدون: ٩٣٠.

(٣) مقدمة ابن خلدون: ٩٢٨.

أدلة القائلين بأن السحر تخييل لا حقيقة له

استدل هذا الفريق على مذهبه بأدلة منها:

١ ـ النصوص القرآنية المصرحة بأنّ السحر تخييل وأخذ بالعيون كقوله تعالى: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾(١). وقوله: ﴿سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ﴾(٢).

٢ ـ قال أبو بكر الرازي: «لو قَدِرَ الساحر والمعزِّم على ما يدعيانه من النفع والضرر من الوجوه التي يدعون، وأمكنهما الطيران والعلم بالغيوب وأخبار البلدان النائية والسرق والإضرار بالناس من غير الوجوه التي ذكرنا ـ لقدروا على إزالة الممالك واستخراج الكنوز والغلبة على البلدان بقتل الملوك، بحيث لا يبدؤهم مكروه، ولما مسَّهم السوء، ولامتنعوا عمن قصدهم بمكروه، ولاستغنوا عن الطلب لما في أيدي الناس، فإذا لم يكن كذلك، وكان المدعون لذلك أسوأ الناس حالاً، وأكثرهم طمعاً واحتيالاً وتوصلا لأخذ دراهم الناس وأظهرهم فقرا وإملاقا ـ علمت أنهم لا يقدرون على شيء من ذلك»(٣).

وقال الطبري محتجاً لمن ذهب هذا المذهب: «لو كان في وسع السحرة إنشاء الأجسام وقلب لحقائق الأعيان عما هي به من الهيئات، لم يكن بين الحق والباطل فصل، ولجاز أن تكون جميع المحسوسات مما سحرته السحرة، فقلبت أعيانها؟»(٤).

---

(١) سورة طه : ٦٦.
(٢) سورة الأعراف : ١١٦.
(٣) أحكام القرآن: ١/٤٨.
(٤) تفسير الطبري: ١/٤٦٠.

٣ ــ وقالوا لو بلغ الساحر بأن يفعل بسحره ما قيل، لاختلط السحر بالمعجزة(١).

٤ ــ وقال علماء الغرب: إننا لو أردنا أن نختبر صدق مزاعم السحرة بالتجربة وجدناها وهما في وهم، فقد بقيت في أيدينا عين الرقى والعزائم التي كان يدعي السحرة أنهم يحيون بها الموتى، ولكنها عاجزة عن تحقيق أصغر مزاعمهم(٢).

مناقشة القائلين بأنَّ السحر كلّه تخييل

١ ــ نحن نوافق هؤلاء على أنَّ بعض السحر لا حقيقة له، يقول الراغب: «والسحر يطلق على معان: الأول: الخداع وتخييلات لا حقيقة لها، نحو ما يفعله المشعبذ بصرف الأبصار عما يفعله لخفة يد، وما يفعله النمام بقول مزخرف عائق للأسماع»(٣).

ويقول القرطبي فيما يحكيه عنه ابن حجر العسقلاني: «السحر حيل صناعية يتوصل إليها بالاكتساب، غير أنها لدقتها لا يتوصل إليها إلا آحاد الناس، ومادته الوقوف على خواص الأشياء، والعلم بوجوه تركيبها وأوقاته، وأكثرها تخييلات بغير حقيقة، وإيهامات بغير ثبوت، فيعظم عند من لا يعرف ذلك، كما قال تعالى عن سحرة فرعون: ﴿وَجَآءُو بِسِحۡرٍ عَظِيمٍ﴾(٤) مع أنَّ حبالهم وعصيهم لم تخرج عن كونها حبالاً وعصيا، ثم قال: «والحق أنَّ لبعض أصناف السحر تأثيراً

(١) روح المعاني: ١/٣٣٩.

(٢) دائرة معارف القرن العشرين: ٥/٦٣.

(٣) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني: ص٢٢٦.

(٤) سورة الأعراف: ١١٦.

في القلوب، كالحبِّ والبغض، وإلقاء الخير والشرّ، وفي الأبدان بالألم والسقم»[1].

وقد يكون السحر الذي يقول علماؤنا: إن له حقيقة تخييلاً باعتبار معين، فإنَّ الساحر الذي يطير في الهواء، ويمشي على الماء، ويضير الآخرين، إذا نظرنا إلى أنَّه يطير ويمشي ويضير- فإنَّ ذلك حقيقة، لا شك في ذلك، وإن نظرنا إلى أنَّ هذه الأمور ليست بفعله، وإنما فعلها به غيره، ذلك أنَّ الشياطين هي التي تطير به، وتمشي به، وتضرُّ الآخرين كان فعل الساحر تخييلا باعتبار أننا نظنُّ أنه هو الذي يفعل ذلك، وليس الأمر كذلك.

٢ ــ وأما الرد على الشبهة الثانية فإنَّ قدرتهما على الإيذاء محدودة، فليس معنى قدرتهما على الإصابة بالضرر أنهما يقدران على تحقيق كلِّ شيء، فهذا الإنسان المجرم يستطيع إضرار الآخرين، لكنه لا يقدر على كل شيء.

وسيأتي بيان القدر الذي يقدر عليه الساحر.

٣ ــ أما دعوى اختلاط السحر بالمعجزة، فقد بينا فيما مضى الفرق بينهما، فالسحر لا يتأتى إلا من أولياء الشيطان والمعجزة لا تتأتى إلا من أنبياء الله ورسله، والكرامة لا تجري إلا على يد أولياء الرحمن.

والمعجزة والكرامة هبة إلهية لا حيلة لمن جرت على أيديهم في تحصيلها بينما السحر علوم مكتسبة يستطيع تحصيلها كلُّ من تعلمها.

والمعجزة والكرامة خرق لناموس الكون، أما السحر فمن جنس ما يقدر عليه الإنس والجن، المعجزة والكرامة فعل الله، والسحر فعل الإنسان والشيطان.

---

(١) فتح الباري: ١٠/٢٢٣.

٤ ـ أما أنَّ بعض الناس استعمل تعاويذ السحرة ورقاهم فلم تغن شيئاً، ولم تحقق ما كان السحرة يحققونه. فالجواب عن هذا أنَّ السحرة كانوا قبل رقاهم ومعها يرضون الشيطان، وكانت نفوسهم تتكيف بالخبث والشر، وعند ذلك يقع السحر، أما الذين يرددون هذه الكلمات من غير أن يقيموا قبل ذلك علاقة مع الشيطان، ومن غير أن تتكيف نفوسهم بالشر، فإنهم لم يستكملوا الحالة التي يقع السحر عندها.

وفي ختام هذا المبحث نرى أنَّ الذين قالوا بأنَّ السحر كلَّه حقيقة جانبوا الصواب فيما ذهبوا إليه، والذين زعموا أنَّ السحر كلَّه تخييل لا حقيقة له في الخارج جانبوا الصواب أيضا، والذين أصابوا كبد الحقيقة هم أولئك الذين قسموا السحر إلى قسمين، قسم له حقيقة، وقسم لا حقيقة له وإنما هو تخييل.

وقد قسَّم ابن خلدون السحر في (مقدمته) إلى ثلاثة أقسام: سحر يؤثر من غير مُعين. وسحر يؤثر بمعين. والثالث سحر تخييل لا حقيقة له، ثم قال:

«لما كانت المرتبتان الأوليان من السحر لهما حقيقة في الخارج، والمرتبة الأخيرة والثالثة لا حقيقة لها اختلف العلماء في السحر: هل هو حقيقة أو إنما هو تخييل؟.

فالقائلون بأنَّ له حقيقة نظروا إلى المرتبتين الأوليين؛ والقائلون بأنه لا حقيقة له نظروا إلى المرتبة الثالثة والأخيرة، فليس بينهم خلاف في نفس الأمر، بل إنما جاء من قبل اشتباه هذه المراتب[1].

(١) المقدمة: ص ٩٢٦.

الفصل الخامس

طرائق السحر وأنواعه

بينا في الفصل الماضي أنّ من السحر ماله حقيقة ووجود في الخارج، ومنه ما هو تخييل لا حقيقة له ولا وجود.

وهناك نوع آخر يسميه الناس سحراً وليس بسحر، وإنما هو حيل وخفة يد، وأرى أن يطلق على هذا النوع من السحر اسم السحر المجازي.

وعلى ذلك فيكون السحر ثلاثة أنواع:

الأول: السحر الحقيقي.

والثاني: سحر التخييل.

والثالث: السحر المجازي.

وسنعقد في هذا الفصل لكلّ واحد من هذه الثلاثة مبحثا خاصا به.

المبحث الأول

النوع الأول: وهو السحر الحقيقي وأنواعه

السحر الحقيقي هو السحر الذي له حقيقة في الخارج، وقد نقلنا عن ابن خلدون في الفصل السابق أنَّ له نوعين:

الأول: المؤثر بالهمة من غير آلة ولا معين، وهذا هو الذي تسميه الفلاسفة بالسحر.

والثاني: هو الذي يؤثر فيه الساحر في غيره بمعين من مزاج الأفلاك أو العناصر أو خواص الأعداد، ويسمونه الطلسمات، وهو أضعف من الأول[1].

المطلب الأول:
السحر الذي يؤثر بهمة الساحر

النوع الأول الذي يؤثر فيه الساحر في غيره من غير استعانة بشيء آخر.

وهذا السحر علم خفي مبني على أقوال وأعمال مخصوصة تؤثر في الآخرين بقدرة الله إذا صدرت من الساحر، ويُقَرِّب هذا ما توصل إليه العلم الحديث في هذا العصر، فقد اكتشف العلم قوى خفية تستطيع أن تدمر وتهلك كالأشعة، وقد يتوصل العلم إلى أبعد من هذا، ومثل ذلك يقال في بعض الأشخاص الذين يملكون قوى خاصة يستطيعون أن يصرعوا بها الآخرين إذا تكلموا ببعض الكلمات، وهذا ما يسمى بالعين وقد مضى بيانه والقول فيه.

---

(١) المقدمة: ص ٩٢٦

والذين يسلكون هذا السبيل من السحر فئة من عباد الكواكب ـ كما يقول الشهرستاني ـ ومنهم البراهمة الذين يتسمون باسم «أصحاب الفكرة» والفكر عندهم هو المتوسط بين المحسوس والمعقول، فالصور المعقولات والمحسوسات ترد عليه، فهو مورد العلمين من العالمين.

ولهم في تحقيق هذا النوع من السحر مجاهدات واجتهادات، فإنهم يجتهدون كلَّ الجهد حتى يصرفوا الوهم والفكر عن المحسوسات بالرياضات البليغة، والاجتهادات المجهدة حتى إذا تجرد الفكر عن هذا العالم تجلى له ذلك العالم، فربما يُـخْبر عن مغيبات الأحوال، وربما يقوى على حبس الأمطار، وربما يوقع الوهم على رجل حي فيقتله في الحال.

ومن طريقتهم في هذا أن يغمض الساحر عينيه أياما لئلا يشتغل الفكر والوهم بالمحسوسات، وقد يتعاون طائفة منهم على تحقيق مرادهم، ولهذا ـ من عادتهم ـ إذا دهمهم أمر أن يجتمع أربعون رجلا من المهذبين المتفقين على رأي واحد في الإصابة، فيتجلى لهم ما يهمهم حمله، ويندفع عنهم البلاء الملم الذي يكادهم ثقله، ومنهم طائفة تسمى (البكرنتينية)، يعني المصفدين بالحديد، وسنتهم حلق الرؤوس واللحى، وتعرية الأجسام ما خلا العورة، وتصفيد البدن من أوساطهم إلى صدورهم لئلا تنشق بطونهم من كثرة العلم وشدة الوهم وغلبة الفكر[1]. ولا شك أن هذا الذي يفعلونه مما كادهم به الشيطان وأضلهم به.

وقد استدل القائلون بقدرة الساحر على التأثير في نفوس الآخرين وأجسادهم بأدلة كثيرة منها:

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني: ٢/٢٥٣ ـ ٢٥٤

١ ـــ أنَّ النفوس الإنسانية لها تأثير على بدن صاحبها، فإنَّ النفس تفرح أو تحزن فيظهر الفرح والحزن على البدن، ويتمثل بالسخونة التي تصيب الجسد حال الغضب، والشحوب الذي يعلو الوجه حال الخوف.

ويذكر الرازي أنَّ بعض الملوك أصابه الفالج، وأعيا الأطباء علاجه، فدخل عليه بعض الحذاق منهم على حين غفلة، وشافهه بالشتم والقدح في العرض، فاشتدَّ غضب الملك، وقفز من مرقده قفزة اضطرارية، لما ناله من شدة ذلك الكلام، فزالت تلك العلة المهلكة.

٢ ـــ وكذلك التصورات النفسية التي تعرض للنفس تؤثر في صاحبها، فالذي يمشي على خشبة ملقاة على وجه الأرض، أو يمشي على حائط قريب من الأرض لا يعاني في مساره شيئا، ولكنه إذا مشى على تلك الخشبة وقد نصبت فوق هاوية أو فوق نهر جار، أو سار فوق حائط مرتفع فإنه كثيرا ما يسقط، لأنَّ تخيل السقوط يوجب السقوط إذا قوي.

ولذلك فإنَّ الأطباء ينصحون المرعوف الذي يسيل الدم من أنفه بعدم النظر إلى الأشياء الحمر خشية أن يؤثر هذا على نفسه فيستمر رعافه، كما ينصحون المصروع بترك النظر إلى الأشياء الشديدة اللمعان، لأنَّ هذا يؤثر في نفسه فيتمادى به صرعه.

وأوضح من هذا أنَّ المرء يقذف ما في جوفه من طعام إذا أخبره مخبر أنَّ ما تناوله كان مخلوطا بالبول أو العذرة، وإن كان الطعام نقيا طاهرا، وأخبر بعض الأطباء أشخاصا أنَّ الشراب الذي شربوه يحتوي على مخدر، فغابوا عن وعيهم، مع أنَّ الخبر كان كاذبا، والشراب لم يكن إلا ماءً صافيا.

ووجه الاستدلال بهذه الأمثلة التي ذكرت أنَّ النفس الإنسانية إذا كانت تتأثر بالتصورات التي تعرض لها، ثمَّ تؤثر في البدن الذي تسكنه، حتى يسقطها

الوهم من شاهق، فإن تأثيرها في غيرها من غير الأسباب الجسمانية الطبيعية جائز، إذ نسبة النفس إلى الأبدان في ذلك النوع من التأثير واحدة، لأنها غير حالة في البدن، ولا منطبعة فيه، فثبت أنها مؤثرة في سائر الأجسام.

٣ ـ واستدلُّوا على أنَّ النفوس قد تؤثر في الآخرين بالإصابة بالعين، وقد صحَّ في الحديث (العين حق، ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين) وليس كلُّ أحد يؤذي بالعين، والذين يؤذون بالعين ـ كما يقول القرافي ـ تختلف أحوالهم، فمنهم من يصيد بالعين الطير في الهواء ويقلع الشجر العظيم من الثرى، وآخر لا يصل بعينه إلى ذلك، بل التمريض اللطيف ونحو ذلك[1].

والحقُّ الذي ينبغي أن ننبه إليه أنَّ هذا الساحر لا يؤثر في الآخرين بهمته المجردة دون معونة من غيره، والذي يعينه على الفساد والإفساد الشيطان، والذي نعلمه من حال السحرة أنَّ نفوسهم تتحد مع نفوس الشياطين، فيحدث عند ذلك الفساد والإفساد، وسيأتي الحديث عن دور الشياطين في السحر في فصل مستقل إن شاء الله تعالى.

المطلب الثاني
في سحـر الطلّسمـات

وهذا النوع من السحر يتحقّق كما يزعم السحرة بالاستعانة بالنجوم، وهو الذي يسمى بالطلّسمات عند الفلاسفة، والفرق بينه وبين النوع الأول، أنَّ ذاك يتحقّق بهمة الساحر وإرادته من غير معين، وسحر الطلّسمات يستعين صاحبه «بروحانيات الكواكب، وأسرار الأعداد، وخواص الموجودات، وأوضاع الفلك

---

(١) راجع الفروق: ٤/١٤٦. المقدمة لابن خلدون: ص ٩٣٢.

المؤثرة في عالم العناصر، كما يقوله المنجمون. ويقولون: السحر اتحاد روح بروح، والطلّسم اتحاد روح بجسم، ومعناه عندهم ربط الطبائع العلوية السماوية بالطبائع الفلسفية، والطبائع العلوية روحانيات الكواكب، ولذلك يستعين صاحبه في غالب الأمر بالنجامة»(١).

وقد دقّق القرافي في تعريف الطلّسمات فقال: «الطلّسمات نفس أسماء خاصة لها تعلق بالأفلاك والكواكب على زعم أهل هذا العلم في أجسام من المعادن أو غيرها، تحدث لها آثار خاصة ربطت بها في مجاري العادات، فلابدّ في الطلّسم من هذه الثلاثة: الأسماء المخصوصة، وتعلقها ببعض أجزاء الفلك، وجعلها في جسم من الأجسام، ولابدّ مع ذلك من قوة نفس صالحة لهذه الأعمال فليس كلُّ نفس مجبولة على ذلك»(٢).

«ومعنى الطلّسم - كما يقول حاجي خليفة - عقد لا ينحل، وقيل مقلوب اسمه، أي المسلط، لأنه من القهر والتسلط، وهو علم باحث عن كيفية تركيب القوى السماوية الفعالة مع القوى الأرضية المنفلعة في الأزمنة المناسبة للفعل والتأثير المقصود مع بخورات مقويّة جالبة لروحانية الطلّسم ليظهر من تلك الأمور في عالم الكون والفساد أفعال غريبة، وهو قريب المأخذ بالنسبة للسحر، لكون مباديه وأسبابه معلومة، وأما منفعته فظاهرة، لكن طرق تحصيله شديدة العناء.

وقد بسط المجريطي قواعد هذا الفن في كتابه: (غاية الحكيم). لكنه اختار جانب الإغلاق والدقة لفرط ضنته وكمال بخله في تعليمه. وللعلامة السكاكي كتاب جليل فيه»(٣).

---

(١) مقدمة ابن خلدون: ص ٩٣٢.
(٢) الفروق للقرافي: ١٤٢/٤.
(٣) كشف الظنون: ١١١٤/٢.

وسمّى بعض الباحثين السحر الذي يستعين فيه الساحر بالكواكب بالهِيمياء بكسر الهاء على وزن كبرياء» وهو ما تركب من خواص سماوية تضاف لأحوال الأفلاك، يحصل لمن عمل له شيء من ذلك أمور معلومة عند السحرة، وقد يبقى له إدراك، وقد يُسْلَبه بالكلية، فتصير أحواله كأحوال النائم من غير فرق، حتى يتخيل مرور السنين الكثيرة في الزمن اليسير، وحدوث الأولاد وانقضاء الأعمار وغير ذلك في ساعة ونحوها من الزمن اليسير، ومن لم يعمل له ذلك لا يجد شيئا مما ذكر، وهذا تخييل لا حقيقة له(١).

وهذا النوع من السحر هو سحر الكلدانيين والكسدانيين كما يقول الفخر الرازي الذين كانوا يسكنون على شاطىء الفرات في العراق، وهم يزعمون أنّ الكواكب هي المدبرة لهذا العالم، ومنها تصدر الخيرات والشرور والسعادة والنحوس، وقد بعث الله إليهم خليله إبراهيم ـ عليه السلام ـ مبطلا لمقالتهم، وداحضا لشركهم(٢).

والصواب من القول أنّ هذا الذي نسميه بالطلّسم هو من عمل الشيطان وفعله، وليس للكواكب فيه فعل، ونسبتهم هذه الأمور إلى الكواكب إنما هو لإخفاء ضلالهم وكفرهم، وتدجيلا على الناس، وقد تنبه إلى هذا محمد محمد جعفر فقال:

«الطلّسم: هو العمل الذي يقوم به الساحر بمساعدة الشيطان أو بناء على أمره على الورق أو القماش أو المعدن أو الخشب أو الأحجار الكريمة أو المعجون (كالشمع والطين) بشكل مخصوص في وقت مخصوص وبحجم وصورة معينة لضرر نفر أو أكثر في شخصه أو ما يملكه..

---

(١) أضواء البيان: ٤/٤٩٠. الفروق للقرافي: ٤/١٣٨.
(٢) قصة السحر: ص ٢٥.

والتعويذة أو التميمة: هي العمل الذي يقوم به أي شخص مختص غير الساحر على المواد السابق ذكرها لمنع تأثير السحر أو فساده لحاملها أو لأغراض أخرى يقصد بها منفعة حاملها أو صاحبها دون غيره»[1].

وقد أطال محمد محمد جعفر في الكلام على الطلاسم وطريقة صنعها وآثارها فقال:

«وتختلف الطلاسم كثيرا باختلاف الزمن الذي يتم فيه صنعها ومادتها وغرضها. فالطلّسم الذي يصنعه الساحر لإصابة شخص معين بمرض معين لا ينفع لشخص آخر يرد إصابته بنفس المرض.

ويحوي الطلّسم كلمات ورسوماً ونقوشاً ورموزاً مكتوبة أو محفورة أو بارزة ملونة وغير ملونة، وكلُّها في غاية الصعوبة والدقة ويستحيل على الشخص العادي فهمها أو حلها، ولذا أطلق لفظة (طلّسم) على الكتابة الرديئة وغيرها التي يحتار المرء في معرفتها.

وصنع الطلاسم لا يقدر عليه إلا كلُّ ساحر عاتي شاخ وداخ في مهنته لما يتطلبه من معرفة تامة بالشياطين ودراية عميقة بالبذور والأعشاب والمعادن ودراسة الكواكب وغيرها من العوامل الكثيرة التي يتطلبها عمل الساحر.

ومن الطلاسم ما يستمرُّ مفعوله بضعة أيام ثم يفسد إلا إذا تكرر. ومنها ما يمكث بضعة شهور أو سنوات. ومنها ما يستمرُّ لأجلٍ طويل، وهذا يندر جدا.. ولذلك كان من السهل جدا علاج هذه الطلاسم بما يناسبها من التعاويذ والتمائم.. ومن الطلاسم ما يحمله الإنسان. ومنها ما يعلق في مهب الأرياح، أو يدفن في جوف الأرض أو القبور المهجورة، أو يلقى في مياه الأنهار والبحار، أو

(١) السحر: ص ٢١٥.

في بئر. ومنها ما يحرق، ومنها ما لا تمسّه النيران بتاتاً، وإذا مسته يفسد... ولكن لا يوجد طلسم يؤكل أو يشرب.

ويستغرق صنع الطلّسم وقتا طويلا من الساحر حسب أهميته وغرضه، ولابد له قبل البدء في عمله من الاستعداد التام له من تحضير المواد والبخور والمعلومات اللازمة عن الشخص الذي سيعمله ضده وتهييج وإثارة الشياطين الخاصة، ورسم الدوائر السحرية ورموزها ونقوشها بجانب ما يتلوه من عبارات شيطانية ويرتدي ملابس خاصة»[1].

تأثير الطلاسم

ويذكر ابن حزم أنَّ من أنواع الطلاسم التي شاهدها طابعاً منقوشاً فيه صورة العقرب في وقت كون القمر في العقرب، فينفع إمساكه من لدغة العقرب.

ويقول ابن حزم: «لا يمكن دفع الطلّسمات، لأننا قد شاهدنا أنفسنا آثارها ظاهرة إلى الآن من قرى لا تدخلها جرادة، ولا يقع فيه برد، و(كسرقسطه) التي لا يدخلها جيش إلا أن يدخل كرها، وغير ذلك كثير جدا لا ينكره إلا معاند»[2].

ويذكر محمد محمد جعفر أنَّ المؤرخ (جريجوري) أخبر أنَّ الفرنسيين عندما كانوا يفتحون إحدى الأراضي لإقامة جسر عليها عثروا على طلاسم معدنية لم يهتموا بأمرها وكانت تحمل رسوم الفيران والأفاعي والنيران وغيرها من الحشرات، وقد أهمل العمال هذه الطلاسم فقذفوا بها في النهر، ومن وقتها قاست باريس

(١) السحر: ص ٢١٥ ـ ٢١٦.

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل : ٢/٤.

كثيرا من اندلاع النيران فيها، وكثرة الفيران وغيرها من الحشرات، وكانت قبل العثور على هذه التعويذات في أمان منها.

ويذكر العالم (جاك جافاريل) أمين مكتبة (ريشيليو) أنه عندما فتح السلطان محمد الثاني مدينة القسطنطينية عثر جنوده على تمثال في هيئة حية كبيرة فاغرة فاها مصنوعة من البرونز، فهدم الجنود التمثال الذي كان مصنوعا لإبعاد الأفاعي عن المدينة، ومن الوقت الذي كسر فيه التمثال تكاثرت الزواحف بالمدينة ومازالت بها للآن[1].

وكل هذا الذي ذكروه بعيد عن الصواب، وهو من الخرافات التي جازت على أصحاب العقول، فأنّى لطلّسم أن يمنع الحرائق عن مدينة كبيرة، وأنى لتمثال أفعى أن يمنع الأفاعي عن دخول مدينة واسعة كاستنبول، ولكنها الفرية تصدقها العقول من غير تمحيص.

المدة التي يستمر فيها أثر السحر والطلسم

أكثر السحر يمحى أثره ويزول بعد عدة أيام أو عدة شهور أو عدة سنوات.

ولكنَّ بعض السحر يبقى مدداً طويلة، وقد وُجِد أنَّ كثيرا من الذين ينبشون قبور الفراعنة يصابون بأنواع من المصائب، فمكتشف قبر «توت عنخ آمون» «اللورد كانارافون» توفي قبل تمام كشف المقبرة بعد أن حلت به متاعب عائلية وخسائر مالية كبيرة أودت بحياته.

(١) السحر: ص٢٢٨.

والمكتشف الآخر لهذا القبر وهو المستر «كارتر» نجا من الموت بأعجوبة يوم اكتشاف المقبرة بالذات.. فقد كان يعتز بعصفور من نوع «الكناريا» يحتفظ به في قفص بديع بمكتبه أو منزله قرب المقبرة.. وفي يوم اكتشافها التهمت أفعى كبيرة من نوع الكوبرا هذا العصفور وتربصت للمستر كارتر لتنهي أجله، ولكن المستر كارتر لم يقصد مكتبه بعد الكشف، بل عاد إلى القاهرة ليذيع النبأ وكلّف بعض أتباعه بنقل أمتعته إليها.

ويوجد الآن في المتحف البريطاني تحت رقم (٢٢٥٤٢) تابوت داخلي دقيق الصنع لمومياء مصرية كانت إحدى أفراد العائلة المالكة ومن عداد الكاهنات. وقصة هذا التابوت كما دونتها سجلات المتحف البريطاني تثير العجب، وتدلُّ على نبوغ المصريين في أعمال السحر التي يبقى مفعولها وأثرها هذه المدة من آلاف السنين... فقد اشترى من مصر هذا التابوت المستر «دوجلاس مواري» لنقله إلى منزله بلندن، وقد وقع لهذا الشخص ولكلٍّ من اتصل بهذا التابوت فواجع ومصائب حتى تخلصوا منه بهديته إلى المتحف البريطاني.

ففي يوم شراء التابوت وبينما كان المستر «دوجلاس» ينظف مسدسه انطلقت منه رصاصة أصابته في فخذه الأيسر الأمر الذي استدعى إجراء عملية جراحية له أودت بحياته أثناء عملها.

وكان قبل إجراء العملية أوصى أحد رفاقه الذين اصطحبوه لزيارة مصر - ويدعى المستر «هوبلي» - أوصاه بأنه في حالة حدوث أي حادث له أثناء العملية فعلى المستر «هوبلي» المذكور أن يسلم التابوت إلى شقيقته الكائنة بشارع «بيكر» بلندن...، واستعدَّ المستر «هوبلي» لتنفيذ وصية صديقه، فحمل التابوت إلى بور سعيد تمهيدا لنقله بالباخرة إلى لندن..، ولكن عند وصوله إلى بورسعيد وجد برقية من لندن في انتظاره تخطره بموت شقيقه مقتولا. وعندما وصل إلى لندن

وقبل أن يسلم التابوت لشقيقة المستر «دوجلاس» وقع أحد أنجاله ولم يبلغ الرابعة من عمره من نافذة المنزل ودقّ عنقه.

وعندما استلمت شقيقة دوجلاس هذا التابوت وضعته في إحدى أركان الصالة، ومن اللحظة التي حلّ فيها بالمنزل توالت المصائب، فيوم استلامها للتابوت ماتت طفلتها أثناء عبورها الطريق، وهي في طريقها للمدرسة أثر اصطدام سيارة بها. . ، وبعد أسبوع توفي زوجها منتحرا على وفاة ابنته، وساءت أمورها المالية، فانزعجت وفقدت أعصابها، واستدعت المنجمين والوسطاء ومحضري الأرواح الذين أجمعوا على أنّ وجود هذا التابوت بمنزلها سيتسبب عنه مصائب متتالية لا يمكن منعها، فارتعدت فرائضها واتصلت بالمتحف البريطاني لنقله إليه هدية منها.

وأثناء حمل التابوت لوضعه في المكان المخصص له بالمتحف تهكم أحد الحمالين، وهزأ بعقلية مواطنيه الإنكليز الذين يعتقدون في خرافة الفراعنة ومخلفاتهم البالية التي يخصصون لها متحفا خاصا ليعمل فيه أبناء بلدتهم كالخدم. . ، وما إن استقرّ التابوت مكانه حتى أصيب هذا الحمال بآلام حادة جعلته يتلوى بضع دقائق، ثم سقط ميتا بجوار التابوت.

واهتم جميع المشتغلين بالآثار المصرية بإنجلترا بأمر هذا التابوت وشكلوا لجنة للبحث في مشكلته، وكلفت هذه اللجنة بدورها شركة «هـ. أ. مانسل» للتصوير الفوتوغرافي بالتقاط جملة صور لهذا التابوت من زوايا مختلفة، وأرسلت الشركة مندوبها لالتقاط الصور المطلوبة وأنجز مهمته، وعاد إلى الشركة ليجد مأمورية أخرى في انتظاره، فذهب إليها وعند عودته إلى الشركة أصيب في حادث بترت على أثره أصابع يده اليمنى، وأصبح عاجزاً عن التصوير.

وعندما طبعت صور التابوت وجد منقوشا على أحد جانبيه صورة آنسة أو شابة صغيرة السن بملابس الكهنة وقد علت ملامحها أمارات الغضب والشر، وبسؤال كلٍّ من رأى هذا التابوت أو اتصل به قبل تصويره أقرَّ الجميع بأنهم لم يشاهدوا بتاتاً أية صورة من أي نوع على أي جزء فيه[1]..

التمثال الياباني المسحور

هذه القصة رواها الكاتب البريطاني «س. جـ. لامبرتس» في كتاب أصدره عن رحلاته..

قال «لامبرتس» إنه وزوجته كانا يزوران مدينة «كوبي» باليابان خلال جولة بحرية عالمية قاما بها، ولفت نظرهما في محل للعاديات تمثال صغير من العاج «لإله الحظ الياباني «هو - تي» [2]، وهو على شكل رجل بدين باسم نصف عار يجلس على وسادة، أعجبت الزوجة ماري بالتمثال وقررت شراءه، وزاد سرورهما عندما وجدا ثمنه رخيصا رغم أنه مصنوع من العاج، بدت الصفقة لهما أشبه بضربة حظ غير متوقعة، فاشتريا التمثال، وفي قمرتها بالسفينة التي يبحران عليها أخذا يتفحصانه جيدا.. كان في لون القشدة الناصعة دلالة على أنه من العاج القديم النقي، ومنحوتا نحتا رائعا، ليس به عيب سوى ثقب صغير في أسفله، ويبدو أن التمثال صنع من قاعدة سن فيل وهذا الثقب عبارة عن مكان العصب الذي كان يربط السن، لذا فقد حشاه الصانع بعجينة مختلفة من العاج.

وضعت «ماري لامبرتس» التمثال في إحدى حقائبها، وأبحرت السفينة إلى الفلبين، وفي اليوم التالي بدأت السيدة لامبرتس تعاني ألما حادا في أسنانها،

(١) السحر لمحمد محمد جعفر: ١٧ - ١٨.
(٢) قاتل الله العقول التي تؤمن بأن هذا التمثال يمكن أن يكون إلها.

أعطاها طبيب السفينة بعض المسكنات ولكنها لم تفد، وقضى الزوجان الرحلة التي استغرقت ١٢ يوما في حالة من البؤس الشديد بسبب الآلام التي لا تطاق. وفي مانيلا، وقبل أن تتمكن السيدة من زيارة الطبيب أصيب الزوجان بحمى شديدة من أبرز مظاهرها أوجاع في كل مفاصل الجسم، وعندما مثلت السيدة في النهاية بين يد طبيب الأسنان أخطأ الطبيب ومس بمعضّه عصب أحد أسنانها فازدادت ألما بدلا من أن تشفى.

وفي المرحلة التالية من الرحلة حيث كانت السفينة في طريقها إلى استراليا، انتقل التمثال على نحو ما إلى حقائب السيد «لامبرتس»، وفي اليوم التالي بدأ يعاني ألما ممضا في أسنانه، وعندما استشار الطبيب في ميناء كيرنس بأستراليا أكد له الطبيب أن جميع أسنانه في حالة سليمة، وكان الألم قد توقف فعلا أثناء زيارته للطبيب، ثم عاد بشدة فور وصوله إلى قمرته في السفينة، وبعد يومين استشار طبيبا آخر، وتكرر نفس الشيء، وفي زيارة ثالثة أصر «لامبرتس» على أن ينزع الجراح أسنانه الواحدة بعد الأخرى إلى أن يتوقف الألم، وتوقف الألم بالفعل بعد نزع السن الأولى، ولكنه ارتد أشد مما كان عندما عاد لامبرتس إلى السفينة.

وفي «سيدني» ترك الزوجان حقائبهما في مخزن الجمرك، فتوقف ألم الأسنان، ولكن في الرحلة إلى نيوزيلندا عادت الحقائب إلى قمرتها وعادت معها آلام الأسنان، واستمرّ الحال على هذا المنوال طيلة الرحلة إلى «شيلي»، ثم إلى الولايات المتحدة، وفي «نيويورك» زار الزوجان أم الزوجة وهي سيدة أمريكية، وأعجبت بتمثال «هو - تي» إعجابا شديدا فأهدياه لها، وفي نفس اليوم بدأت أسنان الأم تؤلمها - وهي أسنان سليمة قوية - فتشاءمت الأم من التمثال، وأعادته إلى ابنتها وزوجها قائلة: «إن مقدمه سيء». ومع ذلك فإن الزوجين لامبرتس لم يربطا حتى الآن بين التمثال وألم الأسنان!.

ولكنهما شكا في هذه العلاقة لأول مرة وهما يعبران «الأطلنطي» في رحلتهما الأخيرة من الولايات المتحدة إلى بريطانيا، فقد استعارت منهما التمثال إحدى الراكبات لتريه لزوجها، وفي صباح اليوم التالي أبلغتهما وهي تعيد التمثال أنها أصيبت هي وزوجها في الليلة السابقة بآلام حادة في أسنانهما، وعندئذ بدأ الزوجان يدركان أنَّ الآلام كانت تهاجمهما كلما كان التمثال معهما، فإذا تخلصا منه توقفت الآلام، وأخذا يراجعان سجل هذه الأيام فازدادا تحققا من ذلك، وعندئذ أرادت الزوجة أن تلقي بالتمثال في البحر، ولكن الزوج أثناها عن ذلك، وأبقيا التمثال معهما حتى عادا إلى لندن.

وهناك أراه الزوج لتاجر تحف شرقية ياباني فعرض أن يشتريه على الفور، فقال «لامبرتس» إنه لا يستطيع أن يأخذ نقودا مقابل التمثال، بل كلّ ما يريده ويتمناه أن يبرأ هو وزوجته من آلام الأسنان الحادة، وحكى للتاجر كل ما كان من أمر التمثال معهما، وعندئذ نادى التاجر على أحد مساعديه فجاء من داخل المحل رجل ياباني عجوز يرتدي زيا تقليديا يابانيا، وأخذ الرجلان يفحصان التمثال بعناية، وفهم لامبرتس منهما أن «هو - تي» كان تمثالا من تماثيل المعابد في شرقي اليابان، وأن مثل هذه التماثيل يكون لها في بعض الأحيان «أرواح»، ثم وضع الياباني أعوادا من البخور وقام وهو في حالة من الخشوع الياباني الشديد بصرف لامبرتس إلى خارج المتجر[1].

تعليقنا على هذه الوقائع:

لا نستطيع أن نجزم بصدق هذه الوقائع، فقد تكون مختلقة، وقد يكون للخيال دور كبير في صياغتها، وقد يكون لها أصل لكن ليس على النحو الذي ذكروه.

---

(١) حقائق وغرائب: ص ١٧٩ - ١٨١. وإذا صدقت هذه القصة فإن لهذا التمثال شيطان يصاحبه يحدث هذا الأثر، وإلا فإن التمثال بنفسه قطعة جماد لا تنفع ولا تضر.

وعلى كلٍّ فإن كانت صحيحة، ووقعت كما رويت، فإن للشياطين دورا في هذا كله.

سحــر النجــوم

ذكرنا في المبحث الماضي أنَّ أصحاب الطلاسم يَدَّعون أنَّهم في صنع الطلاسم يستعينون بروحانيات الكواكب، وكنَّا تحدثنا في «تاريخ السحر» عن الذين يزعمون أنهم يحقِّقون السحر بواسطة النجوم، وهؤلاء هم عباد النجوم من المجوس والصابئة الذين يزعمون أنَّ النجوم مؤثرة في الإنسان والحيوان والأكوان، وهم أنواع:

١ ـ نوع يعبدون النجوم السبعة السيارة، ويعتقدون فيها النفع والضر، وقد بنى هؤلاء لهذه النجوم بيوتا، وصوَّروا فيها تماثيل سموها بأسماء النجوم، وجعلوا لها مناسك وشرائع يعبدونها بكيفياتها، ويلبسون لها لباسا خاصا وحلية خاصة، وينحرون لها من الأنعام أجناسا خاصة، لكلِّ نجم منها جنس زعموا أنه يناسبه.

وكلُّ نجم جعلوا لعبادته أوقاتا مخصوصة كأوقات الصلوات عند المسلمين، واعتقدوا تصرفها في الكون. وهذا هو المعروف عن قوم إبراهيم (ببابل) وغيرها، وإياهم خاطب فيما حكى الله عنهم متحديا لهم، مبينا سخافة عقولهم وضلال قلوبهم، قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ .... ﴾[1].

(١) سورة الأنعام: ٧٥ ـ ٧٨.

٢ ــ ومنها ما يفعله من يكتب حروف أبي جاد ويجعل لكلّ حرف منها قدرا من العدد معلوما، ويجري على ذلك أسماء الآدميين والأزمنة والأمكنة وغيرها، ويجمع جمعا معروفا عنده، ويطرح منه طرحا خاصا، ويثبت إثباتا خاصا، وينسبه إلى الأبراج الأثنى عشر المعروفة عند أهل الحساب، ثم يحكم على تلك القواعد بالسعود والنحوس وغيرها مما يوحيه إليه الشيطان.

وكثير منهم يغير الاسم لأجل ذلك، ويفرق بين المرء وزوجه بذلك، ويعتقد أنهم إن جمعهم بيت لا يعيش أحدهم.

وقد يتحكم بذلك في الغيب فيدَّعي أنّ هذا يولد له وهذا لا، وهذا الذكر وهذا الأنثى، وهذا يكون غنيا وهذا يكون فقيرا، وهذا يكون شريفا وهذا وضيعا، وهذا محببا وهذا مبغضا، كأنه هو الكاتب ذلك للجنين في بطن أمه، لا والله، لا يدريه الملك الذي يكتب ذلك حتى يسأل ربَّه أذكر أم أنثى، شقي أم سعيد، ما الرزق وما الأجل؟ فيقول له فيكتب، وهذا الكاذب المفتري يدَّعي علم ما استأثر الله بعلمه، ويدَّعي أنه يدركه بصناعة اخترعها، وأكاذيب اختلقها، وهذا من أعظم الشرك في الربوبية، ومن صدقه به، واعتقده فيه كفر، والعياذ بالله.

٣ ــ ومنها النظر في حركات الأفلاك ودورانها وطلوعها وغروبها واقترانها وافتراقها معتقدين أنّ لكلٍّ نجم منها تأثيرات في كلِّ حركاته منفردا، وله تأثيرات أخر عند اقترانه بغيره، في غلاء الأسعار ورخصها، وهبوب الرياح وسكونها، ووقوع الكوائن والحوادث، وقد ينسبون ذلك إليها مطلقا. ومن هذا القسم الاستقساء بالأنواء.

٤ ــ ومنها النظر في منازل القمر الثمانية والعشرين مع اعتقاد التأثيرات في اقتران القمر بكلٍّ منها ومفارقته، وأنَّ في تلك سعودا أو نحوسا وتأليفا وتفريقا

وغير ذلك[١].

أقول: ومنازل القمر هي التي تسميها العرب الأنواء، وهي ثمانية وعشرون نجما معروفة المطالع في أزمنة السنة كلِّها، يسقط في كلّ ثلاثة عشر ليلة منها نجم في المغرب مع طلوع الفجر، ويطلع آخر يقابله في المشرق من ساعته.

وكان أهل الجاهلية إذا كان عند ذلك مطر ينسبونه إلى الساقط الغارب منها[٢].

وقد أبان الحق ـ تبارك وتعالى ـ في كتابه أنَّ الشمس والقمر والنجوم آيات من آيات الله سخَّرها الله لمنفعة عباده، فهي مقهورة معبدة لخالقها، لا تستحقُّ أن تعبد من دون الله، ولا تملك لنفسها ضرًّا ولا نفعا، فضلا عن أن تملكه لغيرها ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ﴾[٣] ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ﴾[٤] ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾﴾[٥].

وقد أبان الحق أنه أوجد هذه النجوم ليهتدي العباد بها في ظلمات البر والبحر، وزينة للسماء، ورجوما للشياطين قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾[٦] وقال: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾[٧] وقال: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ

(١) معارج القبول: ١/٥٢٤.
(٢) راجع شرح النووي على مسلم: ٢/٦١.
(٣) سورة الأعراف: ٥٤.
(٤) سورة فصلت: ٣٧.
(٥) سورة الفرقان: ٦١.
(٦) سورة الأنعام: ٩٧.
(٧) سورة النحل: ١٦.

مَّارِدٍ ۝ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ۝ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۝ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ۝﴾[1].

قال قتادة رحمه الله تعالى: «إنما جعل الله سبحانه هذه النجوم لثلاث خصال: جعلها زينة للسماء، وجعلها يهتدي بها، وجعلها رجوما للشياطين. فمن تعاطى فيها غير ذلك فقد قال برأيه وأخطأ حظه، وأضاع نصيبه، وتكلف ما لا علم له به.

وإنَّ ناسا جهلة بأمر الله قد أحدثوا من هذه النجوم كهانة، من أعرس بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا، ومن سافر بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا، ومن ولد بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا، ولعمري ما من نجم إلا يولد به الأحمر والأسود والقصير والطويل والحسن والذميم، وما علم هذا النجم وهذه الدابة وهذا الطير بشيء من الغيب، وقضى الله تعالى أنه ﴿لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ۝﴾[2].

وهذا كلام جليل متين صحيح، وأصله في صحيح البخاري تعليقا. وقال أبو داود رحمه الله تعالى في كتاب الطبّ من سننه: «باب في النجوم» حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ومسدد المعنى، قالا حدثنا يحيى بن عبيد الله بن الأخنس عن الوليد بن عبدالله عن يوسف بن ماهك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول ﷺ: (من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد) وذكر حديث النوء.

وروى عبد بن حميد عن رجاء بن حَيْوة أنَّ النبي ﷺ قال: (إنما أخاف على أمتي التصديق بالنجوم، والتكذيب بالقدر، وحيف الأئمة).

---

(١) سورة الصافات: ٦ ـ ١٠.

(٢) سورة النمل: ٦٥.

وروى ابن عساكر وحسنه عن أبي محجن مرفوعا (أخاف على أمتي ثلاثا: حيف الأئمة، وإيمانا بالنجوم، وتكذيبا بالقدر). وروى أبو يعلى وابن عدي عن أنس رضي الله عنه مرفوعا: (أخاف على أمتي بعدي خصلتين: تكذيبا بالقدر، وإيمانا بالنجوم)[1].

---

(١) معارج القبول: ٥٢٣ ـ ٥٢٦. وإن شئت الاطلاع على ضلال المنجمين وبيان هذا الضلال فارجع إلى مفتاح دار السعادة لابن القيم: ص ٢/١٢٥.

المبحث الثاني

النوع الثاني: وهو سحر التخييل

يوجد في الإنسان قوة تسمى القوة المتخيلة، وهذه القوى «هي التي تتصرف في الصور المحسوسة والمعاني الجزئية المنتزعة منها، وتصرفها فيها بالتركيب تارة والتفصيل أخرى، مثال إنسان ذي رأسين أو عديم الرأس، وهذه القوة إذا استعملها العقل المفكر سميت مفكرة، كما أنها إذا استعملها الوهم في المحسوسات مطلقا سميت متخيلة»(١).

والتخييل الذي يتحدّث عنه الباحثون في السحر يتم بواحد من طريقين:

الأول:. أن «يعمد الساحر إلى القوى المتخيّلة، فيتصرف فيها بنوع من التصرف، ويلقي فيها أنواعا من الخيالات والمحاكاة وصورا مما يقصده من ذلك، ثمّ ينزلها إلى الحسّ من الرّائين بقوة نفسه المؤثرة فيه، فينظرها الرّاؤون كأنها في الخارج، وليس هناك شيء من ذلك، كما يحكى عن بعضهم أنه يُري البساتين والأنهار والقصور، وليس هناك شيء من ذلك، ويسمى هذا عند الفلاسفة الشّعوذة والشّعْبذة»(٢).

وقد ذكر ابن بطوطة نماذج لهذا النوع من السحر، فمن ذلك أنّ ضالا مبتدعا كان يحلق لحيته وحاجبيه أنكر عليه بعض أهل العلم حلقه لحيته، فما كان من هذا الضال إلا أن زعق زعقة، فإذا هو ذو لحية سوداء عظيمة، ثم

---

(١) التعريفات للجرجاني: ص ١٧٦.
(٢) المقدمة لابن خلدون: ص ٩٢٦.

زعق ثانيا فإذا هو ذو لحية بيضاء حسنة، ثم زعق ثالثا ورفع رأسه فإذا هو بلا لحية كهيئته الأولى(١).

وينقل لنا ابن بطوطة أيضا عن أوحد الدين السنجاري (أحد أهل العلم الذين كانوا ببلاد الصين) أنه دخل على رجل عابد في غار، فأخذ ذلك العابد بيده، فخيل لأوحد الدين أنه في قصر عظيم، وأنَّ ذلك العابد المبتدع قاعد فيه على سرير، وفوق رأسه تاج، وعن جانبيه الوصائف الحسان، والفواكه تتساقط في أنهار هناك، وتخيل أوحد الدين أنه أخذ تفاحة ليأكلها، فإذا هو في الغار بين يدي ذلك العابد الضال، وهو يضحك منه.

وقد شاهد ابن بطوطة ذلك العابد ورأى بعضا من عجائبه(٢).

ويذكر أنه شاهد ببلاد الصين مشعوذا أخذ كرة من خشب لها ثقب، فيها سيور طوال، فرمى بها في الهواء، فارتفعت حتى غابت عن الأبصار، فلما لم يبق من السير في يده إلا يسيراً، أمر متعلما له، فتعلق وصعد في الهواء إلى أن غاب عن أبصارنا. فدعاه فلم يجبه ثلاثا، فأخذ سكينا بيده كالمغتاظ، وتعلق بالسير إلى أن غاب أيضا، ثم رمى بيد الصبي إلى الأرض، ثم رمى برجله، ثم بيده الأخرى، ثم برجله الأخرى، ثم بجسده، ثم برأسه، ثم هبط، وهو ينفخ، وثيابه ملطخة بالدم.

فقبل الأرض بين يدي الأمير، وكلمه بالصيني، وأمر له الأمير بشيء. «ثم إنه أخذ أعضاء الصبي، فألصق بعضها ببعض، وركضه برجله، فقام سوّيا. يقول ابن بطوطة: فعجبت منه، وأصابني خفقان القلب، فسقوني دواءً أذهب عني ما وجدت، وكان القاضي فخر الدين إلى جانبي، فقال لي: «والله ما كان

(١) رحلة ابن بطوطة: ١/٥٠.
(٢) رحلة ابن بطوطة: ٢/٧٢٥.

من صعود ولا نزول، ولا قطع عضو، وإنما شعوذة»[١].

ويذكر صديق حسن خان أنه رأى ساحرا عند بعض ملوك الهند أتى بولدين معه، ثم قطعهما عضوا عضوا، ثم رمى بكل عضو إلى جهة فرقا، حتى لم ير أحد شيئا من تلك الأعضاء، ثم صاح وبكى، فلم يشعر الحاضرون إلا وقد نزل كلُّ عضو على انفراده، وانضم إلى الآخر حتى قام كل واحد على عادته سوّيا[٢].

ويذكر الباحثون المعاصرون أنَّ من أهم ما شغل (هتلر) ـ عندما اجتاحت جيوشه (بولندا) في الحرب العالمية الثانية ـ أن يعتقل رجلا (بولنديا) يدعى (وولف ميسينج)، ويأتي به إلى برلين حياً أو ميتاً. كان قد اشتهر عن هذا الرجل أنه يتمتع بقوى خارقة كوسيط روحي وعراف متنبىء، وكان قد تنبأ (لهتلر) قبل اجتياح بولندا بأنه سيخسر الحرب في النهاية، ويلقى نهاية سيئة. ولما كان (هتلر) من أشد المتطيرين الذين يؤمنون بالعرافة والتنجيم لذلك فقد أسرها في نفسه وعزم على الانتقام من (ميسينج) عندما يقع يوماً في قبضة يده.

واستطاع (مسينج) أن يهرب في آخر لحظة، ويلجأ إلى موسكو، ولكنه كان كالمستغيث من الرمضاء بالنار، إذ نجا من قبضة دكتاتور ليقع في قبضة دكتاتور آخر هو (ستالين) الرهيب هذه المرة.

فقد سمع الدكتاتور السوفيتي بحكايته، وقرر أن يختبر قواه (التليباثية) وحدّد بنفسه الامتحان.. أن يستخدم (ميسينج) قواه المزعومة في سرقة بنك سوفيتي!

---

(١) رحلة ابن بطوطة: ٧٣١/٢.
(٢) الدين الخالص: ٥٨١/٣.

واختار (وولف ميسينج) بنكاً كبيراً في موسكو، لا يعرفه فيه أحد، وفي اليوم المحدد دخل (ميسينج) البنك بخطوات ثابتة، وتقدم إلى الصراف الذي يجلس خلف نافذته الزجاجية، وقدم إليه ورقة بيضاء منتزعة من دفتر مدرسي ووضع أمامه حقيبة فارغة مفتوحة، وأمره (تليباثياً) أن يصرف له مبلغ ١٠٠ ألف روبل. ونظر الصراف إلى الورقة وفحصها جيداً، لم يشك لحظة في أنها (شيك) صحيح.. ولم يلبث أن فتح خزانته وراح يخرج منها رزم (البنكنوت) ويضعها في الحقيبة، حتى عدّ ١٠٠ ألف روبل بالتمام والكمال.

وحمل (ميسينج) الحقيبة وخرج من البنك، وهناك اطلع رجال ستالين على النقود مثبتاً نجاحه في سرقة البنك...

وبعد ذلك عاد إلى الصراف مرة أخرى، وبدأ يعيد إليه رزم (البنكنوت). ودهش الصراف، وأخذ ينظر إليه، وإلى النقود وإلى الورقة البيضاء الخالية أمامه، ثم سقط على الأرض مصاباً بأزمة قلبية...

ولحسن الحظ فقد نجا الصراف من الأزمة القلبية، ولكن (ميسينج) لم ينج من قبضة ستالين، كان ينتظره امتحان آخر أراد به (ستالين) أن يتأكد شخصياً من قواة الاستثنائية، فأمره أن يدخل عليه في مكتبه بالكرملين بدون الحصول على إذن كتابي خاص شأن كلّ من يدخل هذا المكان كائناً من كان حتى ولو كان من زعماء الحرب والقادة السوفيت.

وفي اليوم المحدد تقدم رجل إلى «قصر الكرملين»، وقطع مساحته، وعند الباب حيّاه الحرس برفع السلاح، وأخذ الرجل يقطع دهاليز الكرملين، ويصعد درجاته أمام أعين الحراس ورجال المخابرات المبثوثين في كل مكان. وهؤلاء كانوا يحيّونه عندما يمرّ بهم، إلى أن وصل إلى غرفة ياور ستالين، فقام هذا وحيّاه وصحبه إلى غرفة مكتب ستالين، وفتح له الباب وهو ينحني انحناءة كبيرة،

وعندئذ رفع ستالين عينيه عن الأوراق التي أمامه، ونظر إلى الزائر، فإذا به أمام (ميسينج) وجهاً لوجه!

والتفسير الذي أعطاه (ميسينج) فيما بعد أنه أوحى للحراس والمخبرين أنه هو نفسه (بيريا) رئيسهم الذي وضعهم في هذا المكان، ومدير المخابرات السوفيتية الرهيب، وكان هو الوحيد الذي يستطيع الدخول إلى ستالين بدون تصريح وفي أي وقت يشاء(١).

النوع الثاني: من نوعي سحر التخييلات: الأخذ بالعيون(٢)

ومبنى هذا النوع على أنَّ القوة الباصرة قد ترى الشيء على خلاف ما هو عليه في الحقيقة لبعض الأسباب العارضة، ولأجل هذا كانت أغلاط البصر كثيرة، ألا ترى أنَّ راكب السفينة إذا نظر إلى الشط رأى السفينة واقفة والشط متحركا، وذلك يدلُّ على أنَّ الساكن يُرى متحركا، والمتحرك ساكنا، والقطرة النازلة ترى خطا مستقيما، والذُّبالة(٣) التي تدار بسرعة ترى دائرة، والعنبة ترى في الماء كالإجاصة، والشخص الصغير يرى في الضباب عظيما.

واختصر ابن كثير ـ رحمه الله ـ في تفسير «سورة البقرة» كلام الرازي المذكور فقال: «ومبناه على أنَّ البصر قد يخطىء ويشتغل بالشيء المعيَّن دون غيره، ألا ترى ذا الشعبذة الحاذق يظهر عمل شيء يذهل أذهان الناظرين به، ويأخذ عيونهم إليه، حتى إذا استفرغهم الشغل بذلك الشيء بالتحديق ونحوه عمل شيئًا

(١) انظر مجلة الدوحة القطرية ص ٥٤ العدد (٩٩) مارس ١٩٨٤ مقال بعنوان: التنويم المغناطيسي والأسرار الخفية في عالم الحرب والسياسة لمحمد العزب موسى.

(٢) قصة السحر والسحرة: ص ٤١

(٣) الفتيلة

آخر عملاً بسرعة شديدة، وحينئذ يظهر لهم شيء آخر غير ما انتظروه فيتعجبون منه جداً، ولو أنه سكت ولم يتكلم بما يصرف الخواطر إلى ضدِّ ما يريد أن يعمله، ولم تتحرك النفوس والأوهام إلى غير ما يريد إخراجه، لفطن الناظرون لكلِّ ما يفعله. قال: وكلما كانت الأحوال تفيد حس البصر نوعاً من أنواع الخلل أشد، كان العمل أحسن مثل أن يجلس المشعبذ في موضع مضيء جدا أو مظلم، فلا تقف القوة الناظرة على أحوالها والحالة هذه»[1].

وقد استظهر ابن كثير أنَّ سحر سحرة فرعون كان من هذا النوع، وقد جاءت النصوص صريحة بأنه كان تخييلا وأخذا بالعيون، قال تعالى: ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾﴾[2]. فإطلاق التخييل في الآية نصٌّ صريح في ذلك. وقد دلَّ على هذا أيضا قوله: ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْا سَحَرُوٓا أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ﴾[3]. لأنَّ إيقاع السحر على أعين الناس في الآية يدلُّ على أنَّ أعينهم تخيلت غير الحقيقة الواقعة والعلم عند الله.

ولعلَّ من هذا النوع من السحر ما يجيء به الدجال، فقد أخبر الرسول ﷺ أنَّ معه جنة وناراً، وأنَّ الأمر بخلاف ما يراه المرء، فجنته نار وناره جنة.

ففي صحيح مسلم عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: (معه جنة ونار، فناره جنة، وجنته نار)[4].

---

(١) تفسير ابن كثير: ١/٢٥٥
(٢) سورة طه: ٦٦
(٣) سورة الأعراف: ١١٦
(٤) رواه مسلم في كتاب الفتن، باب ذكر الدجال (٤/٢٢٤٨). ورقم الحديث: ٢٩٣٤

وفي صحيحي البخاري ومسلم عن حذيفة أيضا عن النبي ﷺ قال في الدجال: (إنَّ معه ماءً ونارا، فناره ماء بارد، وماؤه نار) زاد في مسلم (فلا تهلكوا)[1].

وفي رواية عند مسلم في صحيحه عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: (لأنا أعلم بما مع الدجال منه، معه نهران يجريان. أحدهما رأي العين ماء أبيض. والآخر رأي العين نار تأجج، فإما أدركن أحد، فليأت الذي يراه نارا وليغمض، ثم ليطأطىء رأسه فيشرب منه، فإنه ماء بارد)[2].

وفي رواية عند مسلم عن حذيفة: (إنَّ الدجال يخرج وإنَّ معه ماءً ونارا، فأما الذي يراه الناس ماءً فنار تحرق، وأما الذي يراه الناس نارا فماءٌ بارد عذب، فمن أدرك ذلك منكم فليقع في الذي يراه ناراً، فإنه ماءٌ عذب طيب[3]).

وقد يكون من سحر التخييل ما يفعله السحرة من التفريق بين المرء وزوجه، فإنَّ شيطان الساحر يأتي إلى المرأة الجميلة، ويتشكل بأقنعة صور قبيحة، ويصبح هو قناعا على وجه المرأة الجميلة، فيكرهها الشخص المقصود، ويقول عنها إنها دميمة.

ويأتي للمرأة الدميمة أو العادية، فيتشكّل بصورة قناع جميل، ويتلبس وجهها، فيحبها الشخص ويتزوجها.

يقول الطبري: «تفريقه بين المرء وزوجه تخييله بسحره إلى كلٍّ واحد منهما شَخْصَ الآخر على خلاف ما هو به في حقيقته من حسن وجمال، حتى يُقَبِّحَه

(١) رواه البخاري في كتاب الفتن، باب ذكر الدجال. فتح الباري: (١٣/٩٠). ورواه مسلم في كتاب الفتن. باب ذكر الدجال: (٤/٢٢٤٩) ورقم الحديث (٢٩٣٤)

(٢) رواه مسلم في كتاب الفتن (٤/٢٢٥٠) ورقمه: ٢٩٣٥

(٣) المصدر السابق. ورقم الحديث: ٢٩٣٦

عنده، فينصرف بوجهه ويعرض عنه، حتى يحدث الرجل لزوجته فراقا، فيكون الساحر مفرقا بينهما بإحداثه السبب الذي كان منه فرقة بينهما»[1].

وقد يكون التفريق بينهما بما يلقيه الشيطان في قلب الإنسان وفكره ممايكره المرء بزوجه.

(١) تفسير الطبري: ١/٤٦٣

المبحث الثالث

النوع الثالث: وهو السحر المجازي

المطلب الأول

الفرق بين هذا النوع وبين سحر التخييل

هذا النوع يقوم على حيل علمية، ومعرفة خواص المخلوقات، كما يقوم على خفة اليد والكذب على ضعاف العقول ونحو ذلك. وقد يُظَنُّ أنَّ هذا النوع تابع للنوع الذي قبله وهو سحر التخييلات، وهذا غير صحيح، فالساحر الذي يستخدم حبلا على شكل أفعى يتحرك بواسطة آلة تحركه، أو الذي يحول وجهه من البياض إلى السواد بواسطة دهان يدهن به وجهه، أو الذي يدخل يده في النار فلا تحرقها، لأنه دهنها بدهان مقاوم للنار وحرارتها ـ فعله هذا ليس من باب التخييل، وإنما التخييل كما بيناه من قبل التأثير في القوة المتخيلة عند المسحور، أو سحر بصره حتى ترى الأمور على خلاف ما هي عليه.

ولم أر من تنبه إلى هذا الفرق بين هذين النوعين إلا ابن القيم رحمه الله تعالى، فإنه يرى أنَّ سحر التخييل يتحقق لتغيير حصل في المرئي أو لتغيير حصل في الرائي.

فالذين شاهدوا سحرة فرعون إما أن يكون السحر الذي أصاب عيونهم لتغيير حصل في الحبال والعصي، مثل أن تكون السحرة استغاثت بأرواح حركتها، وهي الشياطين، فظنوا أنها تحركت بأنفسها، وإما أن يكون التغيير حدث في الرائي حتى رأى الحبال والعصي تتحرك، وهي ساكنة في أنفسها.

يقول ابن القيم: «ولا ريب أنَّ الساحر يفعل هذا وهذا، فتارة يتصرف في نفس الرائي وإحساسه، حتى يرى الشيء بخلاف ما هو به، وتارة يتصرف في المرئي باستغاثته بالأرواح الشيطانية حتى يتصرف بها.

ويرفض ابن القيم رفضا قاطعا أنَّ سحر سحرة فرعون كان بحيلة ابتدعوها، كأن يكونوا وضعوا في تلك الحبال والعصي ما أوجب حركتها، كأن يضعوا في جوفها الزئبق، فإنَّ من خاصيته أن يحرك الشيء الذي وضع فيه إذا وضع ذلك الشيء على مكان حار.

يقول ابن القيم: «هذا الذي قاله هؤلاء باطل من وجوه كثيرة، فإنه لو كان كذلك لم يكن هذا تخييلا، بل حركة حقيقية، ولم يكن ذلك سحرا لأعين الناس، ولا يسمى ذلك سحرا، بل صناعة من الصناعات المشتركة، وقد قال تعالى: ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ۝﴾[(١)].
ولو كانت تحركت ـ بنوع حيلة ـ كما يقوله المنكرون، لم يكن هذا من السحر في شيء، ومثل هذا لا يخفى.

وأيضا لو كان ذلك بحيلة ـ كما قال هؤلاء ـ لكان طريق إبطالها إخراج ما فيها من الزئبق، وبيان ذلك المحال، ولم يحتج إلى إلقاء العصا لابتلاعها.
وأيضا فمثل هذه الحيلة لا يحتاج فيها إلى الاستعانة بالسحرة، بل يكفي فيها حذق الصناع، ولا يحتاج في ذلك إلى تعظيم فرعون للسحرة، وخضوعه لهم، ووعدهم بالتقريب بالجزاء.
وأيضا فلا يقال في ذلك: ﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾[(٢)] فإن الصناعات يشترك الناس في تعلمها وتعليمها، وبالجملة فبطلان هذا أظهر من أن

(١) سورة طه: ٦٦
(٢) سورة طه: ٧١

يتكلف رده»[1].

المطلب الثاني
نماذج من السحر المجازي

أحبُّ أن يذكر بعض النماذج للسحر المجازي، ومدار هذا النوع من السحر على خفة اليد، والحيل العلمية، والاكتشافات التي يسبق بها الساحر عصره، وتعظم أفعال السحرة في أعين الناس لأنَّهم لا يدرون كيف يعللون ما يشاهدونه، ولكنهم إذا عرفوا السرَّ زال عنهم العجب.

١ ـ سر الطيور التي كانت تحضر الزيتون إلى قبة بيت المقدس:

كان الناس يشاهدون في بيت المقدس أول ليلة من آب في كلٍّ عام مئات من الطيور تأتي بحبِّ الزيتون إلى قبة فوق قبر هناك، فتلقي بذلك الحبَّ حتى تمتلىء القبة.

وكانوا يعتقدون أنَّ هذه كرامة لذلك الميت المدفون تحت القبة، والأمر ليس كذلك، وكلُّ ما كان يحدث هو حيلة احتال بها موسيقار مشهور على الطيور لتأتي بحب الزيتون إلى ذلك المكان.

وقد ذكر أبوبكر الرازي هذه القصة والسرَّ الذي يكمن وراءها. وحقيقة الأمر أن موسيقارا مشهورا في ذلك الوقت اسمه (أرجعيانوس) كان من أمره أنه اجتاز بصحراء، فوجد فيها فرخا من فراخ «البراصل»، والبراصل طائر عطوف، وكان يصفر صفيرا حزينا بخلاف سائر البراصل، وكانت البراصل تأتيه بلطائف الزيتون فتطرحها عنده، فيأكل بعضها عند حاجته، ويفضل بعضها عن حاجته.

---

(١) التفسر القيم: ص ٥٧٢

فوقف هذا الموسيقار هناك، وتأمل حال ذلك الفرخ، وعلم أنَّ في صفيره المخالف لصفير البراصيل ضربا من التوجع والاستعطاف حتى رقت له الطيور، وجاءته بما يأكله، فتلطف بعمل آلة تشبه الصفارة إذا استقبل الريح بها أدت ذلك الصفير، ولم يزل يجرب ذلك حتى وثق بها، وجاءته البراصل بالزيتون كما كانت تجيء إلى ذلك الفرخ، لأنها تظن أنَّ هناك فرخا من جنسها، فلما صحَّ له ما أراد أظهر النسك، وعمد إلى هيكل أورشليم، وسأل عن الليلة التي دفن فيها «الأسطرخس» الناسك القيم بعمارة ذلك الهيكل، فأخبر أنه دفن في أول ليلة من آب، فاتخذ صورة من زجاج مجوف على هيئة البرصلة، ونصبها فوق ذلك الهيكل، وجعل فوق تلك الصورة قبة، وأمرهم بفتحها في أول آب، وكان يظهر صوت البرصلة بسبب نفوذ الريح في تلك الصورة، وكانت البراصل تجيء بالزيتون حتى كانت تمتلىء تلك القبة كلَّ يوم من ذلك الزيتون، والناس اعتقدوا أنه من كرامات ذلك المدفون[1].

وقد عدّ ابن كثير من هذا الضرب من السحر حيل النصارى على عامتهم. بما يرونهم إياه من الأنوار كقضية قمامة الكنيسة[2] التي لهم ببلد المقدس، وما يحتالون به من إدخال النار خفية إلى الكنيسة، وإشعال تلك القناديل بصنعة لطيفة تروج على الطغام منهم. وأما الخواص فهم معترفون بذلك، ولكن يتأولون أنهم يجمعون شمل أصحابهم على دينهم، فيرون ذلك سائغا لهم[3].

ومن هذا الضرب ما يحكى أنَّ رجلا في قديم الزمان علم خاصية المغناطيس فتحايل حتى استطاع أن يوقف صنما من حديد في الهواء، وذلك بما

---

(١) قصة السحر: ص ٤٤

(٢) يقصد كنيسة القيامة.

(٣) تفسير ابن كثير: ٢٥٦/١

جعله من قوى الجذب المغناطيسية من حوله، ثم قال لقومه: هذا إلهكم فعبدوه من دون الله.

٢ ـ إبـراء المـرضى

ويذكر الناس عن كثر من الذين يدَّعون الصلاح والتقى أنهم شفوا بعض المرضى الذين عجز الأطباء الكبار عن شفائهم.

ومن ذلك أنَّ الحسين بن منصور الشهير بالحلاج قدم على أهل بلد من بلاد الجبل، فوجد عندهم مريضا أصابه العمى فأذهب بصره، وأصابه الكساح فأقعده عن المشي، فدعا له، ثم تفل عليه من ريقه في كفيه، ثم مسح عينيه فأبصر، ومسح رجليه، فقام من ساعته يمشي، ثم كُشِفَ هذا، فوجد أنه من دجل الحلاج.

وسرُّ الأمر كما ذكره ابن كثير نقلا عن الخطيب البغدادي أنَّ الحلاج بعث رجلا من خاصة أصحابه، وأمره أن يذهب بين يديه إلى بلد من بلاد الجبل، وأن يُظْهِر لهم العبادة والصلاح والزهد، فإذا رآهم قد أقبلوا عليه وأحبوه واعتقدوه أظهر لهم أنه قد عمي، ثمَّ يظهر لهم بعد أيام أنه قد تكسح، فإذا سعوا في مداواته، قال لهم: يا جماعة الخير، إنه لا ينفعني شيء مما تفعلون، ثم يظهر لهم بعد أيام أنه قد رأى رسول الله ﷺ في المنام وهو يقول له: إن شفاءك لا يكون إلا على يدي القطب، وإنه سيقدم عليك في اليوم الفلاني في الشهر الفلاني، وصفته كذا وكذا. وقال له الحلاج: إني سأقدم عليك في ذلك الوقت.

فذهب ذلك الرجل إلى تلك البلاد فأقام بها يتعبد ويظهر الصلاح والتنسك ويقرأ القرآن. فأقام مدة على ذلك فاعتقدوه وأحبوه، ثم أظهر لهم أنه قد عمي، فمكث حيناً على ذلك، ثم أظهر لهم أنه قد زمن، فسعوا بمداواته

بكلٍّ ممكن فلم ينتج فيه شيء. فقال لهم: يا جماعة الخير هذا الذي تفعلونه معي لا ينفعني شيئاً، وأنا قد رأيت رسول الله ﷺ في المنام وهو يقول لي: إن عافيتك وشفاءك إنما هو على يدي القطب، وإنه سيقدم عليك في اليوم الفلاني في الشهر الفلاني، وكانوا أولا يقودونه إلى المسجد ثم صاروا يحملونه ويكرمونه.

فلما كان في الوقت الذي ذكر لهم، واتفق هو والحلاج عليه، أقبل الحلاج حتى دخل البلد مختفيا وعليه ثياب صوف بيض، فدخل المسجد ولزم سارية يتعبد فيه لا يلتفت إلى أحد، فعرفه الناس بالصفات التي وصف لهم ذلك العليل، فابتدروا إليه يسلمون عليه ويتمسحون به، ثم جاؤوا إلى ذلك الزمن المتعافى فأخبروه بخبره، فقال: صفوه لي، فوصفوه له فقال: هذا الذي أخبرني عنه رسول الله ﷺ في المنام، وأن شفائي على يديه، اذهبوا بي إليه. فحملوه حتى وضعوه بين يديه فكلمه فعرفه، فقال: يا عبدالله إني رأيت رسول الله ﷺ في المنام. ثم ذكر له رؤياه، فرفع الحلاج يديه فدعا له، ثمَّ تفل من ريقه في كفيه، ثم مسح بهما على عينيه ففتحهما كأن لم يكن بهما داء قط، فأبصر، ثمَّ أخذ من ريقه فمسح على رجليه، فقام من ساعته فمشى كأنه لم يكن به شيء والناس حضور، وأمراء تلك البلاد وكبراؤهم عنده، فضجَّ الناس ضجَّة عظيمة، وكبروا الله وسبحوه، وعظموا الحلاج تعظيما زائداً على ما أظهر لهم من الباطل والزور.

ثمَّ أقام عندهم مدة يكرمونه ويعظمونه، ويودون لو طلب منهم ما عساه أن يطلب من أموالهم. فلما أراد الخروج عنهم أرادوا أن يجمعوا له مالا كثيراً فقال: أما أنا فلا حاجة لي بالدنيا، وإنما وصلنا إلى ما وصلنا إليه بترك الدنيا، ولعلَّ صاحبكم هذا أن يكون له إخوان وأصحاب من الأبدال الذين يجاهدون بثغر طرسوس، ويحجُّون ويتصدقون، محتاجين إلى ما يعينهم على ذلك.

فقال ذلك الرجل المتزامن المتعافي: صدق الشيخ، قد ردَّ الله عليَّ بصري، ومنَّ الله عليَّ بالعافية، لأجعلن بقية عمري في الجهاد في سبيل الله، والحج إلى بيت الله مع إخواننا الأبدال والصالحين الذين نعرفهم، ثم حثهم على إعطائه من المال ما طابت به أنفسهم. ثمَّ إنَّ الحلاج خرج عنهم، ومكث ذلك الرجل بين أظهرهم مدة إلى أن جمعوا له مالا كثيراً ألوفا من الذهب والفضة، فلما اجتمع له ما أراد ودعهم وخرج عنهم فذهب إلى الحلاج فاقتسما ذلك المال[1].

ومخاريق الحلاج هذه وأمثالها فتنت الناس ولا تزال تفتنهم في مختلف العصور، وإنما تروج على العوام وضعاف العقول، والذين يَدَّعون السحر يعلمون النوعية الذين يروج سحرهم ودجلهم عندها، خاصة إذا أوهم هؤلاء المشعوذون بسطاء الناس بأنهم أُعْطوا قدرات خاصة، أو أنَّ الجان تطيعهم فيما يأمرون به، وما ينهون عنه، فعند ذلك يستطيعون ممارسة شعوذتهم بيسر وسهولة بعد أن خَدَّرُوا عقول الناس.

وقد سمّى ابن كثير هذا النمط من التدجيل بالتنبلة، وهو- كما يقول ابن كثير- إنما يروج على ضعاف العقول من بني آدم، وفي علم الفراسة ما يرشد إلى معرفة كامل العقل من ناقصه، فإذا كان النبيل حاذقا في علم الفراسة عرف مَنْ ينقاد له من الناس من غيره.

والعوام سريعو التصديق بالأساطير والخرافات والأخبار الكاذبة التي لا يمكن وقوعها[2]، فمن ذلك ما ذكره ابن كثير في تاريخه، فقد ذكر أنه في سنة أربع وثلاثمائة اشتهر في بغداد أنَّ حيوانا يقال له (الزرنب) يطوف بالليل يأكل الأطفال

(١) البداية والنهاية لابن كثير: ١١/١٣٥

(٢) راجع تفسير ابن كثير: ١/٢٥٧.

من الأسرّة، ويعدو على النيام، فربما قطع يد الرجل وثدي المرأة وهم نيام.

وفعلت هذه الشائعة فعلها في نفوس أهل بغداد، فأحيا الناس ليلهم يضربون على سطوح المنازل على النحاس والحديد، لينفروا هذا الحيوان، فكانت بغداد تتجاوب أرجاؤها شرقا وغربا بتلك الأصوات، واصطنع الناس لأولادهم مكبات من سعف وغيرها. واغتنم اللصوص هذه الشوشة، فكثرت السرقات وضياع الأموال.

ولم يهدأ الناس إلا عندما أمر الخليفة بأخذ حيوان من كلاب الماء وصلبه على الجسر، فلما شاهده الناس مصلوبا سكنوا وهدؤوا لظنهم أنَّ الدولة استطاعت الامساك بذلك الحيوان المزعوم(١).

٣ ـ سر الرجل الذي كان يظهر بدار الخلافة

يذكر الجصاص وأصحاب التواريخ أنه كان يظهر في دار الخلافة في عهد الخليفة المعتضد بالله في الوقت الذي يخلو فيه الخليفة فيها بنسائه وأهله شخص في يده سيف في أوقات مختلفة، وأكثره في وقت الظهر، فإذا طُلِبَ لم يوجد، ولم يقدر عليه، ولم يوقف له على أثر مع كثرة التفتيش، وقد رآه هو بعينه مرارا فأهمته نفسه، ودعا بالمعزمين فحضروا، وأحضروا معهم رجالا ونساء، زعموا أن فيهم مجانين وأصحاء، فأمر بعض رؤسائهم بالعزيمة، فعزم على رجل منهم، زعم أنه كان صحيحا فجن وتخبط، وهو ينظر إليه، وذكروا له أن هذا غاية الحذق بهذه الصناعة إذ أطاعته الجن في تخبيط الصحيح، وإنما كان ذلك من المعزم بمواطأة منه لذلك الصحيح على أنه متى عزم عليه جن نفسه وخبط، فجاز ذلك

---

(١) البداية والنهاية: ١١/١١٦.

على المعتضد، فقامت نفسه منه وكرهه إلا أنه سألهم عن أمر الشخص الذي يظهر في داره فمخرقوا عليه بأشياء علّقوا قلبه بها من غير تحصيل لشيء من أمر ما سألهم عنه. فأمرهم بالانصراف، وأمر لكل واحد منهم ممن حضر بخمسة دراهم.

ثم تحرز المعتضد بغاية ما أمكنه، وأمر بالاستيثاق من سور الدار حيث لا يمكن فيه حيلة من تسلق ونحوه، وبطحت في أعلى السور خواب لئلا يحتال بإلقاء المعاليق التي يحتال بها اللصوص، ثمّ لم يوقف لذلك الشخص على خبر إلا ظهوره له الوقت بعد الوقت إلى أن توفي المعتضد.

وهذه الخوابي المبطوحة على السور، وقد رأيتها على سور الثريا التي بناها المعتضد، فسألت صديقا لي كان قد حجب للمتقدر بالله عن أمر هذا الشخص، وهل تبين أمره، فذكر لي أنه لم يوقف على حقيقة هذا الأمر إلا في أيام المقتدر، وأنّ ذلك الشخص كان خادماً أبيض يسمى يقق، وكان يميل إلى بعض الجواري اللاتي في داخل دور الحرم، وكان قد اتخذ لحى على ألوان مختلفة.

وكان إذا لبس بعض تلك اللحى لا يشك من رآه أنها لحيته، وكان يلبس في الوقت الذي يريده لحية منها، ويظهر في ذلك الموضع، وفي يده سيف أو غيره من السلاح حيث يقع نظر المعتضد، فإذا طلب دخل بين الشجر الذي في البستان أو في بعض تلك الممرات أو العطفات، فإذا غاب عن أبصار طالبيه نزع اللحية وجعلها في كمه أو حزته، ويبقى السلاح معه كأنه بعض الخدم الطالبين للشخص، ولا يرتابون به، ويسألونه هل رأيت في هذه الناحية أحدا فإنا قد رأيناه صار إليها فيقول ما رأيت أحدا.

وكان إذا وقع مثل هذا الفزع في الدار خرجت الجواري من داخل الدور إلى هذا الموضع، فيرى هو تلك الجارية، ويخاطبها بما يريد، وإنما كان غرضه

مشاهدة الجارية وكلامها، فلم يزل دأبه إلى أيام المقتدر، ثم خرج إلى البلدان، وصار إلى طرسوس، وأقام بها إلى أن مات، وتحدثت الجارية بعد ذلك بحديثه، ووقف على احتياله.

فهذا خادم قد احتال بمثل هذه الحيلة الخفية التي لم يهتد لها أحد مع شدة عناية المعتضد به، وأعياه معرفتها والوقوف عليها، ولم تكن صناعته الحيل والمخاريق، فما ظنك بمن قد جعل هذا صناعة ومعاشا[1].

٤ ـ حيلة إحياء الموتى:

وبعض الحيل التي تثير عجب الناس حيلة إحياء الموتى، ويعتمد الساحر فيها على استخدام ما توصل إليه العلم في هذا المجال.

فمن ذلك أنَّ المشعوذ يأخذ حمامة مثلا ويلوي رقبتها بيده، حتى يبدو أنها ماتت، ثم يرميها على الناس، فيتألم المشاهدون من هذه القسوة، ثم يطلبها منهم مرة أخرى ليحييها ـ بزعمه ـ فيضعها في ورق، ثم يضرب فوق الورق، فتقوم الحمامة من الموت، وتطير إلى جهة المشاهدين الذين يقفون على شكل حلقة مستديرة.

والسر في هذا أنَّ المشعوذ قبل أن يمسك بالحمامة، كانت يده فيها سائل من مادة البنج، فيمسك بالحمامة ويوهم الناس أنه يلوي رقبتها، وهو في الحقيقة مشتغل بتشميم الحمامة البنج الذي في يده، فتفقد الحمامة شعورها، فيظنُّ الناس أنها قد ماتت خنقا، ويضربها بعد ذلك، فتفيق من البنج فتطير، وإذا عرف السبب بطل العجب كما يقولون.

---

(١) أحكام القرآن للجصاص: ١/٤٧ وانظر البداية والنهاية: ١١/٧٧.

وليس هذا غريبا، فإنَّ الطبيب يجري الكبرى من عمليات الجراحة والمريض يرقد أمامه كالميت من تأثير البنج، ومن رآه قبل إجراء العملية يظنه ميتا(١).

٥ ـ حيلة إشعال الساحر السكر من غير نار

ومن الحيل التي يعتمد فيها الساحر على العلم إتيان المشعوذ بطبق فيه سكر يريه للمشاهدين، ويطلب منهم أن يذوقوا منه حتى يتأكدوا أنه سكر، ثمَّ يشير إلى الطبق بعصا في يده فيشتعل السكر ناراً ويتصاعد منه اللهب(٢).

والسر في هذا أنَّ (في الطبق جزئين متساويين من السكر ومن مادة (كلورات البوتاسيوم) (وهي مادة كيماوية بيضاء تشبه السكر). وأما العصا التي استخدمها المشعوذ، فمغموس طرفها في حمض (الكبريتيك) فعندما يشير بهذه العصا وتلمس المخلوط من هذه المادة الكيماوية يَتَّقِدُ الطبق نارا. أما عن إذاقته السكر للمشاهدين فيكون من الجانب الذي فيه السكر من الطبق وذلك بخفة اليد والسرعة والتعمية على المشاهدين.

٦ ـ حيلة إدخال الدخان إلى داخل إناء مغلق.

يقوم المشعوذ بنفخ الدخان إلى داخل كوب مغطاة دون أن يصل إليها المشعوذ.

والسر في هذا أنَّ الساحر يكون قد غسل داخل كوب الزجاج بمادة (روح الملح)، ثم يأتي بطبق يدهن قاعه بسائل (النوشادر)، ويوضع الطبق بوضعه

(١) فن الشعوذة الحديثة ـ من مذكرات شرلوك هولمز ـ ص ٩.
(٢) المصدر السابق : ص ١٠.

العادي على كوب الزجاج ويغطي بمنديل، ثم يقف المشعوذ من بعيد، ويشعل سيجارة وينفخ دخانا نحو الكوب المغطاة، ليوهم المشاهدين أنه سيملأ الكوب بالدخان.

والواقع أنه حدث تفاعل كيماوي بين مادتي روح الملح وسائل (النوشادر)، فامتلأ الكوب بالدخان، وهذا أيضا من لطيف ما يفعله المشعوذون.

٧ ـ تغيير المشعوذ وجه إنسان من البياض إلى السواد

والسر الكامن وراء هذه اللعبة أنّ المشعوذ قبل أن يخرج إلى المشاهدين يقوم بدهان وجهه بمادة (أكسيد البزموت) فتعطي هذه المادة للوجه رونقا جميلا ـ وهي مادة تستخدمها بعض السيدات في الزينة، ثم يضع المشعوذ أمام المشاهدين إناء مليئا بالماء الممزوج بمادة (الهيدروجين). ثمّ يدعي أنه يشمّ ذلك الماء. فيتحول وجهه فجأة من البياض إلى السواد، وذلك نتيجة التفاعل الكيماوي بين المادتين اللتين في الوجه وماء الإناء.

٨ ـ السائل والألوان المتعددة

يقوم المشعوذ بطبخ أوراق من الكرنب، ثمّ يأخذ ماءه الذي يكون لونه أصبح أحمر في هذه الحالة، وبعد أن تذهب حرارة الماء تماما يجيء بثلاثة أوان، يضع في أحدها بعض النقط من مادة (الأمونيا). وفي الثانية نقطة من حمض الكبريتيك، ويترك الإناء الثالث فلا يضع فيه شيئا من المواد، ثم يصبُّ في الإناء الأول قليلا من سائل الكرنب فلا يتغير اللون، ثم يصب في الثاني فيصير لونه أخضر ـ وهو في هذا متأثر بمادة الأمونيا، ثم يصب في الثالث فيصير لونه أحمر وكلُّ ذلك نتيجة التفاعل الكيماوي(١).

---

(١) فن الشعوذة، ص١٣، ١٤.

٩ ـ الشعوذة باستخدام المهارة والتمويه

ومن فنون الشعوذة أيضا المهارة وألعاب التمويهات التي تدرب عليها هؤلاء المشعوذون، ومن ذلك أن يظهر أحدهم أنه ذبح إنسانا أو طعنه بسيف، والعجب أن يرى المشاهدون إسالة الدماء، ثمَّ بعد ذلك يرفسه فيقوم حيا كما كان.

وعند النظر الحقيقي نجد أنه ليس لهذا حقيقة، إذ لو كان كذلك، لما استطاع المذبوح والمطعون أن يحيا، لأنَّ الإحياء والإماتة هي لله تعالى وحده، وعلى وفق إرادته وعلمه.

وعلى الرغم من أنَّ هذه هي عقيدة كلِّ مسلم إلا أنَّ هناك نفوسا ضعيفة من الناس أغلبهم مصاب بالعصبية المزاجية، وتلك قابلة لأدنى الأوهام والانفعالات، فيصدِّقون أنَّ هذا المشعوذ يفعل هذه الأفعال حقيقة، وسنضرب لذلك عدة أمثلة للإحاطة بها.

١ ـ فمن ذلك أنَّ الساحر يأتي بسكين حادة جدا، أو أية آلة حادة يعطيها له أحد المشاهدين، ويمررها على رقبة مساعده، ويذبحه ويسيل دمه ويموت، وبعد عشر دقائق يرفسه برجله فيقوم من الموت.

والواقع أنَّ هذا إيهام، وليس حقيقة، لأنَّه بمعرفة الحقيقة في ذلك يذهب هذا الإيهام.

وكلُّ الذي فعله المشعوذ أنه وضع فقاعة جلدية لونها لون جلد الإنسان الطبيعي، وهي مملوءة بسائل يشبه الدم على رقبة مساعده، ثم يأتي بالسكين ويمررها على هذه الفقاعة، فتنفجر، ويسيل منها اللون الأحمر الذي يشبه الدم، ويتوهم المشاهدون عند ذلك أنه ذبح مساعده.

٢ ــ ومن هذه الحيل نظرية اختراق السيف لجسم الإنسان، حتى ينفذ إلى ظهره، يمسك المشعوذ سيفا طويلا من الصلب ويعرضه على المشاهدين حتى يتأكدوا من أنه سلاح ماض يقتل الشخص، ثم يطعن به أحد مساعديه في بطنه فيخرج من ظهره ملوثا بالدماء، ومع ذلك تجد المطعون حيا لم يمت(١).

وسرُّ هذه الفعلة أنَّ المشعوذ يقوم بإلباس مساعده حزاما ملفوفا إلى نصفه بماسورة معدنية على شكل نصف دائرة مفتوحة، وهذا يكون تحت ملابس المساعد، ثم يأتي المشعوذ ويضع سنّ السيف متجها نحو بطن المساعد، فيخترق الحزام، مارا بالماسورة، ويخرج من نهايتها عند ظهره مع مراعاة أن سبب نزول الدم وجود فقاعة مملوءة بالسائل الذي يشبه الدم، فبمرور السيف يخترقها فتنفجر ويخرج السيف ملوثا بالدماء.

٣ ــ ومن هذه الحيل أنَّ الساحر يأمر الساعة بالوقوف عن الدوران فتقف.

ففي صالة العرض يأمر الساحر جميع المشاهدين بإخراج ساعاتهم، ثمَّ يمدُّ يده إلى أية ساعة منها دون أنْ يلمسها، ويأمرها بالوقوف عن الدَّوَران فتتوقف، وهكذا يعمل مع بقية الساعات.

والسر في هذا أن المشعوذ قد اشتمل على نوع قوي من أنواع المغناطيس الصغير، ووضعه على ذراعه تحت جلبابه أو قميصه بحيث لا يراه المشاهدون، فعندما يقترب من أي الساعات تتوقف عن الدوران في الحال، والواقع أنه تمويه سببه الجاذبية المغناطيسية، وليس المشعوذ.

وهناك أفعال يقوم بها المشعوذون يوهمون بها الناس كاستخدام بعض المواد كمادة الفوسفور، وهي مادة صلبة شمعية اللون تلتهب بمجرد ملامستها الهواء،

---

(١) فن الشعوذة ص ٢٧، ٢٨.

وكمادة زيت الزيتون، فيخلطون بعض أجزاء المادتين على بعض، ثم يدهنون بها جلابيب بيضاء، ويضعونها في غرفة مظلمة، فترى أوجها منيرة تخرج أشعة، والسحر الذي يعتمد على الصناعة والحيل وخفة الحركة في هذه الأيام كثير، يشاهده الناس في كلِّ مكان، وقد زار الكويت كثير من السحرة الذين يتعاطون هذا النوع من السحر، وأحد هؤلاء السحرة من بنغلادش اسمه «جويل ايش» يعمل في بلاده مديرا «لمعهد بنغلادش لتعليم فنون السحر» والذي أصبح اسمه بعد ذلك «مركز بنغلادش لأبحاث السحر».

وفي أحد عروضه على «مسرح اتحاد العمال، قام بعدة ألعاب منها أنَّ عددا من المتفرجين ربطوا يديه خلف ظهره، ثم وضعوه في كيس، ثم وضعوا الكيس في صندوق، وأغلق بإحكام، ووضع فوق الصندوق كيس آخر، وفي أقل من دقيقة واحدة خرج الساحر للجمهور، ولم يكتف بذلك، بل رجع للكيس والصندوق، وفي أقل من دقيقة ظهر للجمهور مربوطا كما كان».

وفي لعبة أخرى يضع فتاة في صندوق بمقدار طولها. ثم يبدأ بتقطيعها إلى ثلاث قطع بواسطة سكين عريضة. وفي لعبة أخرى يضع حمامتين في صندوق فارغ، وبعد ذلك يفتح الصندوق، ولكن تختفي الحمامتان منه. وفي لعبة ثالثة يرفع قطعة قماش أسطوانية بعد أن يضع فتاة داخلها، ثم ينزل هذه القطعة فتختفي الفتاة ثم يرفعها، وينزلها فتظهر الفتاة هذه المرة بملابس جديدة!.

وقام بعض المتفرجين بربط عينيه جيدا، وأخذ قسم منهم بكتابة عبارات على السبورة. وكان يكتب مثلها، حتى إن أحد المتفرجين قام من المسرح وحاول خداع الساحر ولم يكتب شيئا، بل حرك أصبعه فقط. والغريب أنَّ الساحر قام بحركة المتفرج نفسها.

وقد زار هذا الساحر جريدة القبس، وقدَّم أحد عروضه في صالة المحررين بجريدة القبس، وأجرت معه الجريدة مقابلة نشرت بتاريخ ١٢/١/١٩٨٤.

١٠ ـ استعمال خواص الأدوية والأطعمة والملابس

وبعض السحرة والذين يدَّعون القدرة على فعل الأمور الخارقة يستخدمون خواص المواد التي خلقها الله مما عرفوا خواصه، ولم يعلمه بقية الناس.

فمن ذلك دخول بعض هؤلاء في النار، حيث يدهنون جلودهم بمواد لها خاصية مقاومة النار، ويلبسون ثيابا لا تحرقها النيران.

وقد يجعلون في طعام من يزعمون أنهم سحروهم أو آذوهم بطريق السحر بعض الأدوية أو الأشربة أو الأطعمة التي تغير مزاج الإنسان، وقد تبلد عقله وتمرض جسده، فمثلا إذا أكل الإنسان دماغ حمار تبلد عقله، وقلت فطنته.

وقد سمّى القرافي هذا النوع «بالسيمياء، وهو عبارة عما يركب من خواص أرضية كدهن خاص، أو مائعات خاصة توجب تخيلات خاصة، وإدراك الحواس الخمس أو بعضا لحقائق خاصة من المأكولات والمشمومات والمبصرات والملموسات والمسموعات، وقد يكون لذلك وجود حقيقي يخلق الله تلك الأعيان عند تلك المحاولات، وقد لا تكون له حقيقة، وقد يستولي على الأوهام حتى يتخيل الوهم مُضِيَّ السنين المتطاولة في الزمن اليسير، وتكرر الفصول، وتخيل السن، وحدوث الأولاد، وانقضاء الأعمار في الوقت المتقارب من الساعة ونحوها ويسلب الفكر الصحيح بالكلية، ويصير أحوال الإنسان مع تلك المحاولات كحالات النائم من غير فرق، ويختص ذلك كله بمن عمل له، ومن لم يعمل له لا يجد شيئا من ذلك»[1]

---

(١) الفروق للقرافي: ١٣٧/٤

وأدخل فيه بعض أهل العلم بعض خواص ما لم يعلم سببه، ومن ذلك أنَّ السحرة يزعمون أنك إذا رميت بعض الكلاب بسبعة أحجار وعضَّ كلٌّ واحد منها، ثم أخذتها وطرحتها في إناء فإنَّ من يشرب منه تظهر عليه آثار عجيبة خاصة(١).

ويأبى الباحثون في هذا العلم أن يدخلوا في هذا النوع خواص الحقائق المختصة بانفعالات الأمزجة صحة أو سقها، نحو الأدوية والأغذية من الجماد والنبات والحيوان المسطورة في كتب الأطباء والعشابين والطبائعيين، فإنَّ هذا داخل في علم الطب لا في السحر، ويزعم بعضهم أنَّ الذي يدخل في السحر ويختصُّ به هو الذي يتسلط على النفوس لا على الأبدان(٢).

وإنما تُسَمَّى سحرا إذا استخدمت من قبل من يدعي السحر، إذا كان الناس لا يعلمون سبب ما يفعله الساحر ويقوم به. أمَّا إذا انكشف السر وظهر فلا يكون سحرا.

١١ ـ السعي بالنميمة والتضريب(٣) من وجوه خفية

ومن السحر المجازي ـ كما نصَّ عليه أبو بكر الرازي وابن كثير وغيرهما ـ السعي بالنميمة وإفساد العلاقة بين العباد، وهذا النوع كما يقول العلماء شائع بين الناس، وقد ذكر هذا النوع الجصَّاص فقال: «وضرب آخر من السحر، وهو السعي بالنميمة والوشاية بها، والبلاغات والإفساد والتضريب من وجوه خفية لطيفة، وذلك عام شائع في كثير من الناس.

---

(١) الفروق: ١٣٨/٤

(٢) الفروق: ١٣٨/٤

(٣) تضرب الشيء تحرك وماج . وضرب بينهم أوقع وأفسد

وقد حكى أنَّ امرأة أرادت إفساد ما بين زوجين، فصارت إلى الزوجة، فقالت لها: إن زوجك مُعْرِض، وقد سحر، وهو مأخوذ عنك، وسأسحره لك حتى لا يريد غيرك، ولا ينظر إلى سواك، ولكن لابدَّ أن تأخذي من شعر حَلْقِه بالموس ثلاث شعرات إذا نام وتعطينيها، فإنَّ بها يتم الأمر، فاغترت بقولها وصَدَّقتها.

ثم ذهبت إلى الرجل وقالت له: إنَّ امرأتك قد علقت رجلا، وقد عزمت على قتلك، وقد وَقَفْتُ على ذلك من أمرها، فأشفقت عليك، ولزمني نصحك، فتيقظ، ولا تغتر، فإنها عزمت على ذلك بالموس، وستعرف ذلك منها، فما في أمرها شك.

فتناوم الرجل في بيته، فلما ظنت المرأة أنه قد نام عمدت إلى موس حاد، وهوت به لتحلق من حلقه ثلاث شعرت، ففتح الرجل عينيه فرآها وقد أهوت بالموس إلى حلقه، فلم يشكَّ في أنها أرادت قتله، فقام إليها فقتلها وقتل[1].

ويقول الشيخ محمد عبده في تفسير سورة الفلق: «والنميمة تشبه أن تكون ضربا من السحر، لأنها تحول ما بين الصديقين من محبة إلى عداوة، بوسيلة خفية كاذبة.

والنميمة تُضَلِّل وجدان الصديقين كما يضلل الليل من يسير فيه بظلمته، ولا يسهل على أحد أن يحتاط للتحفظ من النمام، فإنه يذكر عنك ما يذكر لصاحبك، وأنت لا تعلم ماذا يقول، ولا ما يمكن أن يقول.

وإذا جاءك فربما دخل عليك بما يشبه الصدق، حتى لا يكاد يمكن تكذيبه، فلابدَّ لك من قوة أعظم من قوتك تستعين بها، وهي قوة الله»[1].

(١) أحكام القرآن للجصاص: ٤٨/١

وقال صديق حسن خان: «قال أبو الخطاب في (عيون المسائل): ومن السحر السعي بالنميمة والإفساد بين الناس.

قال في (الفروع): وَوُجِّه أنه يقصد الأذى في كلامه وفي عمله، على وجه المكر والحيلة فأشبه السحر، وهذا يعرف بالعرف والعادة أنَّه يؤثر وينتج ما يعمله السحر أو أكثر، فَيُعْطَى حكمه، تسوية بين المتماثلين أو المتقاربين.

لكن يقال: الساحر إنما يكفر بوصف السحر، وهو أمر خاص، ودليله خاص، وهذا ليس بسحر، وإنما يؤثر عمله ما يؤثره، فيعطي حكمه إلا فيما اختص به من الكفر، وعدم قبول التوبة[(١)].

وقد سمى الرسول ﷺ النميمة بالعَضْة، ففي صحيح مسلم عن عبدالله بن مسعود قال: «إنَّ محمدا ﷺ قال: (ألا أنبئكم ما العَضْةُ؟ هي النميمة القالة بين الناس)[(٢)].

قال النووي: رووا لفظة العضة على وجهين: أحدهما العضة على وزن العِدة. والثاني: العَضْه بفتح العين وإسكان الضاد على وزن الوجه، وتقدير الحديث: ألا أنبئكم ما العضة؟ الفاحش الغليظ التحريم[(٣)].

والعضة: هي البهت، وأطلق على النميمة اسم العضة لأنها لاتنفك عن الكذب والبهتان غالبا.

---

(١) الدين الخالص: ٢/٣٣١

(٢) صحيح مسلم: ٤/٢٠١٢ ورقم الحديث: ٢٦٠٦

(٣) شرح النووي على مسلم: ١٦/١٥٩

الفصل السادس

المدى الذي يبلغه الساحر بسحره

ذكرنا من قبل أن الراجح من أقوال أهل العلم أنَّ للسحر حقيقة، والذين ذهبوا هذا المذهب اختلفوا في المدى الذي يبلغه سحر الساحر، فذهب فريق إلى أنَّ السحر له تأثير على المزاج، ويؤثر في الأمراض والإيذاء، ولكنه لا يتعدى هذا إلى تغيير حقائق الأشياء، وذهب آخرون إلى أنَّ الساحر يبلغ بسحره ـ إذا كان قويا ـ درجة تغيير الحقائق وتبديلها.

يقول التهانوي في هذه المسألة:

«أما جمهور العلماء فيتفقون على أنَّ للسحر حقيقة، وفي ظاهر الكتاب والسنة المشهورة دلالة على ذلك، ولكنهم يختلفون في هذا الأمر، وهو أنه إذا كان له تأثير في تغيير المزاج فقط فهو نوع من المرض أو ينتهي تأثيره مع الحالة، يعني انقلاب حقيقة الشيء بحقيقة أخرى، كما يصير الإنسان جماداً والعكس، ويصير الإنسان حماراً والكبش أسداً والعكس. والجمهور يقول بهذا»[1].

ومن الذين تعرضوا لهذه المسألة القرافي في (فروقه)، وقد قال فيها:

«قال الأستاذ أبوإسحاق: وقد يقع به التغيير والضنى، وربما أتلف وأوجب الحبَّ والبغض والبله، وفيه أدوية مثل المرائر والأكباد والأدمغة، فهذا يجوز عادة. وأما

(١) كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي: ١٥٦

طلوع الزرع في الحال أو نقل الأمتعة والقتل على الفور والعمى والصمم ونحوه وعلم الغيب فممتنع، وإلا لم يأمن أحد على نفسه عند العداوة، وقد وقع القتل والعناد من السحرة، ولم يبلغ فيها أحد هذا المبلغ، وقد وصل القبط فيه إلى الغاية، وقطع فرعون أيديهم وأرجلهم، ولم يتمكنوا من الدفع عن أنفسهم والتغيب والهروب.

وحكى ابن الجويني أنَّ أكثر علمائنا جوزوا أن يستدقّ جسم الساحر حتى يلج في الكوة، ويجري على خيط مستدقٍّ، ويطير في الهواء، ويقتل غيره.

قال القاضي: ولا يقع فيه إلا ما هو مقدور للبشر، وأجمعت الأمة على أنه لا يصل إلى إحياء الموتى وإبراء الأكمة، وفلق البحر، وإنطاق البهائم.

قلت: ووصوله إلى القتل، وتغيير الخلق، ونقل الإنسان إلى صورة البهائم هو الصحيح المنقول عنهم»(١).

ويقول الرازي: «جوز أهل السنة أن يقدر الساحر على أن يطير في الهواء، ويقلب الإنسان حمارا، والحمار إنسانا، إلا أنهم قالوا: إنَّ الله تعالى هو الخالق لهذه الأشياء عندما يقرأ الساحر رقى مخصوصة، وكلمات معينة، فأما أن يكون المؤثر في ذلك الفلك والنجوم فلا»(٢).

ونقل ابن كثير كلام الرازي الذي ذكرناه وسكت عنه(٣).

وعرض القرطبي لهذه المسألة فقال:

«قال علماؤنا: لا ينكر أن يظهر على يد الساحر خرق العادات مما ليس في مقدور البشر من مرض وتفريق وزوال عقل وتعويج عضو، إلى غير ذلك مما قام

---

(١) الفروق: ٤/١٣٩

(٢) قصة السحر: ص ٤٧

(٣) تفسير ابن كثير: ١/٢٥٣

الدليل على استحالة كونه من مقدورات العباد.

قالوا: ولا يبعد في السحر أن يستدقّ جسم الساحر حتى يتولج في الكوات والخوخات والانتصاب على رأس قصبة، والجري على خيط مستدق، والطيران في الهواء، والمشي على الماء، وركوب كلب وغير ذلك»[1].

ولكنه يرى أنّ الساحر لا يبلغ بسحره إلى درجة قلب حقائق الأشياء، كأن يجعل الجماد حيوانا، والإنسان حمارا، وعكسه.

يقول القرطبي: «أجمع المسلمون على أنه ليس في السحر ما يفعل الله عنده إنزال الجراد والقمل والضفادع وفلق البحر وقلب العصا وإحياء الأموات وإنطاق العجماء، وأمثال ذلك من عظيم آيات الرسل عليهم السلام، فهذا ونحوه مما يجب القطع بأنه لا يكون، ولا يفعله الله عند إرادة الساحر»[2].

وقال الراغب في كلامه على النوع الثالث من أنواع السحر: «والثالث: ما يذهب إليه الأغتام، وهو اسم لفعل يزعمون أنه من قوته يغير الصور والطبائع، فيجعل الإنسان حمارا، ولا حقيقة لذلك عند المحصّلين»[3].

ويقول ابن حجر العسقلاني: «الذين قالوا: إنّ له حقيقة اختلفوا هل له تأثير فقط بحيث يغير المزاج فيكون نوعا من الأمراض، أو هو ينتهي إلى الإحالة بحيث يُصَيِّر الجماد حيوانا وعكسه؟ فالذي عليه الجمهور هو الأول، وذهبت طائفة قليلة إلى الثاني، فإن كان بالنظر إلى القدرة الإلهية فمسلّم، وإن كان بالنظر إلى الواقع فهو محل الخلاف، فإنّ كثيرا ممن يَدَّعي ذلك لا يستطيع إقامة البرهان عليه»[4].

---

(١) تفسير القرطبي: ٤٧/٢

(٢) تفسير القرطبي: ٤٧/٢

(٣) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني: ص ٢٢٦

(٤) فتح الباري: ٣٢٢/١٠

وإذا أنت تأملت في هذه النقول التي سقناها تبين لك أنَّ في المسألة اضطرابا كبيرا، وسبب هذا الاضطراب هو عدم معرفة حقيقة السحر عند كثير من الباحثين فيه.

إنَّ السحر الحقيقي هو الذي يستعين فيه الساحر بالشيطان، وقد أخبرنا ربنا الذي أحاط بكلِّ شيءٍ علما أنَّ الشياطين هم الذين يعلِّمون الناس السحر ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾[1].

وقد تواتر النقل عمن بحث في أحوال السحر والسحرة في إثبات العلاقة بين السحرة والشياطين، فالسحرة يتقربون إلى الشياطين بما يحبونه من العقائد الفاسدة، والأعمال الضالة، وأكل المحرمات والخبائث، فتعينهم الشياطين على مقاصدهم، ولذا فإن الحذَّاق من علمائنا عرَّفوا السحر بأنَّه: عمل تُقُرِّب فيه إلى الشيطان وبمعونه منه، كلّ ذلك الأمر كينونة للسحر، ومن السحر الأخذة التي تأخذ العين، حتى يظنَّ أنَّ الأمر كما يرى، وليس الأصل على مايرى[2].

ويقول الألوسي: «المراد بالسحر: أمر غريب يشبه الخارق، وليس به، إذ يجرى فيه التعلم، ويستعان في تحصيله بالتقرب إلى الشيطان بارتكاب القبائح، قولا كالرقى التي فيها ألفاظ الشرك ومدح الشيطان وتسخيره، وعملا كعبادة الكواكب، والتزام الجناية، وسائر الفسوق، واعتقادا كاستحسان ما يوجب التقرب إليه ومحبته إياه، وذلك لا يستتب إلا بما يناسبه في الشرارة وخبث النفس، فإن التناسب شرط التضام والتعاون، فكما أنَّ الملائكة لا تعاون إلا أخيار الناس المشبهين بهم في المواظبة على العبادة والتقرب إلى الله تعالى بالقول والفعل، كذلك الشياطين لا تعاون إلا الأشرار المشبهين بهم في الخباثة والنجاسة

(١) سورة البقرة: ١٠٢.
(٢) لسان العرب: ١٠٦/٢.

قولا وفعلا واعتقادا، وبهذا يتميز الساحر عن النبي والولي»[1].

وقال الغزالي في تعريفه فيما نقله عنه صديق حسن خان: «السحر نوع يستفاد من العلم بخواص الجواهر، وبأمور حسابية في مطالع النجوم، فيتخذ من تلك الخواص هيكلا على صورة الشخص المسحور، ويترصد له وقتا مخصوصاً من المطالع، وتقترن به كلمات يتلفظ بها من الكفر والفحش المخالف للشرع يتوصل بها إلى الاستعانة بالشياطين، وتحصل من مجموع ذلك - بحكم إجراءات العادة - أحوال غريبة في الشخص المسحور»[2].

ويقول الراغب في كلامه على السحر الذي يستعين فيه الساحر بالشياطين «والثاني: استجلاب معاونة الشياطين بضرب من التقرب إليهم، كقوله تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ۝ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾[3]. وعلى ذلك قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾[4]»[5].

وليس هذا الفهم مقصورا على العلماء المسلمين، بل كثير من الباحثين من غير المسلمين توصل إلى هذه النتيجة.

فقد عرف قانون المستعمرات الانجليزية في أمريكيا (قبل الثورة وتوحيد الولايات) السحر بأنه «التعاطف والتعاون مع الشيطان أو التحدث معه، أو اللعب معه، وطلب المعونة والمشورة منه»[6].

---

(١) روح المعاني: ١/٣٣٨.
(٢) الدين الخالص: ٢/٣٢٤.
(٣) سورة الشعراء: ٢٢١ - ٢٢٢.
(٤) سورة البقرة: ١٠٢.
(٥) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني: ص ٢٢٦
(٦) كتاب (اللعب مع الشيطان) لـ (جون ديموس) البريطاني الجنسية. انظر مقالا في ملحق جريدة الوطن الكويتية بتاريخ ١٩٨٢/٧/٢١.

وهذا الذي ذكره العلماء من أنّ السحر إنما يتم بعبادة الشيطان والتزلف إليه بالشرك والذنوب والمعاصي هو الحقُّ الذي دلَّت عليه النصوص. فَهَمُّ الشيطان الأكبر صرف العباد عن عبادة الله وحده، وإيقاعهم في الشرك الذي يجلب لهم النار وغضب الجبار، والشيطان ينوع طرق الضلال التي يضلّ بها العباد، ولكن هذه الطرق جميعها تصب في النهاية في مصبّ واحد هو الإشراك الذي يحقُّ على الناس غضب الله.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «والشيطان يضلُّ الإنسان بحسب قدرته، فمن عبد الشمس والقمر والكواكب فإنَّه ينزل عليه شيطان يخاطبه ويحدثه ببعض الأمور، ويسمون ذلك روحانية الكواكب، وهو شيطان، وكذلك عبَّاد الأصنام قد تخاطبهم الشياطين، وكذلك من استغاث بميت أو غائب، وكذلك من دعا الميت أو دعا به، أو ظنَّ أن الدعاء عند قبره أفضل منه في البيوت والمساجد»[1].

ويقول في موضع آخر: «والشياطين تدخل في الأصنام وتعينهم في بعض مطالبهم كما تعين عباد الشمس والقمر والكواكب والنجوم إذا عبدوها بالعبادات التي يظنون أنها تناسبها، من تسبيح لها، ولباس وبخور وغير ذلك، فإنه قد تنزل عليهم شياطين يسمونها روحانية الكواكب، وقد تقضي بعض حوائجهم، إمّا قتل بعض أعدائهم أو إمراضه وإما جلب بعض من يهوونه، وإمّا بإحضار بعض المال»[2].

والشيطان خبيث، ولذلك يحب الخبث والشر والفاسد ويتلذذ به، ويحب الذين يتصفون بهذا الخبث، فإذا تقرب إليه البشر بالشر والفساد أعانهم وحقق

---

(١) مجموع الفتاوى: ٢٩٢/١١.
(٢) إيضاح الدلالة: ص ١٢٦.

لهم بعض أغراضهم، ومن اضلال الشياطين تنزله على بعض أهل الشر والفساد يزعم أنه روح من الأرواح فيظنُّ هؤلاء المساكين أنَّ الذي جاءه ملك، وإنما الذي جاءه شيطان.

وقد كان للأسود العنسي الذي ادعى النبوة شياطين يخبرونه ببعض الأمور المغيبة، فلما قاتله المسلمون كانوا يخافون من الشياطين أن يخبروه بما يقولون فيه حتى أعانتهم على قتله زوجته لما تبين لها كفره. وكذلك مسيلمة الكذاب كان معه من الشياطين من يخبره بالمغيبات، ويعينه على بعض الأمور(١).

وأول من ادعى في الإسلام أنَّ الأرواح تنزل عليه وتخاطبه المختار بن أبي عبيد الثقفي، وقيل لابن عمر وابن عباس: إن المختار يزعم أنه ينزل إليه، فقالا: صدق، قال الله تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾﴾(٢).

وقيل لآخر: إن المختار يزعم أنه يوحى إليه، فقال: قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَـٰدِلُوكُمْ﴾(٣).

وهذه هي الأرواح التي كانت تتنزل عل ابن عربي صاحب الفتوحات وهي التي ألقت له كتاب الفتوحات(٤).

فإذا ثبت أنَّ السحر لا يتم إلا بعبادة الساحر للشيطان، ومعونة الشيطان للساحر، وجب علينا أن نتعرف على قدرات الشياطين لنعرف المدى الذي يمكن للساحر أن يبلغه بسحره.

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام: ١١/٢٨٤.
(٢) سورة الشعراء: ٢٢١ - ٢٢٢.
(٣) سورة الأنعام: ١٢١.
(٤) مجموع الفتاوى: ١١/٢٣٨.

وكي يحيط الباحث علما بقدرات عالم الجن والشياطين عليه أن يرجع إلى النصوص من الكتاب والسنة التي تعرفنا بهذا العالم وتعرفنا على القدرات التي وهبها الله لهذه المخلوقات.

وقد كنت ألفت كتابا موضوعه عالم الجنّ والشياطين، وذكرت فيه القدرات التي يتصف بها هذا العالم، فالجن مخلوقات عاقلة خلقها الله كما خلق الجن لعبادته وطاعته، ومنهم الكافر ومنهم المؤمن، ولديهم القدرة على رؤيتنا، ولم نعط القدرة على رؤيتهم، ولديهم القدرة على الانتقال السريع في أقطار الأرض، والصعود في أجواز الفضاء، وهم في انتقالهم يستطيعون حمل الأثقال العظيمة، كما أنَّ لديهم القدرة على التشكل بأشكال مختلفة، فقد يتشكلون في صورة بشر أو حيوان أو أفعى ونحو ذلك.

وقد سخرهم الله لنبيه سليمان فكانوا يبنون له القصور الشاهقة، ويصنعون له التماثيل البديعة، والصحاف الكبيرة، والقدور الراسية، ويغوصون في أعماق البحار لاستخراج اللالىء، فإذا خالف منهم مخالف وضعه في الأسر وصفده بالأصفاد.

ويستطيع الشيطان أن يضر بعض العباد، وقد حاول عفريت أن يؤذي الرسول ﷺ فردَّ الله كيده في نحره، وأمكن الله رسوله منه.

وأخبرنا رسولنا ﷺ أنَّ الشيطان يجري من ابن آدم مجري الدم، ففي صحيحي البخاري ومسلم عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم» كما أنَّ لدى الشياطين كثيرا من العلم، فهم يعلمون الكثير عن تكوين الإنسان وما يمرضه، وما يصلحه، كما يعلمون الكثير عن خصائص العناصر والمخلوقات، وقد يكون علمهم في هذا متقدما عن علم البشر.

ولكن الشياطين لا يستطيعون أن يأتوا بمثل المعجزات التي ينزلها الله على رسله وأنبيائه قال تعالى في حق القرآن: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾[(١)]. فهذا نصٌّ صريح يدلك على عدم قدرتهم على محاكات القرآن والإتيان بشيء يماثله، ولذلك تحدى الله الجن والإنس بالاتيان بمثله ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾[(٢)].

وأخبرنا الرسول ﷺ أن الشيطان لا يستطيع أن يتمثل في الرؤيا بمثل صورة الرسول ﷺ.

كما أنَّ الشياطين لا تستطيع أن تتجاوز حدودا معينة في الفضاء ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾﴾[(٣)].

وأخبرنا الرسول ﷺ أنَّ الشيطان لا يستطيع أن يفتح بابا مغلقا، ولا يكشف آنية خمرّت، ولا يحل قِرْبةً أوكيت.

ومن الأمور التي لا تبلغها قدرة الشيطان ما نصَّ الله عليه في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾﴾[(٤)].

---

(١) سورة الشعراء: ٢١٠.
(٢) سورة الإسراء: ٨٨.
(٣) سورة الرحمن: ٣٣.
(٤) سورة الحج: ٧٤.

والآية دليل واضح الدلالة على عجز كل من عُبِدَ من دون الله عن الخلق والأحياء، ولو كان هذا المخلوق حقيراً مثل الذباب، ولا شك أنَّ الجنَّ من الآلهة الباطلة التي عبدت من دون الله(١).

فإذا عرفت ما يستطيعه الشيطان وما لا يستطيعه تبين لك الحقُّ في هذه المسألة، فالشيطان إمّا بنفسه أو بما لديه من علوم قد يُسَلَّط على بعض الناس بالإمراض والإسقام وإزالة العقل وتعويج العضو، كما يستطيع أن يحمل الساحر ويرفعه في الهواء، ويخرج به من الأماكن الضيقة، ويجري به على خيط مستدق، ويمكنه أن يحمل الجراد والقمل، ويسقطه على بعض القرى والبلاد.

كما يستطيع الجنُّ معالجة بعض الأمراض كما يعالجها البشر، كمعالجة الصمم أو الصلع أو أمراض القلوب والأمعاء ونحو ذلك. وليس مما تستطيعه الشياطين إحياء الموتى، وانطاق العجماء، وتحويل الإنسان حمارا، والحمار إنسانا، ولا يستطيع الشيطان الاتيان بمثل معجزات الأنبياء، فلا يستطيع شقَّ القمر، ولا فلق البحر، ولا اختراع طعام، ولا اخراج ناقة من صخر، فالشياطين أقلُّ وأذلُّ من أن يستطيعوا مثل هذا، والذين يجوزون ذلك ليس معهم دليل من عقل أو نقل.

ولكن هنا شبهة لابدَّ من إيضاحها، وهي أنَّ بعض الناس يزعمون أنهم رأوا الساحر يحيى ميتا، وآخر ينطق عجماء، وآخر يحول إنساناً إلى حمار، وآخر يمسك الحيات ويلعب بها.

وقد ذكرت في سحر التخييل فيما سبق قصصا كثيرة تصلح نماذج لهذا الذي نتحدث عنه هنا.

---

(١) إذا أردت التوسع في معرفة قدرات الجن والادلة على ذلك من الكتاب والسنة فارجع إلى كتابنا «عالم الجن والشياطين».

ومن هذا القبيل ما وقع من سحرة فرعون، فقد سحروا أعين الناس، فخيل للرائين أنَّ الحبال والعصي تحولت إلى أفاعي تسعى.

ويذكر ابن بطوطة في رحلته أنه شاهد في إحدى الجزر التي تدعى بجزيرة (ذيبة المهل) في حفل أقيم على شرفه طائفة يُدْعَون بالفقراء، يدخلون النار، ويطؤونها بأقدامهم، ومنهم من كان يأكلها كالحلوى(١).

وقد نقل صديق حسن خان عن ابن بطوطة هذه الحادثة، وعقب على ذلك قائلا: «ويقال لهؤلاء القوم - في اصطلاحهم وعرفهم - الأبدال، منهم في زماننا هذا في بلدة (قنوج) من بلاد الهند، ثم انقرضوا»(٢).

ومن غرائب السحر سحر الحيات والثعابين، يقول القرافي: «رأيت بعض السحرة يسحر الحيات العظام، فتقبل إليه وتموت بين يديه ساعة، ثم تفيق، ثم يعاود ذلك الكلام فيعود حالها كذلك أبدا، وكان في ذلك يقول: موسى بعصاه، محمد بفرقانه، يا معلم الصغار علمني كيف آخذ الحية والحوية، وكانت له قوة نفس يحصل منها مع هذه الكلمات هذا الأثر»(٣).

ويقول صاحب (الموسوعة العربية الميسرة) «عُرِف فنُّ سحر الحيات والثعابين واصطيادها والسيطرة عليها في بلاد الشرق منذ عصور موغلة في القدم، سواء باعتباره وسيلة من وسائل التسلية أو طريقة لابعاد الزواحف الخطيرة عن الانسان والماشية. ويستطيع الحواة الهنود السيطرة على الكوبرا، وذلك بعزف الموسيقى الايقاعية المتسقة، كما يتمُّ سحر الحية السامة بوساطة حركات ايقاعية تنبعث من جسم لامع. وفي بعض الأحيان ينزع الحواة أنياب الحية، ولكنهم في

(١) رحلة ابن بطوطة: ٢/٦٦٥.
(٢) الدين الخالص: ٣/٥٨١.
(٣) الفروق: ١/١٤١.

كثير من الأحيان - حرصا على سلامتهم - يعتمدون على قوتهم في السحر الذي يتوارثونه عن أسلافهم(1).

إنَّ كثيراً من الناس يُكَذِّبون بأمثال هذه القصص والأخبار التي ذكرت نماذج لها في هذا المبحث، ويقولون هي أساطير.

وابن خلدون وطائفة من الباحثين يرون أنَّ الساحر استطاع أن يؤثر في القوى المتخيلة للآخرين، فيجعلهم يرون الشيء على غير حقيقته وقد سبق نقل أقواله في هذا الموضوع.

وعندي تفسيران آخران: الأول: أن بعض ما يشاهده الناس هو مخترعات علمية لم يدرك الناس سرّها في ذلك الوقت، وقد اقتربنا اليوم من التوصل إلى مثل هذه الأمور، وكادت أن تصبح أمورا لا تثير غرابة. إن السينما والتلفاز اليوم تقومان بأداء أدوار في عالم الواقع كانت تعدُّ في الماضي من السحر العظيم الذي لا يأتي به إلا ساحر كبير.

فماذا لو كان عند الشياطين علم متقدم في هذا المجال يرى الناس البيوت والجنات والبساتين والأنهار والنساء الجميلات وهم جلوس في أمكنة خالية، فإذا انقطع البث يجدون أنفسهم في بيت موحش لا أنيس به، ولا جنات.

لقد توصل البشر اليوم إلى عرض الأفلام في الهواء من غير شاشة سينمائية، وذلك بتجسيم المناظر المشاهدة في الفضاء، وأصبح بالإمكان أن يعرض المنظر بكل أبعادة بحيث يُشَاهَد المنظر المصوَّر من كلِّ الزوايا، لأنه صور في ان واحد من كل الجهات بآلة تصوير لها القدرة على التصوير على هذا النحو.

---

(1) الموسوعة العربية الميسرة: ص٩٧٢.

وقد نشرت وكالات الأنباء في الأيام التي عاد فيها الخميني إلى إيران بعد استيلائه على الحكم أنَّ صورة الخميني ظهرت على القمر في سماء طهران، ورآها مئات الألوف في تلك الليلة، ولاشك أنَّ هذا الذي رأوه هو من هذا النوع الذي صورت فيه صورته بتلك الطريقة العلمية التي ذكرناها. والتعليل الثاني لبعض هذه الوقائع أنَّ الشيطان أو الشياطين تمثل للرائي الصورة والمرئيات التي يراها(١)، وتقوم هي بدور خداع الإنسان والضحك عليه.

ونحن نعلم ـ بما علمنا ربنا في كتابه ورسولنا في سنته ـ أن الشيطان لديه القدرة على أن يتشكَّل في صورة إنسان ما، حتى يخيل لرائيه أنه هو، وقد يتحرك حركة سريعة لا يستطيع البصر ملاحقتها، حتى تبدو للإنسان معجزة خارقة.

وفي ظني أن غالب السحر يقع على هذا النحو، فالذي يريك أنه أعاد إلى الحياة إنسانا أو حيوانا قد قتل وفارق رأسه جسده هو كاذب في زعمه أنه أحياه، ولكنك ترى رأسه قد ركب في جسده، وقد ينطق ويتكلم، وحقيقة الأمر أن الشيطان جمع رأسه إلى جسده، وحلَّ به هذا الشيطان، وحرك لسانه على نحو ما، فتظن أن الميت هو المتحدث.

وقد يتمثل الشيطان في صورة الإنسان القتيل، ويقوم ويمشي ويتحرك، ويأكل ويشرب.

وقد يتلبس الشيطان بالحيوان وينطق من جوفه فيظن السامع أن الحيوان هو الذي ينطق ويتكلم.

وقد تبعد الشياطين الحيوان بسرعة خارقة لا تدركها عيون البشر، ثم يتمثل الشيطان مكانه في صورة إنسان، أو يبدل الحيوان القتيل بحيوان آخر حي.

---

(١) راجع في تمثل الجن والشياطين كتابنا «عالم الجن والشياطين»

إن الذي نجزم به أنّ للجانّ قدرة لا يستطيعون تجاوزها، والساحر الذي يستعين بالشياطين لا يمكن أن يبلغ بسحره فوق القدر الذي تبلغه قدرة الثقلين، وكلُّ الذي يحدث في مثل هذه الأحوال خدع وتمثيل وتخييل، والحقيقة كلها بخلاف ما رأى الرائي وسمع السامع.

ومثل هذا يقال في الإخبار بالغيوب، فإذا كانت الأمور المسؤول عنها وقعت وانقضت فإنَّ الجنَّ قد تجيب عنها وتخبر بها، وقد تخطىء في ذلك.

أما المستقبل فلا يعلمون عنه شيئا، وما يخبرون به عن حدس وتخمين، أو هو مما استرقته الشياطين من الملائكة، قبل وقوعه في الأرض، وفي هذه الأخبار التي تأتي بها عن وقائع المستقبل كذب كثير كما سيأتي بيانه.

فإن قيل: أتنفي أن يكون للساحر أي فعل في تحقيق السحر الذي يقوم به؟ وكيف تفسر وقوع السحر عندما يلجأ الساحر إلى النفخ أو النفث، أو مخاطبة الكواكب والنجوم، أو ذبح الطيور والحيوانات ونحو ذلك؟

الجواب: أنَّ الساحر قد يكون له فعل في بعض الأحيان، فعندما يريد أذيّة شخص ما وايقاع الضرر به تتكيف نفسه بالخبث، فإذا نفث في هذه الحال بعد أن استدعى الشيطان اتّحدت نفسه مع الشيطان فكان الإضرار.

يقول ابن القيم: «والنفث فعل الساحر. فإذا تكيفت نفسه بالخبث والشر الذي يريده بالمسحور، ويستعين عليه بالأرواح الخبيثة، نفخ في تلك العقد نفخا معه ريق، فيخرج من نفسه الخبيثة نفس ممازج للشر والأذى، مقترن بالريق الممازج لذلك، وقد تساعد هو والروح الشيطانية على أذى المسحور، فيقع فيه السحر بإذن الله الكوني القدري، لا الأمري الشرعي»[1].

---

(١) التفسير القيم: ص٥٦٣.

أما وقع السحر عند تلفظ الساحر بألفاظ معينة أو ذبحه بعض الطيور والحيوانات أو مخاطبة الساحر للكواكب ونحو ذلك فسر هذا أنَّ الساحر يرضي الشيطان بأفعال وأقوال شركية كفرية، فيفعل ما يريده الساحر أو بعضه من إذاية الناس وإيقاع الضرر بهم، وأما دعوى السحرة أنَّ الكواكب لها روحانية تعقل وتفقه فإنه دجل وكذب يبغون من وراءه ستر كفرهم وشركهم.

يدلك على هذا أنَّ الساحر الذي يزعم أنه يستعين بروحانية الكواكب لا يتحقق مراده إلا إذا أوقد بخورا خاصا، ولبس لباسا خاصا، وربما تقدمت منه أفعال خاصة منها ما هو محرم بالشرع كاللواط، ومنها ما هو كفر صريح، وكذلك الألفاظ التي يخاطب بها الكواكب منها ما هو كفر صريح، فيناديه بلفظ الألوهية ونحو ذلك، ومنها ما هو غير محرم على قدر تلك الكلمات الموضوعة في كتبهم[1].

---

(١) الفروق: ١٤٨/٤.

الفصل السابع

كيف يصبح الإنسان ساحراً؟

أظهرت الدراسة الماضية أنَّ الساحر الذي يستحقُّ هذا الاسم على وجه الحقيقة هو الذي يستعين بالشيطان في سحره، ولا يمكن أن ينبغ في السحر من لم يقم علاقة قوية مع الشيطان.

«وكلّما كان الساحر أكفر وأخبث وأشدَّ معاداة لله ولرسوله ولعباده المؤمنين كان سحره أقوى وأنفذ» كما يقول ابن القيم[1].

ولذا «كان سحر عباد الأصنام أقوى من سحر أهل الكتاب، وسحر اليهود أقوى من سحر المنتسبين إلى الإسلام»[2].

ويزعم بعض الناس أنهم يَصِلُون إلى مرادهم بطريق السيطرة على الجنّ، وقالوا إنَّ عندهم علماً يستطيعون به تسخير الجان لمرادهم، وهذا العلم هو علم العزائم، وعَرَّف حاجي خليفة علم العزائم فقال: «والعزائم مأخوذ من العزم وتصميم الرأي والانطواء على الأمر والنية فيه، والإيجاب على الغير، يقال: عزمت عليك أي أوجبت عليك وحتمت عليك.

(١) التفسير القيم: ٥٨١.
(٢) التفسير القيم: ٥٨١.

ويريدون به في اصطلاحهم الإيجاب والتشديد والتغليظ على الجن والشياطين ما يبدو للحاتم حوله المتعرض لهم به، وكلّما تلفظ بقوله: عزمت عليكم، فقد أوجب عليهم الطاعة والإذعان»(١).

ويزعم الفخر الرازي أنَّ المعزِّم «إذا استجمع الشرائط وصوب العزائم صيرها الله تعالى عليهم نارا عظيمة محرقة لهم، مضيقة أقطار العالم عليهم، كيلا يبقى لهم ملجأ ولا متسع إلا الحضور والطاعة فيما يأمرهم به، وأعلى من هذا أنه إذا كان ماهرا مسيرا في السيرة الرضية وأخلاقه حميدة مرضيّة فإنه تعالى يرسل عليهم ملائكة أقوياء غلاظا شدادا ليزجروهم، ويسوقوهم إلى طاعته وخدمته»(٢).

ويزعم هؤلاء أيضا «أن سليمان عليه السلام لما أعطاه الله الملك وجد الجان يعبثون ببني آدم وَيَسْخُرون بهم في الأسواق، ويخطفونهم من الطرقات، فسأل الله تعالى أن يولي على كلِّ قبيل من الجان ملكا، يضبطهم عن الفساد، فولى الله تعالى الملائكة على قبائل الجن، فمنعوهم من الفساد ومخالطة الناس، وألزمهم سليمان عليه السلام سكنى القفار والخراب من الأرض دون العامر ليسلم الناس من شرهم، فإذا عثي بعضهم وأفسد ذكر المعزِّم كلمات تعظمها تلك الملائكة، ويزعمون أنَّ لكلِّ نوع من الملائكة أسماء أمرت بتعظيمها، ومتى أقسم عليها بها أطاعت وأجابت، وفعلت ما طلب منها، فالمعزِّم يقسم بتلك الأسماء على ذلك الملك، فيحضر له القبيل من الجان الذي طلبه أو الشخص منهم، فيحكم فيه بما يريد(٣)».

---

(١) كشف الظنون: ٢/١١٣٨.
(٢) كشف الظنون: ٢/١١٣٨.
(٣) الفروق للقرافي: ٤/١٤٧.

وهذا الذي ذكروه من التدليس والتلبيس الذي يضحكون به على ضعاف العقول، ولم يدلَّ على صدق مقالتهم هذه عقل، ولم يصحَّ فيها نقل، والصحيح أنَّ هذا الذي يفعلونه والذي يسمونه بالعزائم إنما هو تعظيم وتبجيل للجن، وهو من جنس استعاذة المشركين بالجن عندما كانوا ينزلون واديا من الوديان في أسفارهم قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾[1].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في شرح هذه الآية: «كان الرجل من الإنس ينزل بالوادي، والأودية مظان الجن، فإنهم يكونون بالأودية أكثر مما يكونون بأعالي الأرض، فكان الإنسي يقول: أعوذ بعظيم هذا الوادي من سفهائه، فلما رأت الجن أنَّ الإنس تستعيذ بها زاد طغيانهم وغيّرهم. وبهذا يجيبون المعزِّم والراقي بأسمائهم وأسماء ملوكهم، فإنه يقسم عليه بأسماء من يعظمونه، فيحصل لهم بذلك من الرئاسة والشرف على الإنس ما يحملهم على أن يعطونهم بعض سؤلهم، لاسيما وهم يعلمون أنَّ الإنس أشرف منهم وأعظم قدرا، فإذا خضعت الإنس لهم، واستعاذت بهم، كانت بمنزلة أكابر الناس إذا خضع لأصاغرهم ليقضي له حاجته»[2].

والذي نعلمه من دراستنا للكتاب والسنة ومطالعتنا لما دُوِّن في موضوع السحر أنَّ الساحر لابدَّ أن يكون خاضعا للشيطان، بل عابدا له حتى يعينه الشيطان ويخدمه.

والشيطان وضع طرقا مختلفة لخدمته وتعبيد الناس له، كي يثبتوا بها كفرهم وضلالهم، ولكنها جميعها تشترك فيما بينها بأنها ترضي الشيطان، وتغضب الرحمن،

(١) سورة الجن: ٦

(٢) إيضاح الدلالة: انظر مجموعة الرسائل المنيرية: ٢/١٢٠.

فبعض السحرة يَصِلُون إلى السحر بالمجاهدات النفسية، حيث يعتزلون الناس، ويقلون الطعام، ويكثرون التفكر، ولكنها مجاهدات نفسية شيطانية تؤدي إلى تخبيث النفس وإفسادها، ولا تؤدي إلى تزكية النفس وتطهيرها.

وآخرون يصلون إلى تحقيق السحر وإرضاء الشيطان بما يسمونه بالعزائم التي يعظمون بها الشيطان، بالاقسام به ومناداته والاستغاثة به، وفريق ثالث يزعمون أنهم يستعينون بروحانية الكواكب، وكذبوا فما للكواكب من روحانية، ولكنها الشياطين تنزل على كلِّ أفاك أثيم.

يقول حاجي خليفة مبينا طرائق الأمم التي تسلكها كلُّ أمة لبلوغ السحر وتحصيله: وطريق الهند بتصفية النفس، وطريق النبط بعمل العزائم في بعض الأوقات المناسبة، وطريق اليونان بتسخير روحانية الأفلاك والكواكب، وطريق العبرانيين والقبط والعرب بذكر بعض الأسماء المجهولة المعاني، فكأنه قسم من العزائم[1].

الشروط التي يجب توفرها في الساحر كي يعينه الشيطان

قررنا من قبل أنَّ الإنسان لا يكون ساحرا إلا إذا أصبح من عباد الشيطان وخدّامه وأعوانه، وقد استقرأ الذين درسوا تاريخ السحر والسحرة الشروط التي يجب توافرها فيمن يصبح ساحرا وليّا للشيطان وخرجوا من دراستهم بالشروط التالية[2].

١ ـ أن يبيع الساحر في حياته وبعد مماته نفسه وكلَّ ما يملكه للشيطان.

---

(١) كشف الظنون: ٢/٩٨١.

(٢) توسع محمد محمد جعفر في ذكر هذه الشروط. راجع كتابة في السحر: ص٤٧.

ويدلّ على صحة هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[1].

ومعنى شروا به أنفسهم أي باعوها به.

ومتى باع المرء نفسه للشيطان فلابدّ أن يتخلى عن كلّ الأخلاق الفاضلة والأعمال الحميدة، ويصبح متحجر القلب، مطموس البصيرة، ساعيا في الشر مدبرا عن الخير.

٣ ـ أن يكون معاديا للأديان ساخطا عليها مستهزئا بها، متبرئا من جميع الكتب السماوية، جاهدا في حرقها وتمزيقها، واستعمالها في أغراضه الدنيئة.

ولابدّ أن يكون في كلّ هذا معظما لغير الله مشركا بالله، عابدا للشياطين أو النجوم والكواكب والأصنام أو البشر.

ويذكر ابن خلدون أنه لا يصبح الإنسان ساحرا إلا بالرياضة، «ورياضة السحر كلّها إنما تكون بالتوجه إلى الأفلاك والكواكب والعوالم العلويّة والشياطين بأنواع التعظيم والعبادة والخضوع والتذلل، فهي لذلك وجهة إلى غير الله وسجود له، والوجهة إلى غير الله كفر، فلهذا كان السحر كفرا، والكفر من مواده وأسبابه»[2].

ويذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أنّ كثيرا من عُبّاد الشيطان «يكتبون كلام الله بالنجاسة، وقد يكتبون حروف كلام الله ـ عز وجل ـ بنجاسة إما دم وإما غيره، وإمّا بغير نجاسة، أو يكتبون غير ذلك مما يرضاه الشيطان، أو يتكلمون بذلك»[3].

---

(١) سورة البقرة: ١٠٢.

(٢) المقدمة: ٩٢٦.

(٣) إيضاح الدلالة: انظر مجموعة الرسائل المنيرية: ٢/١٢١.

ويذكر أنَّ عُبَّاد الشيطان وأولياءه يقرأون من «العزائم والطلاسم ما فيه عبادة للجن وتعظيم لهم، وعامة ما بأيدي الناس من العزائم والطلاسم والرقى التي لا تفقه بالعربية فيها ما هو شرك بالجن»[(1)].

ويذكر محمد محمد جعفر أنَّ أهمَّ ما يحرص عليه الساحر عند مزاولته السحر أن يلبس حذاء مكتوبا على مقدمته وجوانبه اسم الجلالة[(2)] ارضاءً للشيطان واغضابا للرحمن.

٣ ــ أن يكون مثالا للقذارة والوساخة ودناءة النفس، وأن يترك الطهارة والنظافة، حتى يكتسب جسمه وملابسه ومسكنه رائحة عفنه، وأن يكون مستعدّا لارتكارب الجرائم والقبائح والرذائل والانغماس في الفجور والاباحيّة، ويقضي وقته بعيدا عن الناس لا يعاملهم ولا يتصل بهم إلا إذا طلب منه ذلك لأعمال السحر وإلحاق الضرر بالناس.

وقد تحدث علماؤنا عن حال أولياء الشيطان، ووصفوهم بهذا الذي توصل إليه الذين تتبعوا أحوال السحرة.

يقول الشيخ بدر الدين بن عبدالله الشبلي: «وغالب ما يوجد الجن في مواضع النجاسات كالحمامات والحشوش والمزابل والقمامة، والشيوخ الذين تقترن بهم الشياطين وتكون أحوالهم شيطانية لارحمانية يأوون كثيرا إلى هذه الأماكن التي هي مأوى الشياطين، وقد جاءت الآثار بالنهي عن الصلاة فيها لأنها مأوى الشياطين، والفقهاء منهم من عَلَّل النهي بكونها مظنة النجاسة، ومنهم من قال: تَعَبُّدٌ لا يعقل معناه، والصحيح أنَّ العلة في الحمام وأعطان الإبل ونحو ذلك أنها

---

(١) ايضاح الدلالة: انظر مجموعة الرسائل المنيرية ١٠٢/٢.
(٢) السحر: ص ٨٦.

مأوى الشياطين، وفي المقبرة أنَّ ذلك ذريعة الشرك مع أنَّ المقابر قد تكون أيضا مأوى الشياطين.

والمقصود أنَّ أهل الضلال والبدع الذين فيهم زهد وعبادة على غير الوجه الشرعي، ولهم أحيانا مكاشفات، ولهم تأثيرات يأوون كثيرا إلى مواضع الشياطين التي نُهِيَ عن الصلاة فيها، لأن الشياطين تتنزل عليهم وتخاطبهم ببعض الأمور كما تخاطب الكهان، وكما كانت تدخل الأصنام وتكلم عابديها، وتفتنهم في بعض المطالب، كما تفتن السحرة، وكما تفتن عباد الأصنام والشمس والقمر والكواكب»(١).

ويصف ابن تيمية حال هؤلاء، فيذكر أنهم لا يتطهرون، ولا يتوضؤون ويكون الواحد منهم «ملابسا للنجاسات معاشرا للكلاب، يأوي إلى الحمامات والقمامين والمقابر والمزابل، رائحته خبيثة لا يتطهر الطهارة الشرعية، ولا يتنظف، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تدخل الملائكة بيتا فيه جنب ولا كلب» وقال عن هذه الأخلية: «إنَّ هذه الحشوش محتضرة» أي يحضرها الشيطان. وقال: «من أكل من هاتين الشجرتين الخبيثتين فلا يقربن مسجدنا، فإنَّ الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم»(٢).

ثم يصف علامات أولياء الشيطان بأنهم «يباشرون النجاسات التي يحبها الشيطان ويأوون إلى الحمامات والحشوش التي تحضرها الشياطين، ويأكلون الحيات والعقارب والزنابير وآذان الكلاب، التي هي خبائث وفواسق، أو يشربون البول ونحوه من النجاسات التي يحبها الشيطان، أو يلابسون الكلاب أو النيران، أو

---

(١) غرائب وعجائب الجن: ٣٩.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام: ١١/٢١٥.

يأوون إلى المزابل والمواضع النجسة، أو يأوون إلى المقابر، ولا سيما مقابر الكفار من اليهود والنصارى أو المشركين، ويكرهون سماع القرآن، وينفرون عنه، ويقدمون عليه سماع الأغاني والأشعار، ويؤثرون مزامير الشيطان على سماع كلام الرحمن»[1].

٤ ــ والساحر لابدَّ أن يكون فاعلا للمحرمات، واقعا في الموبقات التي تغضب الرحمن وترضي الشيطان، فكثيرا ما يجلس السحرة عرايا في الأماكن المهجورة، ويذبحون الطيور والحيوانات ذاكرين عليها اسم الشيطان، أو ما شاءوا من أسماء المعبودات الشركية، ويخلطون الدم بالنبيذ بمسحوق مأخوذ من حيوانات ميتة أو مذبوحة على غير اسم الله ثم يشربون من هذا المزيج القذر ويلطخون به أجسادهم، ويرتكبون في احتفالاتهم من الآثام والمعاصي ما تأنف أحط الفاجرات من فعله.

ويجتهد السحرة في احتفالاتهم في جمع فضلات الطعام من أوعية القمامة أو من الحارات والأزقة والمخدرات ودماء الحيوانات والطيور، بل إنَّ بعض السحرة يقومون بقتل الأطفال الأبرياء إرضاء للشيطان، وجرت العادة أن يكون الإناء الذي يشرب منه الساحر إحدى جماجم الموتى بعد تهيئتها على شكل إناء.

ويذكر محمد محمد جعفر أنَّ السحرة يقومون بكثير من الموبقات من الفجور والشذوذ الجنسي وكانت هذه الطوائف تقوم باحتفالاتها على تلٍّ، وكانوا يقدمون فيه الضحايا من الأطفال بعد سرقتهم وذبحهم، وعثر البوليس الفرنسي على جثة غلامين على ذلك التل في مدة لا تزيد على ثلاثة أسابيع..

ويقتلون الأطفال لاستخدام دمائهم في السحر أو تقربا إلى الشيطان، وتؤخذ على الذي يريد أن يكون ساحرا شروط قاسية تهدف إلى تعبيد الساحر

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام: ١١/٢١٦.

للشيطان، وقيامه على منهج السحر المضاد للحقِّ والعدل، المجافي لدين الله الذي أنزله على رسله وأنبيائه.

فإذا توفرت هذه الشروط فيه فعليه أن يروض نفسه تدريجيا على هذه الموبقات والشرور لبضعة أشهر تمهيدا لتقذير نفسه وتدنيسها بالقذورات التي يحبها الشيطان، ثم عليه أن يطالع كتب السحر التي تبين له الطريق التي تقربه من الشيطان، وتجعله أهلا لأن يتنزل عليه.

والراغبون في بلوغ مرتبة السحر يسلكون طرقا متقاربة لمقابلة الشيطان أو أحد أتباعه، فيخرج الواحد منهم في ليلة مقمرة في مكان مهجور بعيدا عن العمران في منتصف الليل، وهناك يقوم بأعمال يحبها الشيطان ويرضاها كأن يخلع ملابسه، ويحيط نفسه بدائرة يرسم عليها الأشكال والرموز والطلاسم التي يحبها الشيطان ويرضاها، ثم يأخذ في الانشاد ممجدا الشيطان، داعيا له، راغبا إليه. وبعضهم يصحب معه بعض الحيوانات، ويقوم بذبحها وهو يمجد الشيطان، مهديا هذه الحيوانات له.

وقد يظهر له الشيطان في المرة الأولى أو المرات التالية، ويبرم معه عقدا يكتبه الراغب في أن يصبح ساحرا بمادة قذرة نتنة، وفي هذا العقد يتعهد هذا الإنسان الضال بأن يكون للشيطان عبدا. ويحدد الشيطان لهذا الضال موعدا لتعميده، وفي الموعد المحدد يجتمع السحرة الذين في المنطقة، ويأتي هذا المسكين إلى هذا الاجتماع ويحضر هذا الاجتماع بعض الأبالسة والأرواح الخبيثة، ويتم التعميد على صورة قذرة يذلّ فيها الساحر ويهان ويضرب، ويأكل القاذورات والميتة، ويسمى باسم قبيح.

وكل ما يناله هذا المسكين لقاء العبودية المشينة لعدوه اللدود هو أن يمنحه الشيطان المقدرة على الاتيان بالأعمال السحرية.

وقد ذكر المحامي الكبير (موريس حارسون)[1] في محاضرته التي ألقاها أمام معهد علوم ماوراء الطبيعة عام (١٩٢٩) «أنَّ أول عمل يقوم به الساحر عند تحالفه مع الشيطان.. وظهور الأخير لمقابلته له أول مرة هو تحرير ميثاق أو عقد ينص فيه أن يبيع الطرف الأول للطرف الثاني روحه ونفسه ومتاعه وكلَّ ما يملك نظير أن يمنح الطرف الثاني (الشيطان) للطرف الأول (الساحر) القوة والمقدرة لاتيان الأعمال السحرية».

وقدم أظهرت ساحرة (البارنيه) التي حوكمت وأعدمت حرقا عام (١٦١٩) لرئيس المحكمة وقتئذٍ وهو القاضي (بيودي لانكر) صورة العقد الذي أبرمته مع الشيطان، وهو عبارة عن قطعة قذرة من جلد القط أو الكلب ملوثة ومحررة بدماء الحيض وغيرها من القاذورات التي يستحيل على الإنسان أن يتحمل رؤيتها أو رائحتها الكريهة.

ولعل أخبث عقد حرر بين الساحر والشيطان هو الميثاق الذي أبرم بين الساحر (أوربان جرانديه) وإبليس، والذي حكم باعدامه في ١٨ من أغسطس سنة ١٩٣٤، ونفذ فيه الحكم علنا بسوق (لودون). ومازالت صورة هذا العقد محفوظة بالمكتبة العمومية بباريس، ويوجد بمكتبة (أبسالا) صورة العقد المبرم بين الشيطان والساحر (دانيال سالتنوس) أستاذ اللغة العبرية الذي باع نفسه للشيطان، فلقي حتفه سريعا.

ومن العقود العجيبة التي يقولون عنها إنها ممهورة وموقع عليها من الشيطان الكبير العقد المحفوظ بدفتر خانه كاتدراثية (جرجينتي Girqite) وقد حرره أحد القساوسة مع إبليس، واللغة المحرر بها هذا العقد معقدة جدًا، حتى عجز للآن

---

(١) أحد أقطاب المحاماة في فرنسا في وقته، ويعتبر من المراجع الموثوق بها في علم السحر.

كل من رآه من أساتذة اللغات عن ترجمته أو معرفة أي كلمة من نصوصه، وهو سطور منحدرة مائلة ولم يفهم من العقد إلا اسم القس الذي وقع عليه.

إنَّ هذا الذي ذكرناه قليل من كثير، ولكنه كاف في توضيح حقيقة السحر والسحرة، إنَّ المؤمن هو الذي رضي بالله ربا، وبدنيه منهجا وطريقا، والساحر رضي بالعبودية للشيطان واتخذه ربا من دون الله، ووضع كلَّ امكاناته تحت أمره، ولذلك فإنَّ الله أخبرنا عن السحرة أنهم نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان، وأخبرنا أنهم اشتروا السحر والثمن الذي أعطوه هو أنفسهم، لقد باعوا الشيطان أنفسهم وأموالهم في مقابل السحر ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[1].

قد يقال: كيف تزعمون أنَّ السحرة عباد الشيطان مع أننا نرى بعضهم يصلون ويقرؤون القرآن، ويكتبون في أوراقهم السحرية آيات من القرآن.

والجواب عن هذه الشبهة أنَّ هؤلاء يظهرون مثل هذا تغريرا بالناس كي ينخدعوا بهم، أما باطنهم فبعيد عن التقى والصلاح.

وقد أجرت جريدة السياسة الكويتية مقابلة مع ساحر تائب، صرح فيها بأنَّ الشياطين كانت ترشدهم إلى التظاهر بالتقوى أمام الناس، كما تأمرهم بالصلاة أمام الناس دون نطق بالآيات، فهو في هذه الحال يؤدي حركات فقط، وقد يظهر بعض الآيات القرآنية إذا لزم الأمر، وترشده إلى عدم ارتكاب الآثام والفواحش أمام الناس، حتى يقول الناس: إنَّ فلاناً تقي شيخ سيد ولي، فإذا خلى بنفسه أو كان مع أمثاله فليفعل ما يشاء[2].

---

(١) سورة البقرة: ١٠٢

(٢) جريدة السياسة الكويتية: ١٩٨٧/٦/٧.

الفصل الثامن

سحر الرسول ﷺ

المبحث الأول

الحديث الوارد في الموضوع

يبتلى الله رسله ﷺ بأنواع البلاء، فيزداد بذلك أجرهم، ويعظم ثوابهم، فقد ابتلى رسله بتكذيب أقوامهم لهم، ووصل ايذاؤهم إليهم، وابتلى بعض الرسل بالمرض، ومن الابتلاء الذي أوذي به الرسول ﷺ ما أصابه من السحر، روى البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها أن رجلا من بني زريق[1]، يقال له: لبيد بن الأعصم سحر رسول الله ﷺ، حتى كان رسول الله ﷺ يخيل إليه أنّه كان يفعل الشيء وما فعله، حتى إذا كان ذات يوم - أو ذات ليلة - وهو عندي، لكنه دعا، ودعا، ثمّ قال: يا عائشة أشعرت أن الله أفتاني فيما استفتيته[2] فيه؟.

أتاني رجلان ، فقعد أحدهما عند رأسي، والآخر عند رجلي، فقال أحدهما لصاحبه: ما وجع الرجل؟ فقال: مطبوب[3]. قال: مَنْ طَبَّه؟ قال:

---

(١) هو يهودي، ولكنه كان حليفا لبني زريق فنسب إليهم.

(٢) أي في الرؤيا. وفي رواية عند أحمد: «أتاني ملكان».

(٣) مطبوب: أي مسحور، كنوا عن السحر بالطب تفاؤلا كما قولوا للديغ سليما.

لبيد بن الأعصم. قال: في أيٍّ شيء؟ قال: في مشط ومشاطه، وجفِّ طلعة نخلةٍ ذكر[1]. قال: وأين هو؟ قال: في بئر ذَرْوان. فأتاها رسول الله ﷺ في ناس من أصحابه. فجاء فقال: يا عائشة كأنَّ ماءَها نقاعة الحناء، وكأنَّ رؤوس نخلها رؤوس الشياطين[2].

(١) المشط معروف. والمشاطة: ما يسقط من شعر الرأس عند مشطه. والجف: الغشاء الذي يكون على الطلع، ويطلق على الذكر والأنثى، فلهذا قيده بالذكر.

(٢) رواه البخاري في كتاب الطب باب السحر، فتح الباري: (١٠/٢٢١، ٢٣٢، ٢٣٥) ورواه مسلم في صحيحه: ٤/١٧٢٠. ورقم الحديث: ٢١٨٩.

المبحث الثاني

وجهة الذين ردوا هذا الحديث

وقد كذّب بعض العلماء بهذا الحديث، وردُّوه ردا منكرا بدعوى أنّه مناقض لكتاب الله الذي برأ الرسول ﷺ من السحر.

فمن هؤلاء الجصاص حيث يقول: «زعموا أنّ النبي ﷺ سحر، وأن السحر عمل فيه، حتى قال فيه: إنه يتخيل لي أني أقول الشيء وأفعله، ولم أقله ولم أفعله، وأنّ امرأة يهودية سحرته في جفّ طلعة ومشط ومشاقة، حتى أتاه جبريل عليه السلام فأخبره أنها سحرته في جفّ طلعة، وهو تحت راعوفة البئر. فاستخرج وزال عن النبي ﷺ ذلك العارض، وقد قال الله تعالى مكذّبا للكفار فيما ادعوه من ذلك للنبي ﷺ، فقال جلّ من قائل: ﴿وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسۡحُورًا﴾»(١).

ثم قال: «ومثل هذه الأخبار من وضع الملحدين تلعبا بالحشو الطغام، واستجرارا لهم إلى القول بإبطال معجزات الأنبياء عليهم السلام، والقدح فيها»(٢).

وقال أبوبكر الأصم: «إن حديث سحره ﷺ المروي هنا متروك لما يلزمه من صدق قول الكفرة أنّه مسحور، وهو مخالف لنصّ القرآن حيث أكذبهم الله فيه، ونقل الرازي عن القاضي أنه قال: هذه الرواية باطلة، وكيف يمكن القول

(١) سورة الفرقان: ٨

(٢) أحكام القرآن: ١/٤٩

بصحتها والله يقول: ﴿ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾[1]. وقال: ﴿ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴾[2].

ولأنَّ تجويزه يفضي إلى القدح في النبوة، ولأنَّه لو صحَّ ذلك لكان من الواجب أن يصلوا إلى ضرر جميع الأنبياء والصالحين، ولقدروا على تحصيل الملك العظيم لأنفسهم، وكل ذلك باطل، وكان الكفار يعيرونه بأنه مسحور، فلو وقعت هذه الواقعة لكان الكفار صادقين في تلك الدعوى، ولحصل فيه عليه السلام ذلك العيب، ومعلوم أنه غير جائز[3].

وقال الشيخ جمال الدين القاسمي: «ولا غرابة في أن لا يقبل هذا الخبر لما برهن عليه، وإن كان مخرجا في الصحاح، وذلك لأنه ليس كلُّ مخرج فيها سالما من القدح والنقد سندا أو معنى كما يعرفه الراسخون، على أنَّ المناقشة في خبر الآحاد من عهد الصحابة»[4].

وقال الشيخ محمد عبده: «وقدروا هاهنا أحاديث أنَّ النبي ﷺ سحره لبيد بن الأعصم، وأثر سحره فيه، حتى كان يُخَيَّلُ إليه أنه يفعل الشيء وهو لا يفعله، أو يأتي شيئا وهو لا يأتيه، وأنَّ الله أنباه بذلك، وأخرجت مواد السحر من بئر، وعوفي ﷺ مما نزل به من ذاك».

ولا يخفى أنَّ تأثير السحر في نفسه عليه السلام، حتى يصل به الأمر إلى أن يظن أنه يفعل شيئا وهو لا يفعله، ليس من قبيل تأثير الأمراض في الأبدان، ولا من قبيل عروض السهو والنسيان في بعض الأمور العادية، بل هو ماسٌّ بالعقل آخذ بالروح.

---

(١) سورة المائدة: ٦٧

(٢) سورة طه: ٦٩

(٣) نقله عنه شارح المجموع: ٢٤٣/١٩

(٤) محاسن التأويل لجمال الدين القاسمي

ثم قال: «وهو مما يصدق فيه المشركين ﴿ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴾(١) وليس المسحور عندهم إلا من خولط في عقله، وخيل له أنَّ شيئا يقع وهو لا يقع، فيخيل إليه أنه يوحى إليه ولا يوحى إليه.

وقد ذهب كثير من المقلدين الذين لا يعقلون ما النبوة، ولا ما ينبغي لها إلى أنَّ الخبر بتأثير السحر قد صحَّ، فيلزم الاعتقاد به، وعدم التصديق به من المبتدعين، لأنه ضرب من إنكار السحر، وقد جاء القرآن بصحة السحر».

ويمكننا أن نلخص مآخذ أصحاب هذا الاتجاه في النقاط التالية:

١ ـ إدعاؤهم أنَّ هذا الحديث باطل، وأنه من وضع الملحدين.

٢ ـ زعمهم أنَّ هذا الحديث مقدوح في سنده.

٣ ـ ادعاؤهم بأنَّ هذا الحديث حديث آحاد، وأحاديث الآحاد تفيد الظن، ولا تفيد اليقين، ولا يجوز الاحتجاج بأحاديث الآحاد من أجل ذلك.

٤ ـ ادعاؤهم بأنَّ التصديق بهذا الحديث يقدح في مقام النبوة، وينافي العصمة، فإذا كان يخيل إليه أنه يفعل الشيء وهو لا يفعله يمكن أن يخيل إليه أنه أوحي إليه ولم يوح إليه، أو أنه بلَّغ ما أوحي إليه ولم يبلِّغ.

٥ ـ وقالوا السحر عمل الشياطين، وهؤلاء لا يسلَّطون على رسل الله وأنبيائه ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾(٢).

٦ ـ وقالوا: هذا الحديث يصدق المشركين الذين اتهموا الرسول ﷺ بأنه مسحور ﴿ وَقَالَ ٱلظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴾(٣).

---

(١) سورة الفرقان: ٨

(٢) سورة الحجر: ٤٢

(٣) سورة الفرقان: ٨

المبحث الثالث

الرد على الذين ردّوا هذا الحديث

والردُّ على أصحاب هذا الاتجاه من وجوه:

الأول: أما دعواهم بأن الحديث مكذوب من وضع الملحدين يردُّ عليه أنَّ الحديث اتفق على إخراجه البخاري ومسلم، وإذا وجدت الحديث قد اتفق الشيخان على إخراجه فإنَّه يكون في القمة من الصحَّة، وإذا وجدت الرجل يطعن في حديث رواه صاحبا الصحيح فاعلم أنَّ بضاعته في علم الحديث مزجاة.

الثاني: دعواهم أنَّ الحديث مقدوح في إسناده دعوى ليس عليها دليل، وقد نظرت في شروح الحديث أمثال: (فتح الباري) و(شرح النووي على مسلم) فلم ينقلوا عن عالم واحد من علماء الحديث طعن في الحديث أو في رواته، والحديث رواه عدَّة من الصحابة، ورواه عن كلٍّ واحد منهم رواة بلغوا الغاية في الضبط والعدالة. وليس كلُّ من ادعى دعوى في مسألة ما مصدق مالم يقم عليها البينات الواضحات.

الثالث: أما دعواهم بأنَّ الحديث حديث آحاد، وأحاديث الأحاد لا تقبل في المسائل الاعتقادية. فالجواب: أنَّ الصحيح من أقوال أهل العلم أنَّ الأحاديث الآحاد تقبل في مسائل الاعتقاد كما تقبل في المسائل العملية، والذين فرقوا بينهما لم يأتوا بدليل يدلُّ على صحة هذا التفريق.

والقول بأنَّ الحديث الآحاد لا يقبل في مسائل الاعتقاد قول محدث، وقد بينت هذا في رسالة مستقلة بعنوان (أصل الاعتقاد).

هذا جانب والجانب الآخر أنَّ هذا الحديث يفيد العلم، لأنه قد احتفت به قرائن رفعته من مرتبة الظن إلى مرتبة العلم، فقد رواه أكثر من واحد من الصحابة، ورواه عنهم علماء أجلاء بلغوا الغاية في الحفظ والعدالة، وله من المتابعات والشواهد ما يجعل قلب العالم يستيقن صحة هذا الحديث، أضف إلى هذا أنَّ الأمة تلقته بالقبول، ولم يطعن في صحته واحد من علماء الحديث، والأمة لا يمكن أن تجمع على ضلالة.

وحسبنا ـ كما قلنا من قبل ـ أنَّ البخاري ومسلم اتفقا على إخراجه في صحيحهما.

الرابع: أما ادعاؤهم أنَّ هذا الحديث يقدح في مقام النبوة، وينافي العصمة فهو غير صحيح، لأنَّ الرسول ﷺ معصوم بالإجماع من كل ما يؤثر خللا في التبليغ والتشريع، وأما بالنسبة إلى الأعراض البشرية كأنواع الأمراض والآلام ونحو ذلك، فالأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم يعتريهم من ذلك ما يعتري البشر، لأنهم بشر كما قال تعالى عنهم: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾[1].

وقد أجاب كثير من العلماء عن هذه الشبهة وبينوا زيفها، يقول المازري فيما نقله عنه ابن حجر العسقلاني: «أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث، وزعموا أنه يحط منصب النبوة ويشكك فيها. قالوا: وكلُّ ما أدَّى إلى ذلك فهو باطل،

---

(١) سورة إبراهيم: ١١

وزعموا أن تجويز هذا يعدم الثقة بما شرعوه من الشرائع إذ يحتمل على هذا أن يخيل إليه أنه يرى جبريل، وليس هو ثمّ، وأنه يوحى إليه بشيء، ولم يوح إليه بشيء.

قال المازري: وهذا كلّه مردود، لأنَّ الدليل قد قام على صدق النبي فيما يبلغه عن الله تعالى وعلى عصمته في التبليغ، والمعجزات شاهدات بتصديقه، فتجويز ما قام الدليل على خلافه باطل.

وأما ما يتعلق ببعض أمور الدنيا التي لم يبعث لأجلها ولا كانت الرسالة من أجلها فهو في ذلك عرضة لما يعترض البشر كالأمراض، فغير بعيد أن يخيل إليه في أمر من أمور الدنيا مالا حقيقة له مع عصمته عن مثل ذلك في أمور الدين، قال: وقد قال بعض الناس: إنَّ المراد بالحديث أنه كان ﷺ يخيل إليه أنه وطىء زوجاته ولم يكن وطئهنَّ، وهذا كثيرا ما يقع تخيله للإنسان في المنام، فلا يبعد أن يخيل إليه في اليقظة.

قلت: وهذا قد ورد صريحا في رواية ابن عيينة في الباب الذي يلي هذا ولفظه: «حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن». وفي رواية الحميدي «أنه يأتي أهله ولا يأتيهم» قال الدراوردي: «يُرى» بضم أوله أي يظن، وقال ابن التين ضبطت «يرى» بفتح أوله. قلت: وهو من الرأي لا من الرؤية، فيرجع إلى معنى الظن. وفي مرسل يحيى بن يعمر عند عبدالرزاق «سحر النبي ﷺ عن عائشة حتى أنكر بصره» وعنده في مرسل سعيد بن المسيب «حتى كاد ينكر بصره».

قال عياض: فظهر بهذا أنَّ السحر إنما تسلط على جسده وظواهر جوارحه لا على تمييزه ومعتقده. قلت: ووقع في مرسل عبدالرحمن بن كعب عند ابن سعد «فقالت أخت لبيد بن الأعصم: إن يكن نبيا فسيخبر، وإلا فسيذهله هذا السحر

حتى يذهب عقله. قلت: فوقع الشق الأول كما في هذا الحديث الصحيح.

وقد قال بعض العلماء: لا يلزم من أنه كان يظن أنه فعل الشيء ولم يكن فعله أن يجزم بفعله ذلك. وإنما يكون ذلك من جنس الخاطر يخطر ولا يثبت، فلا يبقى على هذا للمنكر حجة.

وقال عياض: يحتمل أن يكون المراد بالتخيل المذكور أنه يظهر له من نشاطه ما ألفه من سابق عادته من الاقتدار على الوطء، فإذا دنا من المرأة فتر عن ذلك كما هو شأن المعقود، ويكون قوله في الرواية الأخرى: «حتى كاد ينكر بصره» أي صار كالذي أنكر بصره حيث أنه إذا رأى الشيء يخيل أنه على غير صفته، فإذا تأمله عرف حقيقته. ويؤيد جميع ما تقدم أنه لم ينقل عنه في خبر من الأخبار أنه قال قولا فكان بخلاف ما أخبر به.

وقال المهلب: صون النبي ﷺ من الشياطين لا يمنع إرادتهم كيده، فقد مضى في الصحيح أنَّ شيطانا أراد أن يفسد عليه صلاته فأمكنه الله منه، فكذلك السحر ما ناله من ضرره ما يدخل نقصا على ما يتعلق بالتبليغ، بل هو من جنس ما كان يناله من ضرر سائر الأمراض من ضعف عن الكلام، أو عجز عن بعض الفعل، أو حدوث تخيل لا يستمر، بل يزول ويبطل الله كيد الشياطين.

واستدلَّ ابن القصار على أنَّ الذي أصابه كان من جنس المرض بقوله في آخر الحديث: (أما أنا فقد شفاني الله) وفي الاستدلال بذلك نظر، لكن يؤيد المُدعَى أنَّ في رواية عمرة عن عائشة عند البيهقي في الدلائل «فكان يدور ولا يدري ما وجعه»، وفي حديث ابن عباس عند ابن سعد «مرض النبي ﷺ وأخذ عن النساء والطعام والشراب، فهبط عليه ملكان» الحديث[1].

(١) فتح الباري: ١٠/٢٢٧

ومن الذين رَدُّوا هذه الشبهة القاضي عياض، فقد قال بعد سياقه للحديث: «وإذا كان هذا من التباس الأمر على المسحور، فكيف حال النبي ﷺ في ذلك؟ وكيف جاز عليه وهو معصوم؟ فاعلم وفقنا الله وإياك أنَّ هذا الحديث صحيح متفق عليه، وقد طعنت فيه الملحدة، وتذرعت لسخف عقولها وتلبيسها على أمثالها إلى التشكيك في الشرع، وقد نزَّه الله الشرع والنبي عما يُدخل في أمره لبساً، وإنما السحر مرض من الأمراض وعارض من العلل يجوز عليه كأنواع الأمراض مما لا ينكر، ولا يقدح في نبوته.

وأما ما ورد أنه كان يخيل إليه أنه فعل الشيء ولا يفعله، فليس في هذا ما يُدْخل عليه داخلة في شيء من تبليغه أو شريعته أو يقدح في صدقه، لقيام الدليل والإجماع على عصمته من هذا. أما ما يجوز طروه عليه في أمر دنياه التي لم يبعث بسببها، ولا فُضِّل من أجلها، وهو فيها عرضة للآفات كسائر البشر، فغير بعيد أن يخيَّل إليه من أمورها مالا حقيقة له، ثمَّ ينجلي عنه كما كان.

وأيضا فقد فسَّرَّ هذا الفصل الحديث الآخر من قوله: (حتى يخيل إليه أنه يأتي أهله ولا يأتيهن). وقد قال سفيان هذا أشدُّ ما يكون من السحر، ولم يأت في خبر منها أنه نقل عنه في ذلك قول بخلاف ما كان أخبر أنه فعله، ولم يفعله، وإنما كانت خواطر وتخيلات.

وقد قيل: إنَّ المراد بالحديث أنه كان تخييل الشيء أنه فعله وما فعله، لكنه تخييل لم يعتقد صحته، فتكون اعتقاداته كلُّها على السداد، وأقواله على الصحة»(١).

---

(١) الشفا للقاضي عياض: انظر شرح الشفا لنور الدين القادي: ٤/٤٣٩

الخامس: دعواهم أنَّ السحر من عمل الشيطان، والشيطان لا سلطان له على عباد الله، نقول: إنَّ المراد بقوله: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾(١) أي في الإغواء والإضلال، فهذه الآية كقوله تعالى حكاية عن الشيطان في مخاطبته لرب العزة ﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾(٢).

أما إصابة الشيطان العبدالصالح في بدنه فالآيات لا تنفيها، وقد جاء في القرآن ما يدلُّ على إمكان وقوعها، ومن ذلك قول أيوب في دعائه ربَّه ﴿أَنِّى مَسَّنِىَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾(٣)، وقول موسى بعد قتله القبطي ﴿هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾(٤) ومنه سحرهم لموسى عندما ألقوا حبالهم وعصيهم ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾(٥).

السادس: أمَّا دعواهم أنَّ هذا الحديث مناقض للقرآن مصدِّق لمزاعم المشركين الذين زعموا أنَّ الرسول ﷺ رجل مسحور فأكذبهم القرآن في ذلك.

فالجواب عن هذا الزعم أنَّ هذا الحديث موافق للقرآن لو تدبروا، فموسى عليه السلام من أولي العزم من الرسل، وقد خيل إليه عندما ألقى السحرة عصيهم أنه تسعى ﴿فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ﴾(٦).

فهذا القرآن الكريم يدلُّ صراحة على أنَّ السحر قد يؤثر في الأنبياء، فإن قالوا: إنَّ هذا التأثير وصل إلى عقل الرسول ﷺ. قلنا: نأبى هذا، وتأثير السحر

---

(١) سورة الحجر: ٤٢.
(٢) سورة ص: ٨٣.
(٣) سورة ص: ٤١.
(٤) سورة القصص: ١٥.
(٥) سورة طه: ٦٦.
(٦) سورة طه: ٦٧.

لم يصل إلى هذا الحد، وقد علمنا من قبل أنّ تأثير السحر لا يمكن أن يصل إلى حدّ الاخلال في تلقي الوحي والعمل به وتبليغه، لأنّ النصوص قد دلّت على عصمته في ذلك، وهذا سبق بيانه.

ثمّ إنّ مراد المشركين من قولهم: ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾[1] أن الرسول ﷺ إنما كان يصدر عن جنون وخيال في كلّ ما يقول ويفعل، وفيما يأتي ويذر، وأنه ليس برسول، وأنه لم يوح إليه شيء، وأنّ القرآن ليس من عند ربه، وإنما هو خيال وسحر[2].

فالقول بأنّ الرسول ﷺ سحر ليس هذا تصديقا للمشركين ولا موافقيهم فيما أرادوا وفيما عنوا.

---

(١) سورة الإسراء: ٤٧.
(٢) فنون السحر: ص١٤.

الفصل التاسع

علاج السحر والوقاية منه

المبحث الأول

طرق الأمم في الوقاية من السحر والخلاص منه

كانت الشرائع السماوية السابقة قد أرشدت الناس إلى الطرق التي تقي من السحر وتخلص منه، ففي الموطأ عن كعب قال: «كلمات أحفظهن من التوراة، لولاها لجعلتني يهود حمارا، أعوذ بالله العظيم، الذي لا شيء أعظم منه، وبكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن برّ ولا فاجر، وبأسماء الله الحسنى، ما علمت منها وما لم أعلم، من شرّ ما خلق، وذرأ وبرأ».

ولكنّ الأمم ذهبت بعيدا في معالجة السحر والوقاية منه، وقد حفظت لنا آثار الغابرين تعاويذ كان يلجأ فيها المسحور أو من يخشى السحر إلى الآلهة التي كان يعبدها كي تحميه من السحر والسحرة وما يكيدونه به من شرّ.

ومن هذه التعاويذ الشركية هذه التعويذة الفرعونية يقول صاحبها:

السلام عليك يا حورس.

يا أيها الموجود في بلد المثات.

يا حاد القرنين.

يا بالغ الهدف.

إني قصدتك لأمدح جمالك.

ألا فلتقض على الشيطان الذي يتملك جسدي.
ولم يدر هذا المسكين أنه لجأ إلى من لا يغني عنه شيئا.

وهذه تعويذة شركية أخرى حفظتها لنا الآثار التي كشفت في مدينة بابل، تقول هذه التعويذة مخاطبة الآلهة المزعومة!

انهضي أيتها الآلهة واستمعي لشكاتي.
امنحيني العدالة وخذي علما بحالي.
لقد صنعت تمثالا لساحري ولساحرتي.
لقد وقفت ذليلا أمامك وعرضت عليك قضيتي.
إنه بسبب هذا الضرر الذي ألحقاه بي.
وبسبب هذه الأشياء البخسة التي تناولاها.
فلتمت هذه الساحرة وامنحيني الحياة أيتها الآلهة.
ولتتحطم تميمة هذه الساحرة وليفسد سحرها.
وليطهرني الغصن المقطوف من شجر البينو.
وليخلصني هذا الغصن ولتتبدد رائحة فمي الخبيثة في الهواء.
ولينظفني عشب المشتكل الذي يملأ الأرض.
وقبل أن تجعلوني في إشراق عشب الكنكل.
فلأكن في نظافة عشب اللاردو وبهائه.
إنَّ تعويذة الساحرة خبيثة ضارة.
فلترتد كلماتها إلى فيها وليقطع لسانها.
ولتبتليها آلهة الليل بآفة لسحرها.
إنَّ حراس الليل الثلاثة يبطلون سحرها الآثم.
وليكن فمها شمعا ولسانها عسلا.

ولتذب الكلمة التي قالتها وكانت السبب في تعاستي كما يذوب الشمع.
ولتذب التعويذة التي عملتها كما يذوب العسل.
ولتقطع عقدة السحر التي عقدتها إلى شطرين وليتلاشى كل ما صنعته.

هذه إحدى التعاويذ الشركية الكفرية التي كانت مستعملة قديما في بلاد بابل وآشور، ومنها يتبين أنهم كانوا يستخدمون في سحرهم التماثيل السحرية والعقد، وخصائص بعض الأشجار والأعشاب، وكانت التماثيل السحرية تصنع في ذلك العهد من الطمى والشمع والدهن وغير ذلك من المواد كما كانت تستخدم بطرق مختلفة.

ودلت البحوث على أنَّ أهل بابل كانوا يستعملون مواد أخرى مستعملة في السحر مثل الخمر والزيت والملح والتمر والبصل واللعاب. واستخدموا أيضا الأشربة والمعاجين المختلفة ذات التأثيرات السحرية كما قاموا ببعض الشعائر السحرية كايقاد النيران وتدخين البخور(١).

ولا يزال كثير من المعاصرين في العالم الغربي يلجؤون إلى التعويذات أو التمائم لإفساد عمل السحرة، ويسمى هذا النوع من العمل بالسحر الأبيض.

ويرى هؤلاء أنَّ أفضل وسيلة لإبطال عمل الساحر وافساد مفعول السحر الاستعانة برجال الدين لتلاوة الآيات الدينية وإقامة شعائرها، ومع الدعاء والابتهال إلى المولى -عزَّ وجل- لرفع الضرر عن المسحورين أو المصابين. أو الاستعانة بالعلماء الإخصائيين بمنافع ومضارّ البذور والأعشاب مع درايتهم بالأجرام السماوية وتأثيرها المفيد والضار لاستخدام معلوماتهم ضد السحر.

ومن هذه الفكرة الأخيرة نشطت أعمال السحر الأبيض لعلاج السحر الأسود، فانتشرت في جميع أنحاء أوروبا مختلف التعاويذ والتمائم التي كان

يصنعها هؤلاء السحرة، وراجت رواجا عظيما. واشتهر من هؤلاء السحرة (جيمس هاللث) الذي أطلق على نفسه اسم (الساحر الأبيض) و (شارل لام) الذي شرح روايات شكسبير والدكتور (سيمون ريد). وقد تخصص في عمل تعاويذ الحب والغرام.

ولا يقتصر عمل هذه التعويذات على رد فعل السحر فقط وإبطال تأثيره، بل يستخدمها الكثيرون لأغراض مختلفة مفيدة، كمنع النحس والحسد أو اتساع الأرزاق ورواج التجارة، أو للقضاء على الأزمات النفسية وغيرها التي لا دخل للسحر فيه بتاتا.

وقد ورد الكثير جدا من وصفات التعويذات لكل غرض، فالمنحوس مثلا.. يصنع ـ سواء أكان رجلا أو امرأة ـ خاتما من الفضة ينقش عليه صورة رجل أو امرأة (حسب الحالة) جالسة على الأرض ومسندة رأسها بيدها اليمنى إذا كانت المنحوسة سيدة، أو على يده اليسرى إن كان المنحوس رجلا كوضع الإنسان وهو يفكر في شيء مهم.

أما إذا كان المنحوس يعتقد أنَّ نحسه يرجع إلى عمل ساحر أو ساحرة فإنه يصنع عروسة من القماش على شكل الدمية التي يلعب بها الأطفال بحيث تكون على شكل رجل أو امرأة حسب اعتقاده في جنس من عمل له السحر.. ويكسو هذه الدمية بالملابس الخاصة بالرجال أو النساء (حسب اعتقاده)، ويرسم لها عيونا وحواجب وفما.. الخ، ويضع خصلة من الشعر على رأسها حتى تبدو رجلا أو امرأة مصغرة، ويرشق هذه الدمية بالدبابيس في كل أجزاء جسدها، ثمَّ يلقى بها في النار، مع استعمال بخور زكي الرائحة.

ولكلٍّ مملكة وشعب عوائدهم وتقاليدهم في صنع التعويذات أو التمائم التي تمنع عنهم تأثير السحر أو تبطل عمله، فالإيطاليون يستعملون مسحوقا من نبات

خاصّ يضعونه في لفافة صغيرة من القماش، أو كيس جلدي صغير، ويعلّقونه في رقاب الأطفال والمواشي أو البهائم، أو يجعلونه في ملابسهم إن كانوا كبارا للحماية من السحر والسحرة.

وكان المزارع في فرنسا إذا شكّ في أنّ شخصا ما يريد أن يسحر بهائمه أو مزروعاته يسرع إلى حلب إحدى البقرات، ويقدّم للشخص المشكوك فيه بعضاً من لبنها الممزوج بالنبيذ، فإذا شربه كان شكه في محلّه واستراح، وإن رفض شُرْبَه فإنه يصبه على مواشيه أو زرعه حسب رغبته، اعتقاداً منه أنّ هذا يفسد عمل الساحر.

وكانوا وما زالوا للآن يصنعون التمائم والتعاويذ على شكل الأساور والخواتم المركب عليها فصوص من الأحجار الكريمة، أو يستعلمون الأحجار ذاتها كتمائم ينقشون عليها بعض الصور أو الرموز.

ويوجد بالمتحف البريطاني الخاتم الذي صنعه ساحر مشهور (للورد نيفل) وكان شابا مقامرا مغامرا ورث عن عائلة (وستمورلاند) أموالا طائلة، ويقال: إنه أصاب بهذا الخاتم أموالا طائلة سواء كان في الميسر أو المضاربات المالية، ولكنه لم يستمتع بها كثيرا إذ عاجلته المنية وهو في العقد الثالث من عمره . .

ومن العادات التي كانت مشهورة بإنجلترا أنه إذا أصيب شخص بمرض استعصى شفاؤه، ونسبوه إلى السحر أن يحملوا المريض على حمار بالمقلوب ـ أعني يبقى وجهه إلى ذيل الحمار ـ وينتفون بضعة شعرات من ذيل الحمار، ويضعونها في كيس جلد صغير يعلق في رقبة المريض، ويصنعون له تاجا من الأشواك يضعه على رأسه، ويسيرون به إلى الخلاء حيث يختارون بقعة فسيحة يسير فيها الحمار بالمريض تسع مرات، ثم يعودون إلى منازلهم آمنين مطمئنين.

وفي فرنسا كانوا يأخذون المريض من منزله مغمض العينين في ليلة مقمرة إلى إحدى الحدائق العامة، ويختارون بقعة منها نادية، ويركع المريض في هذه البقعة وظهره لجهة القمر، ويأخذ من الطين ويمسح على الجزء المصاب من جسمه، ويضع قطعة نقود فضية في هذه البقعة، ثم يلتفت لجهة القمر في البقعة ذاتها، ويركع ويعيد العملية كلّها، ثم يزيل الرباط عن عينيه، ويتطلع للقمْر برهة قصيرة، ويعود إلى منزله.

وفي تركيا وشبه جزيرة البلقان كانوا يحضرون بيضة مكتوب على قشرتها بضعة كلمات دينية بمداد أو لون أحمر أو أزرق لا تمحوه المياه، ثم يضعون هذه البيضة في وعاء به ماء مغلي، ويتركونها حتى تستوي تماما، فيدفنونها في دفاية بها نار، ويصبون الماء المغلي على الدفاية حتى تطفأ نيرانها، ثمّ تؤخذ البيضة بعد ذلك ويأكلها المريض.

وفي ألمانيا كانوا إذا أرادوا منع الساحر أو الساحرة من الاقتراب من منازلهم أو لتجنب ضررهم يذبحون أرنباً أو ديكاً ويأخذون قلبه ويضعون به بضعة دبابيس صغيرة ثم يشوونه .. وأول كلب ينبح أو قطة تموء على عتبة الدار يخرج أحد أفراد العائلة ويلقمها هذا القلب، وتعمل الدبابيس في جسدها، فتجري صارخة، ولا تقوى بعد ذلك أية ساحرة أو ساحر على الإضرار بهذه العائلة.

ومن التعاويذ التي شاعت بين المتزوجات في جميع جنوب أوروبا أنه إذا شكّت أي سيدة في نية زوجها لها، أو اعتقدت أنّ هناك منْ تعمل على سحره وإبعاده عن زوجته كانت تعمد إلى خصلة صغيرة من شعرها تغرسها في قطعة صغيرة من اللحم وتدفنها في غرفة النوم، ثم تحضر (جوانتي) تضع في اليد اليمنى منه دبوسا، وفي اليسرى إبرة، وتحرقهما حتى يصيران رمادا، فتجمعه وتضعه في لفافة تدسها في الوسادة أو المرتبة.

وكلنا يعرف الخرافة الشائعة المتعلقة بحذوة الحصان واعتقاد الكثيرين في أنها مجلبة للحظّ أو مانعة للنحس.

وهذه أيضا إحدى بقايا التعاويذ التي كان يستعلمها سكان (لانكشير) بانجلترا حيث كان السحر على أشده.

فقد شكت الأهالي إلى رجال الدين من سرقة السحرة لجيادهم بقصد تعذيبها أو قتلها ـ لأنّ جميع سحرة العالم لا يكرهون شيئاً أو حيواناً أشد من كرههم للخيل ـ ويقال إنّ الجواد بالذات دون سائر الحيوانات له غريزة يشعر بها عند اقتراب شيء مخيف منه، ويرى الأرواح الشريرة بسهولة فيصهل ويرفض السير .. الخ ولذا كان مقت هذه الأرواح والسحرة له شديدا، لأنه يحذر الناس منها، ويشعرهم بوجودها... فأشار رجال الدين على الأهالي بتعليق حذوة حصان على المكان المخصص لمبيتهم، فهذا يمنع السحرة من الاقتراب منهم.

وكان أهالي ويلز بانجلترا يستعينون على فساد السحر بنبات يطلقون عليه (صبير القديس جون). يصنعون منه فتيلا أو مشعلا يطلقونه في منازلهم.. وهذه العادة أيضا ما زالت بيننا للآن خصوصا عند الأجانب المقيمين بيننا فترى العرسان الجدد بعد زواجهم مباشرة يعلقون باقة من هذا الصبير على دورهم أو مساكنهم لمنع الحسد أو السحر[١].

وهذه النظرة التاريخية تظهر لنا طرائق الأمم غير المسلمة في محاربة السحر والوقاية منه وإزالته، وهي تتمثل بالرقى والتعاويذ والطلاسم، وكل هذه الأعمال مصتبغة بالكفر والشرك والعبودية للشيطان، وبذلك يظهر مدى إضلال الشيطان لبني آدم، فإنه يضلّ بعضا من البشر بامتهانهم السحر، ويضلّ آخرين إذ يلجئهم إليه لحلّ السحر الذي صنعه.

---

(١) السحر لمحمد محمد جعفر: ص ٢٢٣ ـ ٢٢٧

المبحث الثاني

موقف الإسلام من علاج السحر والوقاية منه

حلُّ السحر عن المسحور عند أهل العلم من المسلمين يسمى بالنشرة، قال الشيخ سليمان بن محمد بن عبدالوهاب رحمه الله: «قال أبوالسعادات: النشرة ضرب من العلاج والرقية، يعالج من كان يظنُّ أن به مسًّا من الجن، سميت نشرة، لأنه ينشر بها عنه ما خامره من الداء، أي يكشف ويزال.

وقال غيره: وَنَشَرَه أيضا إذا كتب له النشرة، وهي كالتعويذة والرقية. وقال ابن الجوزي: النشرة حلُّ السحر عن المسحور، ولا يكاد يقدر عليه إلا من يعرف السحر»(١) ولذا فإنَّ الرسول ﷺ عدَّها من عمل الشيطان، في السنن لأبي داود ومسند أحمد عن جابر أنَّ رسول الله ﷺ سئل عن النشرة، فقال: «هي من عمل الشيطان»(٢).

المطلب الأول

حكم الإسلام في اللجوء إلى الساحر لحلّ السحر وإزالته

لا يرضى الإسلام من أتباعه أن يلجأوا إلى السحرة لحلِّ السحر عن المسحور، وحال من يلجأ إلى الساحر كحال القائل: وداوني بالتي كانت هي الداء، وحاله أيضا كحال المستجير من الرمضاء بالنار.

---

(١) تيسير العزيز الحميد: ص ٣٦٤

(٢) رواه أبو داود ورواه أحمد (٢٩٤/٣) وإسناده صحيح.

يقول الشيخ حافظ حكمي رحمه الله: «يحرم حلُّ السحر عن المسحور بسحر مثله، فإنه معاونة للساحر، وإقرار له على عمله، وتقرب إلى الشيطان بأنواع القرب ليبطل عمله عن المسحور، ولهذا قال الحسن: لا يحلُّ السحر إلا ساحر.. ولهذا ترى كثيرا من السحرة الفجرة في الأزمان التي لا سيف فيها يردعهم يتعمد سحر الناس ممن يحبه أو يبغضه، ليضطّره بذلك إلى سؤاله حلَّه، ليتوصل بذلك إلى أموال الناس بالباطل، فيستحوذ على أموالهم ودينهم»(١).

وقد ذهب بعض أهل العلم إلى جواز ذلك، ففي صحيح البخاري عن قتادة قال: قلت لسعيد بن المسيب: «رجل به طب، أو يؤخذ عن امرأته، أيحلُّ عنه أو ينشر؟ قال: لا بأس به، إنما يريدون به الإصلاح، فأمّا ما ينفع فلم ينه عنه»(٢). وروي عن أحمد إجازته، وصحَّ عن ابن مسعود والحسن النهي عنه.

والقول الثاني هو الصحيح. يقول الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله تعالى: «قال بعض الحنابلة: يجوز الحلّ بسحر ضرورة. والقول الآخر أنه لا يحلُّ، وهذا الثاني هو الصحيح. وحقيقته أنه يتقرب الناشر والمنتشر إلى الشيطان بما يحبُّ من ذبح شيء أو السجود له أو غير ذلك، فإذا فعل ذلك ساعد الشيطان، وجاء إلى إخوانه الشياطين الذين عملوا ذلك العمل، فيبطل عمله عن المسحور.

وكلام الأصحاب هنا بين أنه حرام ولا يجوز إلا لضرورة فقط، ولكنَّ هذا يحتاج إلى دليل، ولا دليل إلا كلام ابن المسيب.

ومعنا حديث جابر في ذلك(٣)، وقول ابن مسعود وقول الحسن لا يحلُّ السحر إلا ساحر، وهو لا يتوصل إلى حلّه إلا بسحر. والسحر حرام وكفر،

---

(١) معارج القبول: ١/٥٣٠

(٢) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب هل يستخرج السحر. فتح الباري: ١٠/٢٣٢

(٣) حديث جابر: أنَّ الرسول ﷺ سئل عن النشرة، فقال: هي من عمل الشيطان. رواه أحمد وغيره بإسناد صحيح.

أفيعمل الكفر لتحيا نفوس مريضة أو مصابة؟ مع أنّ الغالب في المسحور أنه يموت أو يختل عقله، فالرسول ﷺ منع وسدَّ الباب، ولم يفصل في عمل الشيطان ولا في المسحور»(1).

ويمكن أن يحمل كلام من أجازه على النشرة بما هو مشروع وجائز، يقول الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب: «قال ابن القيم، النشرة حلُّ السحر عن المسحور، وهي نوعان: حلُّ السحر بمثله، وهو الذي من عمل الشيطان، وعليه يحمل قول الحسن، فيتقرب الناشر والمنتشر إلى الشيطان بما يحب، فيبطل عمله عن المسحور. والثاني النشرة بالرقية والتعوذات والأدوية المباحة فهذا جائز.

قال الشيخ في شرح هذا الكلام: «هذا الثاني هو الذي يحمل عليه كلام ابن المسيب، أو على نوع لا يدري هل هو من السحر أم لا؟ وكذلك ما روي عن الإمام أحمد من إجازة النشرة، فإنه محمول على ذلك، وغلط من ظنَّ أنه أجاز النشرة السحرية، وليس في كلامه ما يدلُّ على ذلك. بل لما سئل عن الرجل يحلُّ السحر قال: قد رخص فيه بعض الناس.

قيل: إنه يجعل في الطنجير ماءً ويغيب فيه فنفض يده، وقال لا أدري ما هذا.

قيل له: أترى أن يؤتى مثل هذا؟ قال: لا أدري ما هذا؟

وهذا صريح في النهي عن النشرة على الوجه المكروه.

وكيف يجيزه، وهو الذي روى الحديث أنها من عمل الشيطان، لكن لما كان لفظ النشرة مشتركا بين الجائزة والتي من عمل الشيطان ورأوه قد أجاز النشرة، ظنوا

---

(1) فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم: ١/١٦٥

أنه أجاز الذي من عمل الشيطان، وحاشاه من ذلك»[1].

المطلب الثاني
الطرق الشرعية في الوقاية من السحر والسحرة

خير علاج للسحر أن يتقيه المرء قبل وقوعه وحدوثه، فالوقاية خير من العلاج.

والساحر إنسان ضال مستهام بحبِّ الشرِّ والإفساد، وهو يستعين على تحقيق أغراضه الفاسدة بالشيطان، وقد بين لنا القرآن كيف يحصِّن المسلم نفسه من الشيطان وأعوانه وأتباعه، ومن هذه الطرق:

١ ـ الاستعاذة بالله. وقد أرشدنا القرآن إلى الاستعاذة في غير موضع من كتابه. قال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾[2]. وقال: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾[3].

وأفضل ما يُتعوذ به المعوذتان: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾.

والاستعاذة التجاء واحتماء بالله العزيز الحكيم العليم البصير الذي يعلم كيد الشيطان والسحرة، وهو قادر على رد كيدهم ومكرهم.

٢ ـ تقوى الله، وحفظه عند أمر الله ونهيه، فمن اتقى الله تولّى الله حفظه ولم يكله إلى غيره ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾[4] وقال: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟

---

(١) تيسير العزيز الحميد: ص ٣٦٧
(٢) سورة الأعراف: ٢٠٠
(٣) سورة المؤمنون: ٩٧
(٤) سورة الطلاق: ٢

﴿وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾[1].

٣ ـ التوكل على الله والاعتماد عليه، فمن توكل على الله فهو حسبه، والتوكل من أقوى الأسباب التي يدفع بها العبد مالا يطيق من أذى الخلق وظلمهم وعدوانهم ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾[2].

٤ ـ تجريد التوبة إلى الله من الذنوب التي سلطت عليه أعداءه فإنَّ الله تعالى يقول: ﴿وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾[3] وقال: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَـٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾[4].

٥ ـ الصدقة والإحسان فإنَّ لذلك تأثيرا عجيبا في دفع البلاء والسحر والحسد.

٦ ـ تجريد التوحيد والترحل بالفكر في الأسباب إلى المسبب العزيز الحكيم، والعلم بأن هذه الآلات بمنزلة حركات الرياح، وهي بيد محركها وفاطرها وبارئها، ولا تضرُّ ولا تنفع إلا بإذنه، وقد قال ربُّ العزة في السحر ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[5]. وقال تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾[6].

فإذا جرد العبد التوحيد فقد خرج من قلبه خوف ما سواه، وكان عدوه أهون عليه من أن يخافه مع الله، بل يفرد الله بالمخافة وقد أمنه منه.

---

(١) سورة آل عمران: ١٢٠
(٢) سورة الطلاق. ٣
(٣) سورة الشورى· ٣٠
(٤) سورة آل عمران. ١٦٥
(٥) سورة البقرة· ١٠٢
(٦) سورة يونس. ١٠٧

٧ ـ الإكثار من قراءة القرآن والأدعية المأثورة وقد سمّى ابن القيم الرقى بالقرآن والأدعية المأثورة بالأدوية الإلهية، وبين أنها من أعظم ما يقي الإنسان من السحر ويدفع شر السحرة، وفي هذا يقول: «ومن أنفع علاجات السحر الأدوية الإلهية، بل هي أدويته النافعة بالذات، فإنه من تأثيرات الأرواح الخبيثة السفلية، ودفع تأثيرها يكون بما يعارضها ويقاومها من الأذكار والآيات والدعوات التي تبطل فعلها وتأثيرها، وكلّما كانت أقوى وأشدّ كانت أبلغ في النشرة، وذلك بمنزلة التقاء جيشين مع كلٍّ واحد منهما عدته وسلاحه، فأيهما غلب الآخر قهره، وكان الحكم له.

فالقلب إذا كان ممتلئا من الله، مغمورا بذكره، وله من التوجهات والدعوات والأذكار والتعوذات وِرْدٌ لا يُخِلُّ به، يطابق فيه قلبه لسانه كان هذا من أعظم الأسباب التي تمنع إصابة السحر له، ومن أعظم العلاجات له بعدما يصيبه، وعند السحرة أنَّ سحرهم إنما يتم تأثيره في القلوب الضعيفة المنفعلة، والنفوس الشهوانية التي هي معلقة بالسفليات، ولهذا غالب ما يؤثر في النساء والصبيان والجهال وأهل البوادي ومن ضعف حظه من الدين والتوكل والتوحيد، ومن لا نصيب له من الأوراد الإلهية والدعوات والتعوذات النبوية، وبالجملة فسلطان تأثيره في القلوب الضعيفة المنفعلة التي يكون ميلها إلى السفليات.

قالوا: والمسحور هو الذي يعين على نفسه، فإنا نجد قلبه متعلقا بشيء كثير الالتفات إليه، فيتسلط على قلبه بما فيه من الميل والالتفات، والأرواح الخبيثة إنما تتسلط على أرواح تلقاها مستعدة لتسلطها عليها بميلها إلى ما يناسب تلك الأرواح الخبيثة وبفراغها من القوة الإلهية، وعدم أخذها للعدَّة التي تحاربها بها، فتجدها فارغة لا عدة معها، وفيها ميل إلى ما يناسبها، فتتسلط عليها، ويتمكن تأثيرها فيها بالسحر وغيره»[1].

---

(١) زاد المعاد: ٣/١٠٥

وابن القيم في هذا الكلام القيم الذي نقلناه عنه يرشدنا إلى أنَّ المسلم يجب عليه أن يحصن نفسه دائما بالأوراد الإلهية، والدعوات والأوراد والتعوذات النبوية، وبذلك يتقي السحر قبل وقوعه، فإنَّ الإنسان الذي لا يحصن نفسه بهذه الأدوية الإلهية هو الذي أعان على نفسه، خاصة إذا علّق قلبه بغير الله.

وسنسوق لك في خاتمة هذا المبحث بعض الأوراد والأدعية والأذكار التي تحصن من السحر والشياطين، كما تنفع في مداواة من أصابه السحر.

المطلب الثالث
الطرق المشروعة لإزالة السحر بعد وقوعه

١ ــ الرقى والتعاويذ

من أعظم ما يزيل السحر بعد وقوعه الرقى، يقول ابن حزم: «جربنا من كان يرقي الدمل الحادَّ القويَّ الظهور في أول ظهوره، فيبدأ من يومه ذلك بالذبول، ويتم يبسه في اليوم الثالث، ويقلع كما تقلع قشرة القرحة إذا تمَّ يبسها، جربنا من ذلك مالا نحصيه، وكانت هذه المرأة ترقي أحد دملين قد دفعا على إنسان واحد، ولا ترقي الثاني، فييبس الذي رقت، ويتم ظهور الذي لم ترق، ويلقى منه حامله الأذى الشديد، وشاهدنا من كان يرقي الورم المعروف بالخنازير، فيندمل ما يفتح منها، ويذبل مالم ينفتح، ويبرأ»(١).

والرقى كما يقول القرافي ألفاظ خاصة يحدث عندها الشفاء من الأسقام والأدواء والأسباب المهلكة، ولا يقال لفظ الرقى على ما يحدث ضررا، بل ذلك يقال له السحر، وهذه الألفاظ منها ما هو مشروع كالفاتحة والمعوذتين، ومنها

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل: ٤/٢

ماهو غير مشروع كرقى الجاهلية والهند وغيرهم، وربما كان كفرا، ولذلك نهى مالك وغيره عن الرقى بالعجمية لاحتمال أن يكون فيه محرم»[1].

وقال ابن تيمية: «نهى علماء الإسلام عن الرقى التي لا يفقه معناها، لأنها مظنة الشرك، وإن لم يعرف الراقي أنها شرك، وفي صحيح مسلم عن عوف بن مالك الأشجعي: «قال: كنا نرقي في الجاهلية. فقلنا: يا رسول الله: كيف ترى في ذلك؟ فقال: اعرضوا عليَّ رقاكم، لا بأس بالرقى مالم يكن فيه شرك».

وفي صحيح مسلم أيضا عن جابر قال: «نهى رسول الله ﷺ عن الرقى، فجاء آل عمرو بن حزم إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله، إنه كان عندنا رقية نرقى بها من العقرب، وإنك نهيت عن الرقى، قال: فعرضوها عليه، فقال: ما أرى بأسا، من استطاع منكم أن ينفع أخاه فلينفعه»[2].

ويستخلص من كلام أهل العلم أنَّ الرقى تكون مشروعة إذا تحقق فيها ثلاثة شروط:

الأول: أن لا يكون فيها شرك ولا معصية، كدعاء غير الله، والإقسام على الله بغير الله.

الثاني: أن تكون بالعربية أو ما يفقه معناه.

الثالث: أن لا يعتقد كونها مؤثرة بنفسها.

قال شارح الطحاوية: «واتفقوا على أنَّ كلَّ رقية وتعزيم أو قسم فيه شرك بالله، فإنه لا يجوز التكلم به، وإن أطاعته الجنُّ أو غيرهم»، وكذلك كلُّ كلام فيه كفر لا يجوز التكلم به، وكذلك الكلام الذي لا يعرف معناه لا يتكلم به،

---

(١) الفروق: ١٤٧/٤

(٢) إيضاح الدلالة: انظر مجموعة الرسائل المنيرية: ١٠٣/٢

لإمكان أن يكون فيه شرك ولا يعرف، ولهذا قال النبي ﷺ «لا بأس بالرقى مالم تكن شركا»(١).

وأنفع أنواع الرقى ما كان بالقرآن الكريم، وفي هذا يقول الشيخ بدر الدين بن عبدالله الشبلي: «وفي التطبب والاستشفاء بكتاب الله - عزَّ وجلَّ - غنى تام، ومقنع عام، وهو النور والشفاء لما في الصدور، والوفاء الدافع لكلِّ محذور، والرحمة للمؤمنين وأهل القبور، وفقنا الله لإدراك معانيه، وأوقفنا عند أوامره ونواهيه، ومن تدبر آيات الكتاب من ذوي الألباب وقف على الدواء الشافي لكلِّ دواء موافٍ، سوى الموت الذي هو غاية كلِّ حي، فإنَّ الله تعالى يقول: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾(٢) وخواص الآيات والأذكار لا ينكرها إلا من عقيدته واهية، ولكن لا يعقلها إلا العالمون، لأنها تذكرة، وتعيها أذن واعية، والله الهادي للحق»(٣).

وأحب أن أنبه هنا إلى أنَّ الرقى ليست مقصورة على إنسان بعينه، فإنَّ المسلم يمكنه أن يرقي نفسه، ويمكن أن يرقي غيره، وأن يرقيه غيره، ويمكن للرجل أن يرقى امرأته، ويمكن للمرأة أن ترقي زوجها، ولاشك أنَّ صلاح الإنسان له أثر في النفع، وكلما كان أكثر صلاحا كان أكثر نفعا، لأن الله يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾(٤).

ولا صحة لما يدعيه بعض الذين يلجأ إليهم الناس من أنَّ لهم خصوصية في نفع رقاهم لأخذهم العهد على شيخ أو صاحب طريقة، فإنَّ هذا لا أصل

---

(١) شرح الطحاوية: ص ٥٧٠، والحديث أخرجه مسلم من حديث عوف بن مالك الأشجعي.
(٢) سورة الأنعام: ٣٨.
(٣) غرائب وعجائب الجن: ص ١٣١
(٤) سورة المائدة: ٢٧.

له، وهو من الضلال، فالرقية دعاء والتجاء إلى الله، والله يجيب دعوة الداعي إذا دعاه ﴿وقال ربكم ادعوني استجب لكم﴾[1].

وقراءة القرآن والأذكار المأثورة لها خاصية في النفع من السحر ممن قرأ بها إذا كان صالحا موقنا بنفعها.

٢ ـ استخراج السحر وإبطاله:

ومن طرق علاج السحر استخراج السحر وإبطاله، يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: «رُوِيَ عن الرسول ﷺ في علاج السحر نوعان: أحدهما: وهو أبلغهما استخراجه، وتبطيله، كما صحَّ عنه ﷺ أنه سأل ربه سبحانه في ذلك، فَدُلَّ عليه فاستخرجه من بئر، فكان في مشط ومشاطة وجف طلعة ذكر، فلما استخرجه ذهب ما به، حتى كأنما نشط من عقال، فهذا أبلغ ما يعالج به المطبوب، وهذا بمنزلة إزالة المادة الخبيثة وقلعها من الجسد بالاستفراغ»[2].

٣ ـ استعمال الأدوية المباحة:

ويمكن اتقاء السحر قبل وقوعه، وحله بعد وقوعه بتناول بعض الأدوية واستعمال بعض الجراحات التي يعرفها الأطباء وأهل العلم. فمن ذلك أن يتناول المرء في صبيحة كلِّ يوم سبع تمرات عجوة، ففي صحيح البخاري عن عامر بن سعد عن أبيه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (من اصطبح[3] كلَّ يوم تمرات عجوة لم يضره سمٌّ ولا سحر ذلك اليوم إلى الليل).

---

(١) سورة غافر: ٦٠.
(٢) أعلام الموقعين: ٣/١٠٤.
(٣) اصتبح: تناول الشراب صباحا، ثم استعمل في الأكل.

وفي رواية: (من تصبح سبع تمرات عجوة لم يضره ذلك اليوم سمٌّ ولا سحر)[1].

وقد ورد في بعض الأحاديث تقييد التمر بتمر المدينة، أو بعالية المدينة، والعالية اسم موضع بالمدينة.

وقال ابن حجر في فتح الباري: «أخرج عبدالرزاق من طريق الشعبي قال: لا بأس بالنشرة العربية التي إذا وطئت لا تضرّه، وهي أن يَخْرج الإنسان في موضع عضاه، فيأخذ عن يمينه وعن شماله من كلّ ثم يدقه، ويقرأ فيه، ثم يغتسل به».

أي يأخذ من النبات وورق الأشجار الذي يجده في البقعة التي هو فيها.

وذكر ابن بطال أن في كتب وهب بن منبه أن يأخذ سبع ورقات من سدر أخضر، فيدقه بين حجرين، ثم يضربه بالماء، ويقرأ آية الكرسي والقواقل، ثم يحسو منه ثلاث حسيات، ثمَّ يغتسل به، فإنه يذهب عنه كلُّ ما به، وهو جيد للرجل إذا حبس عن أهله[2].

ويقول ابن حجر أيضاً: «ووقفت على صفة النشرة في كتاب الطب النبوي لجعفر المستغفري، قال: وجدت في خط نصوح بن واصل، أنَّ حماد بن شاكر عَلَّمه أن الرجل إذا لم يقدر على مجامعة أهله، وأطاق ما سواها، فإن المبتلي بذلك يأخذ حزمة قضبان وفأساً ذا قطارين، ويضعه في وسط تلك الحزمة، ثم يؤجج ناراً في تلك الحزمة، حتى إذا حمي الفأس استخرجه من النار، وبال على حرّه، فإنه يبرأ بإذن الله تعالى.

---

(١) صحيح البخاري: كتاب الطب، باب المداواة بالعجوة للسحر، فتح الباري: (١٠/٢٣٨).
(٢) فتح الباري: ١٠/٢٣٣.

وتكلم على طريقه حلّ السحر فقال: «وأما النشرة فإنه يجمع أيام الربيع ما قدر عليه من ورد المغارة وورد البساتين، ثمّ يلقيها في إناء نظيف، ويجعل فيها ماء عذبا، ثمّ يغلي ذلك الورد في الماء غليا يسيرا، ثم يمهل حتى إذا فتر الماء أفاضه عليه، فإنه يبرأ بإذن الله تعالى»[1].

٤ ـ التداوي بالحجامة والجراحة:

ومن هذا الباب ما ذكره ابن القيم في (زاد المعاد)، وهو معالجة السحر بالحجامة، وهو نوع من أنواع التداوي، يقول ابن القيم في هذا:

«والنوع الثاني: الاستفراغ في المحلّ الذي يصل إليه أذى السحر، فإنّ للسحر تأثيرا في الطبيعة وهيجان أخلاطها وتشويش مزاجها، فإذا ظهر أثره في عضو وأمكن استفراغ المادة الرديئة من ذلك العضو نفع جداً، وقد ذكر أبو عبيد في كتاب (غريب الحديث) له بإسناده عن عبدالرحمن بن أبي ليلى أنّ النبي ﷺ احتجم على رأسه بقرن حين طب. قال أبو عبيد معنى طب: أي سحر.

وقد أشكل هذا على من قلّ علمه، وقال ما للحجامة والسحر، وما للرابطة بين هذا الداء وهذاالدواء؟ ولو وجد هذا القائل أبقراط أو ابن سينا أو غيرهما قد نصّ على هذا العلاج لتلقاه بالقبول والتسليم. وقال قد نَصَّ عليه من لا نشك في معرفته وفضله.

فاعلم أن مادة السحر الذي أصيب به ﷺ انتهت إلى رأسه إلى إحدى قواه التي فيه بحيث كان يخيل إليه أنه يفعل الشيء ولم يفعله، وهذا تصرف من الساحر في الطبيعة والمادة الدموية بحيث غلبت تلك المادة على البطن المقدم منه فغيرت مزاجه عن طبيعته الأصلية.

(١) فتح الباري: ١٠/٢٣٤.

والسحر هو مركب من تأثيرات الأرواح الخبيثة، وانفعال القوى الطبيعية عنها وهو سحر التمريخات، وهو أشدُّ ما يكون من السحر، ولاسيما في الموضع الذي انتهى السحر إليه، واستعمال الحجامة على ذلك المكان الذي تضررت أفعاله بالسحر من أنفع المعالجة إذا استعملت على القانون الذي ينبغي.

قال أبقراط: الأشياء التي ينبغي أن تستفرغ يجب أن تستفرغ من المواضع التي هي إليها أميل بالأشياء التي تصلح لاستفراغها.

وقالت طائفة من الناس: إنَّ رسول الله ﷺ لما أصيب بهذا الداء وكان يخيل إليه أنه فعل الشيء ولم يفعله ظنَّ أنَّ ذلك عن مادة دموية أو غيرها مالت إلى جهة الدماغ، وغلبت على البطن المقدم منه، فأزالت مزاجه عن الحالة الطبيعية له، وكان استعمال الحجامة إذ ذاك من أبلغ الأدوية وأنفع المعالجة فاحتجم، وكان ذلك قبل أن يوحى إليه أنَّ ذلك من السحر، فلما جاءه الوحي من الله تعالى، وأخبره أنه قد سحر عدل إلى العلاج الحقيقي»(١).

المطلب الرابع

الآيات والأدعية النافعة التي تقي من السحر وتزيله بعد الإصابة به

القرآن كله شفاء ورحمة للمؤمنين ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾(١). وكذلك ذكر الله والرقى والأدعية التي يلجأ فيها إلى الله ويتوجه بها إليه كلُّها شافية كافية ـ إن شاء الله ـ إن خرجت من قلب موقن بالإجابة صادق التوجه.

---

(١) أعلام الموقعين: ٣/١٠٤.

وسنذكر في هذا المبحث بعض ما اطلعنا عليه مما نصَّ عليه القرآن والأحاديث الصحيحة أو أرشد إليه علماؤنا الأخيار.

١ ــ الاستعاذة من الشيطان ،والاحتماء بالله العظيم من هذا العدو اللعين ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[1] وقال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ۝ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴾[2].

وروى البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان النبي ﷺ يعوِّذ الحسن والحسين، ويقول: (إن أباكما كان يعوذ إسماعيل وإسحاق: أعوذ بكلمات الله التامّة، مِن كلِّ شيطان وهامّة، ومن كل عين لامّة)»[3].

٢ ــ التسمية، فقد روى البخاري في صحيحه عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا كان جنح الليل[4]، أو أمسيتم ـ فكفُّوا صبيانكم، فإن الشياطين تنتشر حينئذٍ، فإذا ذهب ساعة من الليل فحلوهم، فأغلقوا الأبواب واذكروا اسم الله، فإن الشيطان لا يفتح بابا مغلقا، وأوكوا قربكم واذكروا اسم الله، وخمروا[5] آنيتكم واذكروا اسم الله، ولو أن تعرضوا عليها شيئا، وأطفئوا مصحابيحكم)[6].

---

(١) سورة الأعراف: ٢٠٠.
(٢) سورة المؤمنون: ٩٨.
(٣) صحيح البخاري. كتاب الأنبياء، فتح الباري: ٦/٤٠٨.
والهامّة: واحدة الهوام ذوات السموم كالأفاعي والعقارب. (واللامة) كل داء وآفة تلم بالإنسان من جنون أو خبل. راجع: فتح الباري: ٦/٤١٠.
(٤) جنح الليل: إقباله بعد غروب الشمس.
(٥) خمروا الآنية: أي غطوها.
(٦) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الأشربة، باب تغطية الإناء. فتح الباري: ١٠/٨٨.

٣ ـ قراءة: قل هو الله أحد، والمعوذتين في الصباح والمساء. روى الترمذي في سننه عن معاذ بن عبدالله بن خبيب عن أبيه قال: «خرجنا في ليلة مطيرة وظلمة شديدة نطلب رسول الله ﷺ يصلي لنا، قال: فأدركته، فقال: (قل. فلم أقل شيئا. ثم قال: قل. فلم أقل شيئا. قال: قل. قلت: ما أقول. قال: قل (هو الله أحد) والمعوذتين، حين تمسي، وحين تصبح ثلاث مرات، تكفيك من كل شيء)».(١)

وقال صديق حسن خان: «وللمعوذتين أثر عظيم في إزالة السحر، فمن دوام على قراءتها في الأيام والليالي لا يضره السحر بإذن الله تعالى، وإذا قرأهما المسحور زال أثره إن شاء الله تعالى».(٢)

وفي حديث عائشة قالت: (إنَّ رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذتين، وينفث) الحديث، أخرجه مالك في الموطأ، وهو في الصحيحين من طريقه.

٤ ـ قراءة سورة البقرة، ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة أنَّ رسول الله ﷺ قال: (لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إنَّ الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة)(٣).

٥ ـ قراءة آية الكرسي، فقد قال شيطان لأبي هريرة في قصة رواها البخاري في صحيحه: «إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا

---

(١) سنن الترمذي: ٥/٥٦٨.
(٢) الدين الخالص: ٢/٣٢٠.
(٣) رواه مسلم في صحيحه: ١/٥٣٩. ورقم الحديث: ٧٨٠.

هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ حتى تختم الآية. فإنك لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربنّك شيطان حتى تصبح».

فقال الرسول ﷺ لأبي هريرة لما حدثه بما قاله الشيطان: «أمَا إنه صدقك وهو كذوب»(١).

وآية الكرسي هي: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾(٢).

٧ ــ القراءة بالآيتين الأخيرتين من سورة البقرة، ففي الحديث الذي يرويه البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه»(٣).

والآيتان من آخر سورة البقرة هما ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ۝٢٨٥ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ وَٱعْفُ عَنَّا

---

(١) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الوكالة، باب إذا وكّل رجلا فترك الوكيل شيئا فأجازه الموكل. فتح الباري: (٤/٤٨٧).

(٢) سورة البقرة: ٢٥٥.

(٣) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب فضل سورة البقرة. فتح الباري: ٩/٥٥.

وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾(1).

ومعنى قوله ﷺ كفتاة أي كفتاة من الشيطان، ففي حديث النعمان بن بشير يرفعه: «إنَّ الله كتب كتابا، وأنزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة، لا يقرآن في دار فيقر بها الشيطان ثلاث ليال» أخرجه الحاكم وصححه. وفي معنى «كفتاة» أقوال أخرى(2).

٨ ـ قول «لا إلا إله الله» في اليوم مائة مرة، ففي الحديث الذي يرويه البخاري ومسلم في صحيحهما عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: (من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في كلِّ يوم مائة مرة، كانت له عِدْلُ عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك)(3).

٩ ـ الآيات التي يتضمن لفظها إبطال السحر كقوله تعالى: ﴿ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾(4). ﴿فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْ صَٰغِرِينَ ﴾(5) وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾(6) وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴾(7).

---

(1) سورة البقرة: ٢٨٥ ـ ٢٨٦.
(2) فتح الباري: ٥٦/٩.
(3) رواه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده. فتح الباري: ٣٣٨/٦. ورواه مسلم: ٢٠٧١/٤. ورقم الحديث ٢٦٩١.
(4) سورة الأعراف: ١١٨.
(5) سورة الأعراف: ١١٩.
(6) سورة يس : ٨١.
(7) سورة طه: ٦٩.

١٠ ــ الأدعية والتعاويذ المأثورة عن النبي ﷺ الواردة في الأحاديث الصحيحة كحديث (ربنا الله الذي في السماء، تبارك اسمك، أمرك في السماء والأرض كما رحمتك في السماء، أنزل رحمة من رحمتك وشفاء من شفائك على هذا الوجع، فيبرأ). رواه أبو داود، وكحديث عثمان بن أبي العاص قال: أتاني رسول الله ﷺ وبي وجع قد كاد يهلكني، فقال رسول الله ﷺ (امسح بيمينك سبع مرات وقل: أعوذ بعزة الله وقدرته وسلطانه من شرِّ ما أجد). قال ففعلت فأذهب الله ما كان بي، فلم أزل آمر به أهلي وغيرهم، قال الترمذيُّ هذا حديث حسن صحيح. وكتب السنة من الأمهات وغيرها مشحونات بالأدعية والتعوذات الكافية الشافية بإذن الله عز وجلَّ.

وفي الختام نقول كما قال صديق حسن خان: «إنَّ كلَّ عمل ودعاء ينشر المرض والداء، وينفع من الأسقام والأدواء يصدق أنه نشره، يجوز الانتفاع به، إن كان من ألفاظ القرآن والسنة، أو من المأثور من السلف الصلحاء، الخالي عن أسماء الشرك وصفاته، باللسان العربي، وإلا كان حراما أو شركا»[1].

(١) الدين الخالص: ٢/٣٤٣.

الفصل العاشر

حكم السحر والسحرة

المبحث الأول

حكم تعلم السحر وتعليمه

سبق أن بينا أنَّ السحر لا يتم إلا بالاستعانة بالشياطين والعبودية لها بالقول والفعل وتناول المحرمات والخبائث ونحو ذلك، وهذا كلُّه كفر وشرك، لا يجوز لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يأتيه، والأدلة على كفر الساحر كثيرة.

الأول: قوله تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾(١) ووجه الاستدلال بالآية أنها رتبت الحكم وهو الكفر على الوصف المناسب وهو السحر، وهذا مشعر بأنَّ العلة في الكفر هو السحر.

الثاني: قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾(٢).

ودلالة الآية على المطلوب من وجوه:

---

(١) سورة البقرة: ١٠٢.

(٢) سورة البقرة: ١٠٢.

١ ـ التصريح بأنّ تعلمه كفر (فلا تكفر) يقول صديق حسن خان: «الآية دليل على أنّ تعلم السحر كفر، وظاهره عدم التفريق بين المعتقد وغير المعتقد، وبين من تعلمه ليكون ساحرا، ومن تعلمه ليقدر على دفعه»[١].

٢ ـ أنّ السحر لا نفع فيه، وما كان ضارا لا نفع فيه لا يبيحه الله لعباده.

٣ ـ التنصيص على أنّ مَنْ ﴿ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴾[٢] والخلاق النصيب، والذي لا نصيب له في الآخرة هو الكافر.

الثالث: قوله تعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴾[٣] ووجه الدلالة في الآية أنّ النفي في الآية يعم جميع أنواع الفلاح، وقد أكّد ذلك التعميم في الأمكنة (حيث أتى) وهذا دليل على كفره، لأنّ الفلاح لا ينفى بالكلية نفيا عامّا إلا عمن لا خير فيه، وهو الكافر.

وقد علم باستقراء القرآن أنّ الغالب فيه أنّ لفظة (لا يفلح) يراد بها الكافر[٤] ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ﴾[٥] ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾[٦].

وقد جاءت نصوص كثيرة تذمّ من يأتي الكهان والعرافين وتحكم على من صدقهم بالكفر. وسنذكرها في مبحث أدعياء الغيب.

---

(١) نيل المرام لصديق حسن خان: ص ٢١.
(٢) سورة البقرة: ١٠٢.
(٣) سورة طه: ٦٩.
(٤) راجع أضواء البيان: ٤/٤٧٨.
(٥) سورة يونس: ٦٩.
(٦) سورة يونس: ١٧.

والسحر المجازي وإن لم يبلغ مبلغ الكفر إلا أنه حرام لما فيه من إفساد عقائد العامة، فإنَّ العامي إذا شاهد ما يفعله الساحر من أمور غريبة لا يعرف سببها ربما اعتقد في الساحر شيئا من صفات الربوبية، فيهلك بذلك.

يقول ابن خلدون: «لم تفرق الشريعة بين السحر الطلّسمات والشعبذة وجعلته كله بابا واحدا محظوراً، لأنَّ الأفعال إنما أباح الشارع منها ما يهمنا في ديننا الذي فيه صلاح آخرتنا، أو في معاشنا ضرره بالوقوع، ويلحق بها الطلّسمات، لأنَّ أثرهما واحد، كالنجامة التي فيها نوع ضرر باعتقاد التأثير، فتفسد العقيدة الإيمانية برد الأمور إلى غير الله.. فجعلت الشريعة باب السحر والطلسمات والشعوذة بابا واحدا لما فيها من الضرر وخصته بالتحريم»[1].

يقول ابن حجر في بيان حكم تعلم السحر: «وقد استدلَّ بهذه الآية[2] على أنَّ السحر كفر ومتعلمه كافر. وهو واضح في بعض أنواعه وهو التعبد للشياطين أو للكواكب، وأمّا النوع الآخر الذي هو من باب الشعوذة، فلا يكفر به أصلا».

قال النووي: عمل السحر حرام، وهو من الكبائر بالإجماع، وقد عدّه النبيُّ ﷺ من السبع الموبقات، ومنه ما يكون كفرا، ومنه ما لا يكون كفرا، بل معصية كبيرة، فإن كان فيه قول أو فعل يقتضي الكفر فهو كفر، وإلا فلا، وأمّا تعلمه وتعليمه فحرام[3].

وقال ابن قدامة مبينا حكم تعلمه : «تعلّم السحر وتعليمه حرام، لا نعلم فيه خلافا بين أهل العلم».

---

(١) المقدمة لابن خلدون: ص ٩٣٤.
(٢) الآية المشار إليها آية البقرة وهي قوله تعالى: ﴿وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر﴾ سورة البقرة: ١٠٢.
(٣) فتح الباري: ٢٢٤/١٠.

قال أصحابنا: يكفر الساحر بتعلمه وفعله سواء اعتقد تحريمه أو إباحته، وروي عن أحمد ما يدلُّ على أنه لا يكفر، فإن حنبلا روى عنه قال: قال عمي في العراف والكاهن والساحر: أرى أن يستتاب من هذه الأفاعيل كلِّها، فإنه عندي في معنى المرتد، فإن تاب وراجع - يعني - يخلى سبيله، قلت له: يقتل؟ قال: لا، يحبس، لعله يرجع».

وقال الذهبي: «الكبيرة الثالثة في السحر، لأنَّ الساحر لابدّ وأن يكفر قال الله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾(١) وما للشيطان الملعون غرض في تعليمه الإنسان السحر إلا ليشرك به. قال الله تعالى مخبراً عن هاروت وماروت:

﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾(٢) أي من نصيب.

فترى خلقاً كثيراً من الضلال يدخلون في السحر ويظنونه حراماً فقط، وما يشعرون أنه الكفر، فيدخلون في تعليم السيمياء وعملها، وهي محض السحر، وفي عقد الرجل عن زوجته وهو سحر، وفي محبة الرجل للمرأة وبغضها له، وأشباه ذلك بكلمات مجهولة أكثرها شرك وضلال»(٣).

---

(١) سورة البقرة: ١٠٢.
(٢) سورة البقرة: ٢.
(٣) الكبائر للذهبي: ١٤.

ويقول ابن العربي: «من السحر ما يفرق بين المرء وزوجه، ومنه ما يجمع بين المرء وزوجه، ويسمى التولة وكلاهما كفر»[1].

الذين قالوا بوجوب تعليم السحر أو استحبابه ومشروعيته:

وشذَّ بعض من ينسب إلى العلم، فقالوا بوجوب تعلمه أو استحبابه أو مشروعيته، فمن هؤلاء الرازي فإنه زعم أن تعلمه واجب، وقد نقل الحافظ بن كثير كلام الرازي بنصه في تفسيره فقال: «العلم بالسحر ليس بقبيح ولا محظور، اتفق المحققون على ذلك، لأنَّ العلم لذاته شريف، وأيضا لعموم قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[2]. ولأنَّ السحر لو لم يعلم لما أمكن الفرق بينه وبين المعجزة، والعلم بكون المعجز معجزا واجب، وما يتوقف الواجب عليه فهو واجب، فهذا يقتضي أن يكون تحصيل العلم بالسحر واجبا، وما يكون واجبا، فكيف يكون حراما وقبيحا؟»[3].

وادعى بعض العلماء أنَّ تعلم السحر فرض لرد ساحر الحرب، ومباح أو مستحب لتحبب المرأة إلى زوجها، أو للتفريق بين المجتمعين على شرّ، يقول ابن عابدين: «وفي (ذخيرة الناظر) تعلم السحر فرض لساحر أهل الحرب، وحرام ليفرق به بين المرأة وزوجها، وجائز ليوفق بينهما»[4].

وقال القرافي: قال بعض العلماء إن كان تعلم السحر ليفرق به بينه وبين المعجزات كان ذلك قربة، وكذلك نقول إنَّ عمل السحر بأمر مباح ليفرق به

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي: ٣١/١.
(٢) سورة الزمر: ٩.
(٣) قصة السحر: ص ٥٠.
(٤) الفروق: ١٥٧/٤.

بين المجتمعين على الزنا أو قطع الطريق بالبغضاء والشحناء أن يفعل ذلك بجيش الكفر، فيقتلون به ملكهم فهذا كلُّه قربة، أو يصنعه محبة بين الزوجين أو الملك مع جيش الإسلام»[1].

وذكر ابن حجر أنَّ بعض العلماء أجاز تعلم السحر لأمرين: إما لتمييز ما فيه كفر من غيره، وإما لإزالته عمن وقع به[2].

وذكر ابن جرير والألوسي أنَّ بعضهم استدلَّ على جواز تعلمه بأنَّ هاروت وماروت وهما ملكان قد كانا يعلمانه بإذن من الله[3].

ويمكننا أن نلخص حجج الذين ذهبوا هذا المذهب في النقاط التالية:

١ ــ تَعَلُّم السحر ليس قبيحا.

٢ ــ تَعَلُّم السحر ليس محذورا.

٣ ــ تَعَلُّم العلم محمود وممدوح.

٤ ــ الحاجة إلى تَعَلُّم السحر للتفريق بينه وبين المعجزة والسحر، وللتفريق به بين أهل الشرِّ والفساد، ولدفع ساحر أهل الحرب، ولتحبيب المرأة إلى زوجها.

٥ ــ الاستدلال بإجازة تعليم الملائكة السحر.

والردُّ على أهل هذا المذهب من وجوه:

الأول: زعم أنَّ تعلم السحر ليس قبيحا، إن أراد به ليس قبيحا عقلا فإنَّ المعتزلة يخالفونه في هذا، ويرون قبح ذلك. وإن ادعى أنه ليس قبيحا شرعا

---

(١) المصدر السابق.

(٢) فتح الباري: ١٠/٢٣٤.

(٣) تفسير ابن جرير: ١/٤٥٥. روح المعاني: ١/٣٤٣.

ففي الآية ردٌّ عليه، لأنها ذمت الذين يتعلمون السحر، ونصّت على أنَّ تعلمه كفر.

الثاني: دعواه بأنَّ تعلم السحر غير محظور، وأنَّ المحققين اتفقوا على ذلك، غير صحيح، فإن الآيات والأحاديث دالة على ذمِّ متعلمه، وعلماؤنا الأعلام صرحوا بحرمة تعلمه، وكثير منهم كفَّروا متعلمه وحكموا بقتله كما بيناه، ثمَّ إنه لم يورد لنا أسماء هؤلاء المحققين الذين قالوا بذلك.

الثالث: استدلاله بالآية استدلال في غير محله، لأنَّ الممدوح في الآية هو العلم بالشريعة لا مطلق العلم، أو هو العلم الذي تبيحه الشريعة.

الرابع: زعمه توقف العلم بالمعجز على تعلم السحر غير صحيح، فأعظم معجزات نبينا محمد ﷺ هو القرآن الكريم، ومن المعلوم قطعا عدم توقف العلم بكونه معجزا على تعلم السحر، وقد كان سلفنا من الصحابة والتابعين والأئمة يعلّمون المعجز من غير تعلم للسحر[1].

الخامس: أصبح معلوما أنه يترتب على السحر كثير من المفاسد، وعلى ذلك فإنَّه يجب تحريمه من باب سدّ الذرائع، وفي الحديث: «من حام حول الحمى يوشك أن يرتع فيه».

وها نحن اليوم على الرغم من التقدم العلمي نرى كيف أنَّ السحر يزلزل عقائد العوام، ويسبب الشكوك لكثير من الناس، يقول النووي رحمه الله تعالى: «تعلم السحر حرام على المذهب الصحيح، وبه قطع الجمهور، ومثله الفلسفة والشعبذة والتنجيم وعلوم الطبائعيين، وكلّ ما كان سببا للإثارة»[2].

---

(١) راجع تفسير ابن كثير: ١/٢٥٣

(٢) المجموع: ١/٢٧

السادس: تعلم السحر الذي حكم الله على صاحبه بالكفر لا يكون إلا بتولي الشيطان، ولا يكون إلا بمباشرته، مثل الذي يتعلم الزمر وضرب العود لا يستطيع تعلم ذلك بغير المباشرة(١).

السابع: لا يتأتى هذا التعلم إلا بالكفر بالله والشرك به، كقيام الساحر لبرج الأسد إذا أراد أن يسحر سلطانا، وينادي الساحرُ قائلا خاضعا متقربا له: يا سيداه يا عظيماه، أنت الذي إليك تدين الملوك والجبابرة والأسود، أسألك أن تذلل لي قلب فلان الجبار(٢).

وقد أدرك كثير من العلماء هذا المعنى، أعني أنَّ السحر لا يتأتى إلا بالشرك، منهم ابن العربي، وقد قال في هذا: «إنَّ حقيقة السحر كلام مؤلف يعظم به غير الله تعالى، وتنسب إليه فيه المقادير والكائنات»(٣).

وقال القرطبي: «وقال بعض العلماء: قال أهل الصناعة: إن السحر لا يتم إلا مع الكفر والاستكبار، أو تعظيم الشيطان، فالسحر إذن دالٌّ على الكفر على هذا التقدير»(٤).

وقال الشيخ حافظ حكمي: «وقد علم أنَّ السحر لا يعمل إلا مع كفر بالله، وهذا معلوم من سبب نزول الآية»(٥).

وقال الشيخ سليمان شارح (كتاب التوحيد): «لما كان السحر من أنواع الشرك إذ لا يتأتى السحر بدونه أدخله المصنف في (كتاب التوحيد) ليبين ذلك

---

(١) فتح الباري: ٢٣٤/١٠.
(٢) الفروق للقرافي: ١٥٣/٤
(٣) أحكام القرآن لابن العربي: ٣١/١
(٤) تفسير القرطبي: ٤٨/٢.
(٥) معارج القبول: ٥١٢/١

تحذيرا منه، كما ذكر غيره من أنواع الشرك»[١].

وقال ابن عابدين: «ولعلَّ ما نقله عن الأصحاب (أي القول بكفر الساحر) مبني على أنَّ السحر لا يتمُّ إلا بما هو كفر كما يفيده قوله تعالى: ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾[٢].

وقد سبق أن فصلنا القول في علاقة الشيطان بالسحر والسحرة، وأنه لا يتم للساحر إلا بالكفر والشرك.

الثامن: ليس لأحد أن يبيح ما صرَّح الله بتحريمه ومَنْعِه وَحَكم على متعلمه بالكفر، وَحَكم بأنه لا يضر ولا ينفع.

التاسع: دعوى من ادعى أنَّ السحر ينفع، وأن متعلمه يدفع به الشر دعوى مناقضة لما قرره الله في كتابه في قوله: ﴿ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ﴾[٣].

إنَّ الساحر لا يتمُّ سحره إلا بالاستعانة بالشيطان، فأنَّى يدفع الشيطان عن أولياء الرحمن!! وكيف يؤذي الشيطان الذين يجتمعون على الشرور وهم أولياؤه!! إنَّ الذين يزعمون أنهم يريدون تعلم السحر ليدفعوا به الشر، ويفعلوا به الخير لا يعلمون حقيقة السحر.

العاشر: أما استدلال من استدل على جواز تعلمه بتعليم الملائكة له، فإنه استدلال ضعيف، وقد بين ابن جرير وجه ضعفه والرد عليه فقال:

---

(١) تيسير العزيز الحميد: ص ٣٣٣

(٢) سورة البقرة: ١٠٢

(٣) حاشية ابن عابدين: ٤/٢٤٤

«فإن التبس على ذي غباء ما قلنا، فقال: وكيف يجوز للملائكة الله أن تعلم الناس التفريق بين المرء وزوجه؟ أم كيف يجوز أن يضاف إلى الله تبارك وتعالى إنزال ذلك على الملائكة؟ قيل له: إنَّ الله جلَّ ثناؤه عرف جميع عباده ما أمرهم به، وجميع ما نهاهم عنه، ثمَّ أمرهم ونهاهم بعد العلم منهم بما يؤمرون به وينهون عنه، ولو كان الأمر على غير ذلك، لما كان للأمر والنهي معنى مفهوم.

فالسحر مما نهى عباده من بني آدم عنه، فغير منكر أن يكون جلَّ ثناؤه علَّمه الملكين الذين سماهما في تنزيله، وجعلهما فتنة لعباده من بني آدم كما أخبر عنهما أنهما يقولان لمن تعلم منهما ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾(١) ليختبر بهما عباده الذين نهاهم عن التفريق بين المرء وزوجه، وعن السحر، فيمحص المؤمن بتركه التعلم منهما، ويخزي الكافر بتعلمه السحر والكفر منهما، ويكون الملكان في تعليمهما من علما ذلك مطيعين.. وغير ضائرهما سحر من سحر ممن تعلم ذلك منهما بعد نهيهما إياه عنه»(٢)

حكم سحر النجوم

الذي يعتقد أنَّ النجوم لها تأثير على الأشخاص في أرزاقهم وأعمارهم وسعادتهم وشقاوتهم وانتصاراتهم وهزائمهم فإنَّه كافر لا شك في كفره، فإذا زاد على هذا بأن قصد هذه النجوم واستعان بها و استغاث بها من دون الله فقد ازداد إلى الكفر كفرا، وإلى الضلال ضلالا.

وقد بين الرسول ﷺ فساد هذا ووصفه بالكفر، ففي الحديث الذي يرويه البخاري عن زيد بن خالد الجهني قال: «صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح

(١) سورة البقرة: ١٠٢
(٢) تفسير ابن جرير: ١/٤٥٥

بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف النبي ﷺ أقبل على الناس فقال: هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب، وأمّا من قال: بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب»(١).

وهل الكفر الذي نصَّ عليه الحديث سالب لأصل الإيمان مخرج من ملة الإسلام؟ الجواب: أنَّ هذا الكفر سالب لأصل الإيمان مخرج من الملة إذا كان الإنسان معتقدا أنَّ الكوكب فاعل مدبر منشيء للمطر، كما كان بعض أهل الجاهلية يزعمون، ومن قال هذا فلا شك في كفره كما يقول النووي، وهو مذهب جماهير العلماء والشافعي منهم، وهو ظاهر الحديث.

فإن قال مطرنا بنوء كذا معتقدا أنَّ المطر من الله وبرحمته وأنَّ النوء ميقات له وعلامة اعتبارا بالعادة، فكأنه قال: مطرنا في وقت كذا وكذا لا يكفر، واختلف العلماء في كراهة هذا القول، والأظهر كراهته، لكنها كراهة تنزيه لا إثم فيها، وسبب الكراهة أنها كلمة مترددة بين الكفر وغيره، فيساء الظن بصاحبها، ولأنَّها شعار الجاهلية ومن سلك مسلكهم وذهب بعض أهل العلم إلى أنَّ الكفر الذي حكم به على قائل هذا القول كفر نعمة الله لاقتصاره على إضافة الغيث إلى الكواكب، وينبغي أن يقيد هذا القول بقيد عدم الاعتقاد بالكواكب وأنها المدبرة المنشئة للمطر، ويؤيد هذا القول ما جاء في بعض روايات الحديث عند

(١) رواه البخاري في صحيحه كتاب الاستقساء. باب قوله تعالى ﴿وتجعلون رزقكم انكم تكذبون﴾ فتح الباري: ٥٢٢/٢. ورواه مسلم: ٨٢/١. ورقم الحديث: ٧١. وللحديث عند مسلم عدة روايات عن عدة من الصحابة. فراجعه إن شئت.

مسلم: «أصبح من الناس شاكر وكافر». وفي الرواية الأخرى: «ما أنعمت على عبادي من نعمة إلا أصبح فريق منهم بها كافرين». وفي الرواية الثالثة: «ما أنزل الله تعالى من السماء من بركة إلا أصبح فريق من الناس بها كافرين». فقوله: «بها» يدلُّ على أنه كفر نعمة[1].

(١) راجع: شرح النووي على صحيح مسلم: ٦١/٢

المبحث الثاني

عقوبة الساحر

المطلب الأول

عقوبة الساحر عند غير المسلمين

بذلت كثير من الدول في الممالك الغربية قصارى جهدها للخلاص من السحرة، ففرضت عليهم أقسى وأشد العقوبات التي أخفها الشنق، ونالتهم بالتعذيب والتنكيل والتشهير ومصادرة الأموال وإنزال العقوبات بهم وبذريتهم. فكانت كلٌ من فرنسا وألمانيا وإيطاليا تحكم على السحرة بالإعدام حرقا. وفي اسكتلندا كانوا يعاقبونهم بإلقائهم في إناء حديدي كبير مملوء بالقار المغلي، وكانت انجلترا وبعض دول أوروبا تعدمهم شنقا أمام الجمهور. وكان عقاب الساحر أو الساحرة في أمريكا الإعدام شنقا في أقرب شجرة بالطريق.

وقد استعمل بعض الممالك طريقة (الخازوق) في إعدام السحرة. كما عاقبتهم دول كثيرة بطريقة (التشبيح). وطريقتهم في ذلك أنها كانوا يأتون بالساحر ويمددونه على مائدة كبيرة غليظة مقسمة إلى أربعة أقسام مفصول بعضها عن بعض. ويفردون ذراعيه إلى أعلى بحيث يقيدون الذراع الأيمن في ركن المائدة الأعلى الأيمن، والذراع الأيسر في ركنها الأيسر، والقدم اليمنى في الركن الأسفل الأيمن، ومثلها القدم اليسرى، ومركب بوسط هذه المائدة عجلة مصنوعة ومتصلة بالمائدة بطريقة مخصوصة، حتى إذا ما دارت العجلة انفصلت إلى أربعة أجزاء، وتحرك كل جزء منها في اتجاه مضاد للآخر، فيتحرك الذراع الأيمن إلى الشمال الغربي، والذراع الأيسر إلى الشمال الشرقي، والقدم الأيمن إلى الجنوب الغربي، والأيسر إلى الجنوب الشرقي.. وبهذا تتفكك أوصال وعضلات ومفاصل

الساحر، وتسبب له من الآلام الفظيعة المبرحة مالا تقوى عليه الأبالسة، وتتسبب في نهاية أجله بعد بضعة دقائق، ثم تؤخذ جثته وتحرق، ويبعثر رمادها في الشوارع.

ولكنَّ أبشع وأقسى طريقة اتبعت لعقاب الساحر هي التي كانت تطبقها محاكم التفتيش بأسبانيا، فقد أعدَّت هذه المحاكم فرقا مخصوصة مزودة بكافة آلات ومعدات التعذيب التي تخطر على بال البشر، وأطلقوا عليها (غرف التعذيب أو الاعتراف). فعند القبض على الساحر واعترافه مبدئيا بمزاولته السحر يؤخذ من الدار للنار...، ويدخل غرفة التعذيب حيث تجرى عليه العقوبات التالية.. يعلقونه من ساقيه بعد ربط يديه إلى جانبيه في عجلة كبيرة بحيث تكون رأسه إلى أسفل، ثم تدور هذه العجلة جملة دورات عنيفة، حتى إذا ما دارت وجعلته في الوضع الصحيح - أعني انقلب وضعه وصارت رأسه فوق ورجليه تحت - يبدأون في تقليع أظافر رجليه واحدا واحدا، حتى إذا ما انتهوا من الأمر أداروا العجلة ووضعوه في الوضع المقلوب الأول، ثم يبدأون في تقليع أظافر يديه واحدا بعد الآخر..، ثم تدور العجلة وتضعه في وضع أفقي ويختارون من جسده الجهات الممتلئة باللحم والشحم كالكتفين أو الفخذين أو الساقين .. إلخ ويشقون فيها طرقا طويلة أو قصيرة حسب ما يتراءى لهم يصبون فيها الزيت أو القار المغلي، ثم يضعونه في الوضع المقلوب الأول ويفقأون عينيه بمسامير كبيرة محماة وينهون هذا العذاب أخيرا بحرقه.

ونظرا لهذا العذاب الأليم كانت لا تقرر المحاكم في أسبانيا مجازاة الساحر إلا بعد اعترافه الصريح بمزاولة السحر بناء على اتفاق أو عقد أبرمه مع الشيطان، وعلى الساحر أن يقرر هذا كتابة، ويبين في إقراره متى وأين عقد اتفاقه، وما هي نصوص الاتفاق ومدته، وعلى أية صورة كان يظهر له الشيطان،

وما المواد التي كان يستعملها في سحره ومن يحضرها له؟ ولمن كان يسحر؟ ولصالح من؟ ولضرر من؟ وغير ذلك من الأسئلة التي لا تجعل محلا للشك في نوايا الساحر.

ورغم العقوبات وأنواع التعذيب التي فرضتها الحكومات الأجنبية على السحرة والساحرات إلا أنَّ كلَّ هذا لم يكن كافياً لشلِّ حركتهم أو شوكتهم أو تخويفهم أو استئصال بذور الشر من نفوسهم، وكانوا يعتقدون أنهم ببيعهم روحهم للشيطان لم يبق هناك روح لإزهاقها بمعرفة الحكومة بواسطة الشنق أو الحرق وغيرها من طرق الإعدام..

ولكن كان هناك نفر من السحرة المثقفين أو المتنورين كأرباب الأعمال أو المال أو الأساتذة كانوا خوفا من الجزاء الصارم يسترون سحرهم بحجج باطلة واهية إذ كانوا يدَّعون أن سحرهم موجه للأعمال الخيرية والإفادة، مثل شفاء المرضى أو الإصلاح بين العائلات أو الأزواج أو الكشف عن أسرار الكنوز والعلوم المخبأة التي تنفع المدنية ويستفيد منها الناس، ولذا كانوا يطلقون على عملهم هذا السحر الأبيض (White magic) تفرقة له من السحر الأسود (Black-magic) المقصود بها الضرر..

ولكن كل هذه الادعاءات وكلُّ هذه الحيل لم تأخذ بها الحكومات ولم يقرها القانون، وقضوا على كلِّ من يعمل في السحر الأبيض أو الأسود أو الأحمر بالإعدام، لأنَّ السحر في كل حالاته لا يخرج عن كونه سحراً ولأنَّ الأساس في نجاحه الاستناد إلى قوى غير طبيعية، ولأن الساحر الذي يعمله يهب لنفسه القوة للتغلب على النواميس الطبيعية، ونظمها، ويدعي سلطته على عقول وقلوب ونفوس البشر»[1].

(١) السحر لمحمد محمد جعفر: ٢٨ ـ ٣٠

«ومن أنواع العقوبات التي كانت توقع على الساحرات أنَّ الساحرة المدانة بالعقوبة كانت تؤخذ إلى غرفة التعذيب حيث ينزع أو ينتف المكلفون بعذابها كلَّ شعرة في جسدها على حدة بواسطة مقابض صغيرة محماة الأمر الذي يفوق طاقة البشر، وأية ساحرة مهما بلغت بها الدرجة من التبجح والإصرار والمكابرة والصبر فإنها كانت بمجرد أن تنتف من جسدها بضع شعرات تصرخ وتستغيث من شدة الألم، وتعترف بما عملت، ومالم تعمل، وتكيل لنفسها التهم جزافا، حتى ترحم من عملية النتف المذكورة ويتمُّ حرقها في الحال.. ولكن إمعانا في تعذيبها كان المكلفون بأمرها يطبقون قانون التعذيب عليها حرفيا، ولا يعتقونها إلا بعد إزالة كلِّ شعرة من جسدها بواسطة النتف، وتكون الساحرة خلال هذه العملية قاست من الآلام الفظيعة والأوجاع المرعبة ما يجعلها في شبه غيبوبة، ثم تؤخذ للحريق»(1)

المطلب الثاني
عقوبة الساحر في الإسلام

مذاهب العلماء في عقوبة الساحر:

١ ــ قال أبو بكر الرازي مبينا مذهب أبي حنيفة رحمه الله تعالى في عقوبة الساحر: «روى ابن شجاع عن الحسن بن زياد عن أبي حنيفة أنه قال في الساحر يقتل إذا علم أنَّه ساحر ولا يستتاب، ولا يقبل قوله إني أترك السحر وأتوب منه، فإذا أقرَّ أنه ساحر فقد حلَّ دمه، وإن شهد عليه شاهدان أنَّه ساحر فوصفوا ذلك بصفة يعلم أنه سحر قتل، ولا يستتاب، وإن أقر فقال: كنت أسحر وتركت هذا منذ زمان قبل منه، ولم يقتل، وكذلك لو شهد عليه أنه كان

---

(١) السحر: ص ٣٠

مرة ساحرا، وأنه ترك منذ زمان لم يقتل، إلا أنَّ يشهدوا أنه الساعة ساحر وأقر به فيقتل.

وكذلك العبد المسلم والذميُّ الحرُّ من أقرَّ منهم أنه ساحر فقد حلّ دمه، فيقتل، ولا يقبل منه توبته، وكذلك لو شهد على عبد أو ذمي أنه ساحر، ووصفوا ذلك بصفة يعلم أنه سحر لم يقبل توبته ويقتل، وإن أقرَّ العبد أو الذمي أنه كان ساحرا، وترك ذلك منذ زمان قبل ذلك منه، وكذلك لو شهدوا عليه أنه كان ساحرا، ولم يشهدوا أنه الساعة ساحر لم يقتل، وأمّا المرأة فإذا شهدوا عليها أنها ساحرة أو أقرت بذلك لم تقتل وحبست وضربت حتى يستيقن لهم تركها للسحر، وكذلك الأَمَةُ والذمية إذا شهدوا أنها ساحرة أو أقرت بذلك لم تقتل، حتى يعلم منها ترك ذلك كله، وهذا كله قول أبي حنيفة»[1].

ونقل أبو بكر الرازي عن محمد بن شجاع أنه سأل أبايوسف عن قول أبي حنيفة في الساحر: يقتل ولا يستتاب، لِمَ لَمْ يكن ذلك بمنزلة المرتد؟ فقال: الساحر جمع مع كفره السعي في الأرض بالفساد، والساعي بالفساد إذا قَتَلَ قُتِلَ»[2].

وهذا الذي نقله أبو بكر عن الإمام أبي حنيفة هو مذهب الحنفية، فالمعتمد عندهم أنَّ الساحر يكفر بتعلم السحر وفعله سواء اعتقد الحرمة أو لا. وذهب صاحب (فتح القدير) من الحنفية إلى أنه لا يكفر إلا إذا اعتقد مكفرا، وبه جزم في النهر، وتبعه الشارح، ولكنهم اتفقوا على أنه يقتل مطلقا إن عرف تعاطيه له[3].

---

(١) أحكام القرآن: ١/٥٠.
(٢) أحكام القرآن: ١/٥١.
(٣) حاشية ابن عابدين: ٤/٢٤٠.

قال ابن عابدين: «ولعل ما نقله صاحب (الفتح) عن الأصحاب مبني على أنَّ السحر لا يتم إلا بما هو كفر، وعلى هذا فغير المكفر لا يسمى سحرا، ويؤيده ما قدمناه عن (المختارات) من أنَّ المراد بالساحر غير المشعوذ، ولا صاحب الطلسم، ولا من يعتقد الإسلام، أي بأن لم يفعل أو يعتقد ما ينافي الإسلام»[1].

٢ ـ والإمام مالك ـ رحمه الله تعالى ـ يرى أنَّ المسلم إذا سحر بكلام يكون كفرا يقتل، ولا يستتاب، ولا تقبل توبته، قال الإمام مالك في موطئه: «الساحر الذي يعمل السحر، ولم يعمل ذلك له غيره هو مثل الذي قال الله تبارك وتعالى في كتابه: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾[2] فأرى أن يقتل ذلك، إذا عمل ذلك بنفسه»[3].

قال القرافي: «قال الطرطوشي في تعليقه: قال مالك وأصحابه: الساحر كافر يقتل ولا يستتاب سحر مسلما أو ذميا كالزنديق. قال محمد: إن أظهره قبلت توبته. قال أصبغ: إن أظهره ولم يتب فقتل فماله لبيت مال المسلمين، وإن استتر فلورثته من المسلمين، ولا آمرهم بالصلاة عليه، فإن فعلوا فهم أعلم.

قال ومن قول علمائنا القدماء: لا يقتل حتى يثبت أنه من السحر الذي وصفه الله ـ عزَّ وجل ـ بأنه كفر. قال أصبغ: يَكْشِفُ عن ذلك من يعرف حقيقته.

ولا يلي قتله إلا السلطان، فإن سحر المكاتب أو العبد سيده لم يل سيده قتله، بل الإمام.

---

(١) حاشية ابن عابدين: ٤/٢٤٤.
(٢) سورة البقرة: ١٠٢.
(٣) موطأ الإمام مالك: ص ٥٤٣.

ولا يقتل الذمي إلا أن يضرَّ المسلم بسحره، فيكون نقضا لعهده فيقتل، ولا يقبل منه الإسلام، وإن سحر أهل ملته فيؤدب إلا أن يقتل أحداً فيقتل به. وقال سحنون: يقتل إلا أن يسلم كالساب، وهو خلاف قول مالك.

فإن ذهب لمن يعمل له سحرا، ولم يباشر أُدِّب أدبا شديدا، لأنه لم يكفر، وإنما ركن للكفرة، قال: وتعليمه عند مالك كفر»(1).

وقال القرطبي مبينا مذهب مالك في عقوبة الساحر إذا كان ذميا: وقال مالك في ساحر الذمة: «لا يقتل إلا أن يقتل بسحره ويضمن ماجني، ويقتل إن جاء منه ما لم يعاهد عليه. وقال ابن خويز منداد: إذا كان ذميا فقد اختلفت الرواية عن مالك؛ فقال مرة: يستتاب وتوبته الإسلام. وقال مرة: يقتل وإن أسلم. وأما الحربي فلا يقتل إذا تاب، وكذلك قال مالك في ذمي سبَّ النبي ﷺ: يستتاب وتوبته الإسلام. وقال مرة: يقتل ولا يستتاب كالمسلم.

وقال مالك أيضا في الذمي إذا سحر: يعاقب، إلا أن يكون قتل بسحره، أو أحدث حدثا فيؤخذ منه بقدره. وقال غيره: يقتل؛ لأنه قد نقض العهد. ولا يرث الساحر ورثته، لأنه كافر إلا أن يكون سحره لا يسمى كفرا. وقال مالك في المرأة تعقد زوجها عن نفسها أو عن غيرها: تنكل ولا تقتل»(2).

٣ ــ وقد أجاد تقي الدين السبكي في فتاويه تلخيص مذهب الشافعي رحمه الله في هذه المسألة حيث يقول: «حاصل مذهب الشافعي أنَّ الساحر له ثلاثة أحوال: حال يقتل كافرا، وحال يقتل قصاصا، وحال لا يقتل أصلا، بل يعزز.

---

(١) الفروق للقرافي: ١٥٢/٤. وراجع في المسألة: الشرح الصغير على أقرب المسالك. ٤٣٣/٤. وتفسير القرطبي: ٤٧/٢، ٤٩.

(٢) تفسير القرطبي: ٤٩/٢.

أما الحالة التي يقتل فيها كفرا فقال الشافعي ـ رحمه الله ـ أن يعمل بسحره ما يبلغ الكفر، وشرح أصحابه ذلك بثلاثة أمثلة:

أحدها: أن يتكلم بكلام وهو كفر، ولاشك في أن ذلك موجب للقتل، ومتى تاب منه قبلت توبته، وسقط عنه القتل، وهو يثبت بالإقرار والبينة.

المثال الثاني: أن يعتقد ما اعتقده من التقريب إلى الكواكب السبعة، وأنها تفعل بأنفسها، فيجب عليه أيضا القتل، كما حكاه ابن الصباغ، وتقبل توبته، ولا يثبت هذا القسم إلا بالإقرار.

المثال الثالث: أن يعتقد أنه حقٌّ يقدر به على قلب الأعيان، فيجب عليه القتل، كما قاله القاضي حسين والماوردي، ولا يثبت ذلك إلا بالإقرار، وإذا تاب قبلت توبته، وسقط عنه القتل.

وأمّا الحالة التي يقتل فيها قصاصا، فإذا اعترف أنه قتل بسحره إنساناً، فكما قاله إنه مات به، وإن سحره يقتل غالبا، فهاهنا يقتل قصاصا، ولا يثبت هذه الحالة إلا الاقرار، ولا يسقط القصاص بالتوبة».

وأما الحالة التي لا يقتل فيها أصلا، ولكن يعزر فهي ماعدا ذلك»[1].

وقال النووي: «يحرم فعل السحر بالإجماع، ومن اعتقد إباحته فهو كافر، وإذا قال إنسان تعلمت السحر أو أحسنه استوصف، فإن وصفه بما هو كفر فهو كافر، بأن يعتقد التقرب إلى الكواكب السبعة. قال القفال: ولو قال: أفعل بالسحر بقدرتي دون قدرة الله تعالى فهو كافر. وإن وصفه بما ليس كفر فليس بكافر.

---

(١) نقله عن السبكي صاحب المجموع: ١٩/٢٤٥. وراجع في المسألة: الروضة للنووي: ٩/٣٤٥.

والقتل بالسحر لا يثبت، لأنَّ الشاهد لا يعلم قصد الساحر، ولا يشاهد تأثير الساحر، وإنما يثبت ذلك بإقرار الساحر، فإذا قال قتلته بسحري، وسحري يقتل غالبا فقد أقر بقتل العمد، وإن قال: وهو يقتل نادرا فهو إقرار بشبه العمد. وإن قال: أخطأت من اسم غيره إلى اسمه، فهو إقرار بالخطأ، ثم دية شبه العمد ودية الخطأ المخففة كلاهما من مال الساحر، ولا تطالب العاقلة بشيء إلا أن يصدقوه»[1].

٤ ـ وذهب الإمام أحمد في إحدى الروايتين عنه إلى القول بكفر الساحر ووجوب قتله، وهذه هي الرواية المعتمدة في مذهب الحنابلة، يقول ابن قدامة: «تعلم السحر وتعليمه حرام لا نعلم فيه خلافا بين أهل العلم. قال أصحابنا: ويكفر الساحر بتعلمه وفعله سواء اعتقد تحريمه أو إباحته»[2].

ويقول ابن قدامة أيضا: «والساحر الذي يركب المكنسة وتسير به في الهواء ونحوه يكفر ويقتل، فأمّا السحر بالأدوية والتدخين وسقي شيء يضرُّ فلا يكفر، ولا يقتل، ولكن يعزز ويقتص منه إذا فعل ما يوجب القصاص، فأمّا الذي يعزم على الجن ويزعم أنه يجمعها فتطيعه فلا يكفر ولا يقتل»[3].

ونقل عن الإمام أحمد رواية أخرى أنه لا يكفر ولا يقتل، ولكنه يستتاب، وقد أخذ بهذه الرواية ابن عقيل من الحنابلة، وحمل ابن عقيل الرواية الأخرى التي وردت عن الإمام أحمد في كفر الساحر على كفره في معتقده، ولذا فإنَّ الحنابلة متفقون على القول بكفر الساحر إذا اعتقد حل السحر[4].

---

(١) روضة الطالبين للنووي: ٣٤٦/٩.
(٢) المغني: ١٥١/٨
(٣) المقنع لابن قدامة: ٥٢٣/٣. وانظر أيضا «المحرر» لمجد الدين ابن تيمية ١٦٩/٢٠.
(٤) راجع: المغني: ١٥١/٨. والانصاف للمرداوي: ٣٤٩/١٠.

والسحر الذي يكفر صاحبه ـ كما يقول ابن قدامه ـ هو الذي يعد في العرف سحرا، مثل فعل لبيد بن الأعصم حين سحر النبي ﷺ في مشط ومشاطة، فأما الذي يعزم على المصروع، ويزعم أنه يجمع الجن ويأمرها فتطيعه، فهذا لا يدخل في هذا الحكم ظاهرا، وذكره القاضي أبو الخطاب من الحنابلة في جملة السحرة[1].

وساحر أهل الكتاب عند الحنابلة لا يقتل لسحره إلا أن يقتل به، وهو مما يقتل به غالبا فيقتل قصاصا، واستدلوا على ذلك بعدم قتل الرسول ﷺ للبيد بن أعصم الذي سحره، ولأنَّ الشرك أعظم من سحره، ولا يقتل به، والأخبار وردت في ساحر المسلمين لأنه يكفر بسحره وهذا كافر أصلي[2].

ويمكننا أن نوجز مذاهب العلماء في هذه المسألة بما يأتي:

١ ـ وجوب قتل الساحر من غير استتابة. وهذا مذهب الأئمة: أبي حنيفة ومالك، ورواية عن الإمام أحمد، وهذه الرواية هي المذهب عند الحنابلة.

وعزا القرطبي هذا القول إلى جمهور أهل العلم، وقال به من الصحابة: عمر وعثمان وابن عمر وحفصه وأبو موسى الأشعري، وعزاه القرطبي أيضا إلى سبعة من التابعين، وقال به من فقهاء الأمصار: أبو ثور وإسحاق[3].

٢ ـ وجوب قتل الساحر كفرا إذا عمل بسحره ما يبلغ الكفر، فإن كان سحره بغير الكفر وقتل بسحره قتل به قصاصا، وفي غير هاتين الحالتين يعزر ولا يقتل. وهذا مذهب الإمام الشافعي، وهو قول للإمام أحمد رحمه الله تعالى.

---

(١) المغني: ١٥٤/٨.
(٢) المغني: ١٥٧/٨. وانظر الانصاف: ٣٥٣/١٠.
(٣) تفسير القرطبي: ٤٨/٢.

وقد ذهب هذا المذهب ابن المنذر، حكاه عنه القرطبي.

قال القرطبي: «نقل عن ابن المنذر أنه قال: «إذا أقر الرجل أنه سحر بكلام يكون كفرا وجب قتله إن لم يتب، وكذلك لو ثبت عليه بينة، ووصفت البينة كلاما يكون كفرا.

وإن كان الكلام الذي ذكر أنه سَحَرَ به ليس بكفر لم يجز قتله، فإن كان أحدث في المسحور جناية توجب القصاص اقتص منه إن عمد ذلك»[١].

٣ ـ أما ساحر أهل الكتاب فإنَّ الإمام أبي حنيفة يرى وجوب قتله ولم يفرق بينه وبين الساحر المسلم.

ومذهب الجمهور أنه يعاقب ولا يقتل إلا إذا قتل بسحره فيقتل، أو أحدث حدثا فيؤاخذ به. وقال الإمام مالك: إن أدخل بسحره ضررا على مسلم نقض عهده بذلك[٢].

٤ ـ ومذهب أبي حنيفة عدم قتل الساحرة مسلمة كانت أو ذمية، وتحبس حتى تتوب، ولم يفرق الأئمة الثلاثة بين الرجل والمرأة في هذا الحكم.

الأدلـــة

أدلة أهل القول الأول وهم القائلون بوجوب قتله:

١ ـ إن الساحر كافر بنصِّ كتاب الله تعالى ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ

---

(١) تفسير القرطبي: ٤٨/٢.

(٢) راجع فتح الباري: ٢٣٦/١٠. ٤٧٧/٥.

﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾(١) فنفي الكفر عن سليمان يدلُّ دلالة واضحة على كفر الساحر، وأوضح منه قوله: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾(٢).

فإن قيل فلم منعتم استتابته والمرتد يستتاب؟ فالجواب أنَّ الساحر عند المالكية كالزنديق، والزنديق لا يستتاب.

٢ ـ قالوا: وقتل الساحر سنة الخليفة الراشد عمر بن الخطاب، ففي سنن أبي داود عن بجالة بن عبده قال: كنت كاتبا لِجَـزْء بن معاوية عم الأحنف بن قيس، إذ جاءَنا كتاب عمر قبل موته بسنة؛ «اقتلوا كلَّ ساحر»(٣). وإسناده صحيح.

ورواه أيضا أحمد في مسنده، والبيهقي، وابن حزم في (المحلى)(٤).

وصح أيضا قتل الساحر عن أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها، ففي موطأ مالك عن عبدالرحمن بن سعد بن زراره أنه بلغه أنَّ حفصة زوج النبي ﷺ قتلت جارية لها سحرتها، وقد كانت دَبَّرتها فأمرت بها فقتلت(٥).

فأنت ترى أن قتل الساحر مذهب عدد من كبار الصحابة، وقد تقرر عند علماء الأصول أنَّ الصحابي إذا قال قولا ولم يعرف له مخالف فإنه يعدُّ إجماعا،

---

(١) سورة البقرة: ١٠٢.

(٢) سورة البقرة: ١٠٢.

(٣) سنن أبي داود ٢٢٨/٣. ورقم الحديث: ٣٠٤٣.

(٤) رواه أحمد في مسنده: ١٩٠/١، ١٩١، والبيهقي: ١٣٦/٨، وابن حزم في المحلى ٣٩٧/١١.

(٥) موطأ مالك: ص ٥٤٣. والحديث عند مالك رواه محمد بن عبدالرحمن بلاغا، ووصله عبدالله بن أحمد في «مسائل أبيه» والبيهقي «١٣٦/٨» عن عبدالله بن عمر بإسناد صحيح.

قال ابن قدامة بعد أن ذكر قول من قال بوجوب قتل الساحر من الصحابة: «اشتهر هذا القول فلم ينكر فكان إجماعا»[1].

٣ ـ واحتجَّ الذين قالوا بقتل الساحر بما رواه الترمذي عن الحسن عن جندب قال: قال رسول الله ﷺ: (حدُّ الساحر ضربة بالسيف). رواه الترمذي.

والصحيح أنَّ هذا الحديث ضعيف مرفوعا، فلا يجوز الاحتجاج به، قال الترمذي بعد إيراده له: «هذا حديث لا نعرفه مرفوعا إلا من هذا الوجه، وإسماعيل بن مسلم المكي (أحد رواته) يضعَّف في الحديث. وإسماعيل بن مسلم العبدري البصري (أحد رواة الحديث أيضا) قال وكيع فيه: هو ثقة، ويروي عن الحسن أيضا.

والصحيح عن جندب موقوف، والعمل على هذا عند بعض أهل العلم من أصحاب النبيّ ﷺ وغيرهم»[2].

وخلاصة ما قاله الترمذي أنَّ الحديث ضعيف مرفوعا، صحيح موقوفا على جندب بن عبدالله.

أدلة أصحاب القول الثاني:

واحتج الشافعي وابن المنذر بأنَّ عائشة باعت مدبرة سحرتها، قالوا: لو وجب قتلها لما حلَّ بيعها، ولأنَّ النبي ﷺ قال: (لا يحلُّ دم امرىء مسلم إلا

(١) المغنى: ١٥٣/٥.
(٢) سنن الترمذي: ٦٠/٤ ورقم الحديث ١٤٦٠.

بإحدى ثلاث: كفر بعد إيمان، أو زنا بعد إحصان، أو قتل نفس بغير حق). ولم يصدر منه أحد الثلاثة، فوجب أنه لا يحلُّ دمه[1].

وقال تقي الدين الشبلي في فتاويه: «وحمل الشافعي ما روي عن عمر وحفصة على السحر الذي فيه كفر، وما يقال عن عائشة أنها باعت جارية لها سحرتها، وجعلت ثمنها في الرقاب على السحر الذي ليس فيه كفر، توفيقا بين الآثار، واعتمد في ذلك حديث: (أمرت أن أقاتل الناس)»[2].

ويمكن أن يحتجَّ للشافعي ومن قال بقوله بأنَّ الرسول ﷺ لم يقتل لبيد بن الأعصم اليهودي الذي سحر الرسول ﷺ.

تحقيق القول في عقوبة الساحر

والباحث إذا تأمل في أقوال أهل العلم وأدلتهم يجد أنه لا خلاف بينهم في واقع الأمر.

فأهل القول الأول الذين يرون وجوب قتل الساحر إنما قالوا هذا القول لأنَّ السحر عندهم لا يتم إلا بالكفر والشرك بالله تعالى.

وأهل القول الثاني الذين يرون عدم قتل الساحر في بعض الأحوال، إنما ذهبوا هذا المذهب لاعتقادهم بأنَّ السحر يتأتى بغير الكفر، وهم لا يخالفون الفريق الأول في وجوب قتله إذا كان سحره كفرا.

فالأمر عائد إلى تحقيق القول في حقيقة السحر ماهي؟ والحقُّ أنَّ السحر ثلاثة أنواع: الأول: السحر الحقيقي: الذي له حقيقة في الواقع. والثاني: سحر التخييل. والثالث: السحر المجازي.

---

(١) تفسير القرطبي: ٢/٤٨.

(٢) المجموع للنووي: ١٩/٢٤٦.

والحقُّ أنَّ النوع الأول والثاني لا يتمان إلا بالكفر والعبودية للشيطان. والنوع الثالث قد يتأتى بالاستعانة بالجن وقد يتأتى من غير استعانة بهم.

أما ساحر أهل الكتاب فقد ذهب الإمام أبو حنيفة إلى وجوب قتله، ولم يفرق بينه وبين الساحر المسلم، واستدلَّ على مذهبه بالأدلة نفسها التي استدلَّ بها على قتل الساحر المسلم.

وذهب الجمهور إلى عدم قتله، ولكنه يعاقب، إلا أن يقتل بسحره فيقتل، أو يحدث حدثا فيؤاخذ به. وقال الإمام مالك: إن أدخل بسحره ضررا على مسلم نقض عهده بذلك(١).

ومن الأئمة الذين قالوا بعدم قتله الإمام مالك والشافعي وأحمد، وابن شهاب الزهري، قال البخاري في صحيحه: قال ابن وهب: أخبرني يونس عن ابن شهاب سُئل: «أعلى من سحر من أهل العهد قتل؟ قال: بلغنا أن رسول الله ﷺ قد صنع له ذلك فلم يقتل من صنعه، وكان من أهل الكتاب»(٢).

وقد يجاب عن الاستدلال الثاني بأنَّ الرسول ﷺ لم يقتله «لأنه كان لا ينتقم لنفسه، ولأنه خشي إذا قتلهَ أن تثور بذلك فتنة بين المسلمين وبين حلفائه من الأنصار، وهو من نمط ما راعاه من ترك قتل المنافقين»(٣).

أما المرأة إذا سحرت فقد ذهب الإمام أبو حنيفة رحمه الله ـ كما سبق النقل عنه ـ إلى عدم قتلها، ويرى أنها تحبس وتستتاب، والحق ما ذهب إليه الأئمة الثلاثة مالك والشافعي وأحمد رحمهم الله تعالى، فإنهم لم يفرقوا بين الرجل والمرأة لعدم وجود الدليل الذي يفرق بينهم.

---

(١) راجع فتح الباري: ١٠/٢٣٦، ٥/٢٧٧.
(٢) صحيح البخاري، كتاب الجزية، باب «هل يعفى عن الذمِّي إذا سحر»؟ فتح الباري: ٦/٢٧٦.
(٣) فتح الباري: ١٠/٢٣٦.

الفصل الحادي عشر

توبة الساحر

سبق أن ذكرنا أنّ مذهب الإمام أبي حنيفة ومالك ورواية عن الإمام أحمد أنّ الساحر يقتل ولا يستتاب، وحجة من ذهب هذا المذهب أن الصحابة قتلوا السحرة من غير استتابة، ولأن السحر لا يزول بالتوبة. وذهب الإمام مالك ـ رحمه الله ـ وأصحابه إلى عدم استتابته لأنّ الساحر عندهم حكمه حكم الزنديق كما سبق نقل ذلك عنهم، والزنديق لا تقبل توبته عنده إلا إذا جاء تائبا قبل الاطلاع عليه.

وذهب الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ وهي رواية عن الإمام أحمد ـ رحمه الله تعالى ـ إلى أنه يستتاب، لأن ذنبه ليس بأعظم من الشرك، والمشرك يستتاب، ولأن الساحر لو كان كافرا فأسلم صحّ إسلامه وتوبته.

وهذا هو الأظهر ـ إن شاء الله تعالى ـ ودعوى أنّ الزنديق لا يستتاب مسألة خلافية. وهذا الذي اختلفوا فيه إنّما هو في ثبوت حكم التوبة في الدنيا من سقوط القتل ونحوه، فأمّا فيما بينه وبين الله تعالى، وسقوط عقوبة الدار الآخرة عنه فيصحّ، فإنّ الله تعالى لم يسدّ باب التوبة عن أحد من خلقه، ومن تاب إلى الله قبل الله توبته. قال ابن قدامه: «لا نعلم في هذا خلافا»[1].

وقد أخبرنا الله تبارك وتعالى أنّ سحرة فرعون آمنوا وقبل توبتهم.

---

(١) المغني: ٥/١٥٤، ٨/١٥٤. وراجع: أضواء البيان: ٤/٤٩٨.

الفصل الثاني عشر

تفسير آيات السحر من سورة البقرة

قال الله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (١٠٢) وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[1].

لما كانت هذه الآيات هي عمدة الأحكام التي تتعلق بالسحر في كتاب الله أحببت أن أتعرض لها بالشرح والبيان.

أولا: سبب النزول:

أنزل الله إلى بني إسرائيل شريعة مباركة طيبة هي شريعة التوراة، فتركوها ونبذوها واشتغلوا بالسحر الذي يعبدهم للشيطان، فلما جاءتهم الشريعة التي أنزلها الله على رسوله الخاتم استمروا على ضلالهم في اتباع السحر والإعراض

---

(١) سورة البقرة: ١٠١ - ١٠٣

عن وحي السماء، وزعموا أنّ نبي الله سليمان إنما سخرت له الجن والإنس والطير والريح بالسحر، فأنزل الله هذه الآيات ذاما لهم، مبينا كفرهم وضلالهم، مبرئا عبده ونبيه سليمان مما رماه به أهل الضلال.

يقول ابن الجوزي رحمه الله تعالى: «في سبب نزول هذه الآيات قولان:

أحدهما: أنّ اليهود كانوا لا يسألون الرسول ﷺ عن شيء من التوراة إلا أجابهم، فسألوه عن السحر وخاصموه به، فنزلت هذه الآية. قاله أبوالعالية.

الثاني: أنه لما ذُكِرَ سليمان في القرآن قالت يهود المدينة: ألا تعجبون لمحمد يزعم أنّ ابن داود كان نبيا؟ والله ما كان إلا ساحرا، فنزلت هذه الآية. قاله ابن إسحاق»[1].

ثانيا: التفسير والبيان:

الضمير في قوله (جاءهم) عائد إلى أهل الكتاب الذين كشف الله في هذه السورة كثيرا من معايبهم، وقد كان أهل الكتاب يزعمون أنهم الأمة المختارة المصطفاة، وأنهم أهل العلم والكتاب المنزل، وكان المفروض أن يسارعوا إلى الإيمان بمحمد ﷺ عندما أرسل، لأنه مبعوث إليهم كما هو مبعوث إلى غيرهم، ولأنّ كتابهم أمرهم بالتصديق به والإيمان به، وأعلمهم بصفاته ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ ﴾[2]، ولكنهم كفروا به، وصدّوا عنه، ونبذوا كتاب الله الذي أمرهم باتباع هذا الرسول الكريم، واتبعوا السحر الذي جاءت به الشياطين أو أنزل على الملكين ببابل.

---

(١) زاد المسير: ١/١٢٠

(٢) سورة الأعراف: ١٥٧

وفائدة تنكير (رسول) في الآية التفخيم والتعظيم. أي لما جاءهم رسول عظيم كريم.

وقوله: (من عند الله) جار ومجرور متعلق بمحذوف صفة لرسول، أي رسول كائن من عند الله، وقوله (مصدق) صفة أخرى للرسول.
ووجه كونه مصدقا لما معهم أنّه أخبر بصدق التوراة، وأنّها منزلة من عند الله، وصدق ما فيها من التوحيد وأصول الدين، وأخبار الأمم والمواعظ والحكم، وأظهر ما سألوه عن غوامضها.

وقيل: إنّ تصديقه للتوراة تحقق ببعثته على النعت الذي وصفته التوراة، فقد كان وجوده ونعته مطابقا للأوصاف التي أخبرت التوراة بها، ولو لم يأت الرسول ﷺ على هذا النحو لكانت التوراة كاذبة. والصحيح أنّ كلا المعنيين صحيح مراد.

وأصل النبذ في لغة العرب: الطرح والإلقاء، ومنه سمي اللقيط منبوذا، ومنه سمي التمر والزبيب الذي يطرح في الماء نبيذا. والمراد بالنبذ في الآية الإعراض عما أمرهم به كتابهم من متابعة الرسول ﷺ والإيمان به، والعمل بالكتاب الذي جاء به، قال السدي: «نبذوا التوراة وأخذوا بكتب آصف وسحر هاروت وماروت. وقال الشعبي: هو بين أيديهم يقرؤونه، ولكن نبذوا العمل به. وقال سفيان بن عيينة: أدرجوه في الحرير والديباج، وحَلّوه بالذهب والفضة ولم يُحلّو حلاله، ولم يحرّموا حرامه، فذلك النبذ»[1].

وقد شبّه الحقُّ ـ تبارك وتعالى ـ تركهم لكتابه وإعراضهم عنه بحال من يرمي الشيء الذي يُسْتَخفُّ به وراء ظهره، يقول القرطبي: «وهذا مثل يضرب

(١) تفسير القرطبي: ٢/٤١

لمن استخفَّ بالشيء فلا يعمل، تقول العرب: اجعل هذا خلف ظهرك، ودبراً منك، وتحت قدمك، أي اتركه وأعرض عنه، قال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذۡتُمُوهُ وَرَآءَكُمۡ ظِهۡرِيًّا﴾(١).

ويقول الأستاذ سيد قطب: «نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم، والمقصود أنهم جحدوه وتركوا العمل به، وأنهم أبعدوه عن مجال تفكيرهم وحياتهم، ولكنَّ التعبير المصور ينقل المعنى من دائرة الذهن إلى دائرة الحس، ويمثل عملهم بحركة مادية متخيلة، تصور هذا التصرف تصويرا بشعا مزريا، ينضح بالكنود والجحود، ويتسم بالغلظة والحماقة، ويفيض بسوء الأدب والقحة، ويدع الخيال يتملى هذه الحركة العنيفة، حركة الأيدي تنبذ كتاب الله وراء الظهور»(٢).

وجملة (كأنهم لا يعلمون) في محلٍّ نصب حال، أي نبذوه مشبَّهين بمن لا يعلم «ما في التوراة من الأمر، باتباع محمد ﷺ وتصديقه، وهذا من الله ـ جلَّ ثناؤه ـ إخبار عنهم أنهم جحدوا الحقَّ على علم منهم به ومعرفة، وأنهم عاندوا أمر الله، فخالفوا منهم بوجوبه عليهم»(٣).

قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَ﴾(٤). (تتلو) فعل مضارع، ومعناه المضي، أي: تلت.

ولتتلو معنيان: أحدهما الاتباع، كما يقال: تلوت فلانا، أي مشيت خلفه وتبعت أثره. قال تعالى: ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ۝ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا﴾(٥) أي تبعها.

---

(١) سورة هود: ٩٢

(٢) في ظلال القرآن: ١/ ٩٥

(٣) تفسير الطبري: ١/ ٤٤٢.

(٤) سورة البقرة: ١٠٢

(٥) سورة الشمس: ٢

والثاني - وهو الأكثر ورودا في كتاب الله: القراءة والدراسة، كقوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ ﴾[1]، وقوله: ﴿ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُواْ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴾[2] ولم يأت خبر صحيح يبين لنا كيف كانت الشياطين تتلو السحر في ذلك العهد[3]، والنصُّ وحده كاف في الدلالة على ذم اليهود الذين نبذوا كتاب الله، واتبعوا ما ألقته إليهم الشياطين.

و(على) في الآية بمعنى (في). وتأتي (على) بمعنى (في) في لغة العرب كثيرا، كما أنَّ (في) تأتي في موضع (على) كقوله: ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ ﴾[4] أي على جذوعها.

قوله: (وما كفر سليمان)[5] برأ الله نبيه سليمان مما رماه به اليهود، حيث أنهم يزعمون أنَّ سليمان كان ساحرا، وبالسحر دان له الجن والإنس والطير، وسُخِّرت له الريح. واليهود يحاولون دائما أن يبرروا ما هم عليه من القبائح والجرائم، ومن طرائقهم في هذا أن ينسبوا هذه العظائم إلى الأنبياء والمرسلين، فيقولون: إنَّ لوطا زنى بابنتيه، وأحد أبناء يعقوب خان أخاه، وسليمان كان ساحرا، فكأنهم يقولون: لا حرج علينا إن وقع هذا منا، فهؤلاء أنبياء الله وقعت منهم هذه العظائم، ولعلَّ من هذا الباب ما زعمه اليهود من أنَّ الله ركَّب الشهوة في الملكين هاروت وماروت، فلما نزلا إلى الأرض لم يمكثا إلا قليلا حتى وقعا فيما حرَّمه الله عليهما، وقد برأ الله رسله وأنبياءه مما رمتهم به اليهود، وأكذبهم في دعواهم.

---

(١) سورة البقرة: ١٢٩

(٢) سورة البينة: ٢

(٣) أما الروايات التي شحنت بها كتب التفسير المبينة كيف كانت الشياطين تتلو فإنها غير صحيحة.

(٤) سورة طه. ٧١

(٥) سورة البقرة: ١٠٢

قال صديق حسن خان في الآية: «نزَّه الله نبيه سليمان عليه السلام عن الكفر، ولم يتقدم أنَّ أحدا نسبه إلى الكفر، ولكن لما نسبه اليهود إلى السحر صار بمنزلة من نسبه إلى الكفر، لأنَّ السحر يوجب ذلك»[1].

قال ابن حجر العسقلاني: «اختلف في المراد بالآية، فقيل: إنَّ سليمان كان جمع كتب السحر والكهانة فدفنها تحت كرسيه، فلم يكن أحد من الشياطين يستطيع أن يدنو من الكرسي. فلما مات سليمان وذهبت العلماء الذين يعرفون الأمر جاءهم الشيطان في صورة إنسان، فقال لليهود: هل أدلكم على كنز سليمان الذي لا نظير له؟ قالوا: نعم. قال: فاحفروا تحت الكرسي، فحفروا - وهو متنح عنهم - فوجدوا تلك الكتب. فقال لهم: إنَّ سليمان كان يضبط الجن والإنس بهذا، ففشا فيهم أن سليمان كان ساحرا، فلما نزل القرآن بذكر سليمان في الأنبياء أنكرت اليهود ذلك، وقالوا: إنما كان ساحرا، فنزلت هذه الآية. أخرجه الطبري وغيره عن السدي، ومن طريق سعيد بن جبير بسند صحيح نحوه. ومن طريق عمران بن الحارث عن ابن عباس موصولا بمعناه.

وأخرج من طريق الربيع بن أنس نحوه، ولكن قال: إنَّ الشياطين هي التي كتبت السحر ودفنتها تحت كرسيه، ثم لما مات سليمان استخرجته، وقالوا: هذا العلم الذي كان سليمان يكتمه الناس. وأخرجه من طريق محمد بن إسحاق وزاد أنهم نقشوا خاتما على نقش خاتم سليمان، وختموا به الكتاب وكتبوا عنوانه: هذا ما كتب آصف بن برخيا الصديق للملك سليمان بن داود من ذخائر كنوز العلم، ثم دفنوه، فذكر نحو ما تقدم. وأخرج من طريق العوفي عن ابن عباس نحو ما تقدم عن السدِّي ولكن قال: إنهم لما وجدوا الكتب قالوا: هذا ما أنزل الله على سليمان فأخفاه منا.

---

(١) الدين الخالص: ٣٢٤/٢.

وأخرج بسند صحيح عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: انطلقت الشياطين في الأيام التي ابتلي فيها سليمان، فكتبت كتبا فيها سحر وكفر، ثم دفنتها تحت كرسيه، ثم أخرجوها بعده فقرؤوها على الناس. ثم قال ابن حجر: وملخص ما ذكر في تفسير هذه الآية أنَّ المحكي عنهم أنهم اتبعوا ما تتلو الشياطين»[1].

قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ﴾[2]

قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي: (ولكنْ) بتخفيف النون، ورفع نون (الشياطين)، وقرأ الباقون (ولكنَّ) بتشديد النون، ونصب (الشياطين). والقراءتان صحيحتان[3].

وقرأ ابن عباس والحسن وسعيد بن جبير والزهري: (الملكين) بكسر اللام[4]، والمراد بهما داود وسليمان، أو رجلان من بني آدم.

وقد قال الطبري بعد ذكره لهذه القراءة: «إجماع الحجة على خطأ القراءة بها من الصحابة والتابعين وقراء الأمصار»[5].

وقد اختلف أهل العلم في (بابل) التي ذكرت في النص ما هي؟ وأين هي؟ وقد عرض القرطبي لهذا الاختلاف فقال: «بابل لا ينصرف للتأنيث والتعريف والعُجْمة، وهي قُطر من الأرض. قيل: العراقُ وما والاه. وقال

---

(١) فتح الباري: ١٠/٢٢٣

(٢) سورة البقرة: ١٠٢

(٣) حجة القراءات: ١٠٩. زاد المسير: ١/١٢٢

(٤) زاد المسير: ١/١٢٢

(٥) تفسير الطبري: ١/٤٥٩

ابن مسعود لأهل الكوفة: أنتم بين الحيرة وبابل. وقال قتادة: هي من نِصيبين إلى رأس العين. وقال قوم: هي بالمغرب. قال ابن عطية: وهذا ضعيف. وقال قوم: هو جبل نهاوند. واختلف في تسمية بابـل، فقيل: سُمّيَ بذلك لتبلبل الألسن بها حين سقط صرح نمرود، وقيل: سُمي به لأن الله تعالى لما أراد أن يخالف بين ألسنة بني آدم بعث ريحاً حشرتهم من الآفاق إلى بابل، فبلبل الله ألسنتهم بها، ثم فرقتهم تلك الريح في البلاد. والبلبلة: التفريق. قال معناه الخليل. وقال أبوعمر بن عبدالبر: من أخصر ما قيل في البلبلة وأحسنه ما رواه داود بن أبي هند عن علياء بن أحمر عن عكرمة عن ابن عباس أنَّ نوحا عليه السلام لما هبط إلى أسفل الجودي ابتنى قرية وسماها ثمانين، فأصبح ذات يوم وقد تبلبلت ألسنتهم على ثمانين لغة، إحداها اللسان العربي، وكان لا يفهم بعضهم عن بعض»(1).

والصحيح في (بابل) أنها مدينة كانت بالعراق على ضفتي نهر الفرات، وكانت أعظم مدائن العالم في وقتها، وقد وصفها (هيروتس)(2) شيخ المؤرخين في عصره باتساعها، وكثرة علومها وفنونها، ومن هذه العلوم علم السحر والفلك.

ولا يزال للسحر وجود واضح في العراق على مرِّ التاريخ، فقد ذكر بدر الدين الشبلي أنَّ الإمام مالك بلغه أنَّ عمر بن الخطاب أراد الخروج إلى العراق، فقال له كعب الأحبار: «لا تخرج يا أمير المؤمنين، فإنَّ بها تسعة أعشارِ السحر والشر» وعزا بدرالدين هذا الخبر إلى مالك في موطئه، وقد ذكر المؤرخون في بابل حكايات وأساطير وأخبارا مغرقة في الخيال(3).

---

(1) تفسير القرطبي: ٢/٥٣
(2) رحالة يوناني عاش ما بين ٤٨٤ ـ ٤٢٥ قبل الميلاد.
(3) راجع معجم البلدان لياقوت: ١/٣٠٩

واختلف أهل العلم في (ما) التي في قوله: ﴿وما أنزل على الملكين﴾[٢] هل هي موصولة أو نافية.

فذهب ابن جرير الطبري ـ رحمه الله ـ إلى أنها موصولة، وتكون في هذه الحالة معطوفة على (ما) في قوله: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾[٢] أي اتبعوا ما تتلو الشياطين، وما أنزل على الملكين، ويصح أيضا أن تكون معطوفة على السحر، والمعنى أنَّ الشياطين يعلمون الناس السحر ويعلمونهم ما أنزل على الملكين[٣].

وقد رفض جمع من المفسرين منهم القرطبي[٤] هذا الوجه في تفسير الآية، لأنه يؤدي إلى أنَّ الله أنزل السحر على الملائكة، وأنَّ الملائكة يعلمون هذا السحر للناس، وقالوا: إن قواعد الشريعة تأبى هذا. وهؤلاء قالوا: إن (ما) نافية معطوفة على قوله: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ﴾[٥] فتكون الآية برأت الملائكة مما ادعاه اليهود من أنَّ الملائكة كانوا يعلِّمون السحر، كما برأت سليمان عليه السلام. ويكون المعنى: وما كفر سليمان وما أنزل على الملكين.

ولكنَّ هذا الفريق وقع في إشكال، لأنَّ قوله: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾[٦] وقوله: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾[٧] يدلُّ دلالة واضحة على وجود اثنين يعلمان بعد نهيهما المتعلم عن التعلم، وأنَّ المتعلم يستخدم علمه الذي أخذه منهما في الإضرار المذكور في الآية.

---

(١) سورة البقرة: ١٠٢
(٢) سورة البقرة: ١٠٢
(٣) تفسير الطبري: ١/٤٥٩
(٤) تفسير القرطبي: ٢/٥٠
(٥) سورة البقرة: ١٠٢
(٦) سورة البقرة: ١٠٢
(٧) سورة البقرة: ١٠٢

وقد تعسَّف هذا الفريق في تأويل النص القرآني، فقالوا: في الآية تقديم وتأخير، والتقدير: وما كفر سليمان وما أنزل على الملكين، ولكنَّ الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت وما يعلمان. . .

والقول الأول هو الصحيح إن شاء الله لوجوه:

الأول: أنَّ أهل القول الثاني جعلوا هاروت وماروت بدلا من الشياطين، وقد تقرر في علم العربية أنه يجب أن يكون البدل على حد المبدل منه، والبدل هنا اثنان والمبدل منه جمع، وفي هذا خلل لا يخفى، وقد تكلَّف القرطبي في توجيه إعراب هاروت وماروت.

الثاني: أنّ التقديم والتأخير في النصّ القرآني على هذا النحو الذي يقارب الألغاز لا يناسب الأسلوب القرآني الذي بلغ القمة في الفصاحة والبلاغة. وقد عقَّب الشوكاني على هذا الوجه من التفسير قائلا: «وعندي أنه لا موجب لهذا الوجه من التعسف المخالف لما هو الظاهر». وقال الألوسي: «ولا ينبغي حمل كلام الله وهو في أعلى مراتب الفصاحة والبلاغة على ما هو أدنى من ذلك وما هو إلا مسخ لكتاب الله، وإهباط له عن شأواه، ومفاسد قلة البضاعة لا تحصى».

الثالث : كيف يكون هاروت وماروت شيطانين، ثم ينصحان من جاء يتعلم السحر، فيقولان له: (إنما نحن فتنة فلا تكفر) فما علمنا الشيطان إلا موسوسا بالشر، وما علمناه ناصحا بالخير محذرا من الشر.

إنَّ النصَّ القرآني صريح واضح في أنَّ الله أنزل السحر على الملكين ببابل فتنة واختبارا وابتلاء، ولله أن يختبر عباده بما شاء، وقد خلق الحقُّ ـ تبارك وتعالى ـ إبليس الذي هو أصل الشر، ونهى العباد عن متابعته وحذَّر منه، واختبر الحقُّ جيش طالوت بعدم الشرب من النهر.

ولعلَّ الحكمة من وراء هذا الاختبار تنبيه الناس في ذلك الزمان إلى أنَّ السحر ليس بالشيء العظيم الذي لا يناله إلا الخاصة وأصحاب العقول، كما كان كثير من الناس يظنّ، فقد أقام الله الملكين يعلمان الناس السحر ويقولان لهم: كلٌّ واحد يستطيع أن يكون ساحرا، ولكننا نحذركم من السحر، فإنَّ السحر كفر، يجلب غضب الله.

وقد أجاب العلامة ابن العربي عن الاشكالين اللذين قاما في نفوس الذين نفوا إنزال الله للسحر، وتعليم الملائكة له، فقال: «فإن قيل كيف أنزل الله تعالى الباطل والكفر؟

قلنا: كلٌّ خير أو شرّ أو طاعة أو معصية أو إيمان أو كفر منزل من عند الله تعالى، قال النبي ﷺ في الصحيح: «ماذا فتح الليلة من الخزائن؟ ماذا أنزل الله تعالى من الفتن!! أيقظوا صواحب الحجر، ربَّ كاسية في الدنيا عارية يوم القيامة.

فأخبر عليه السلام عن نزول الفتن على الخلق»[1].

فإن قيل: وكيف نزل الكفر على الملكين؟ وهم يفعلون ما يؤمرون، ويسبحون الليل والنهار لا يفترون، فأنى يصحُّ أن يتكلموا بالكفر ويعلّموه؟

والجواب أنَّ الملكين ليسا بعاصيين في حال تعليمهما الناس السحر، بل هما مطيعان الله، ذلك أنهما مكلفان بهذا من الله تعالى ابتلاءً واختبارا من الله لعباده.

يقول الألوسي: «وهذان الملكان أنزلا لتعليم السحر ابتلاء من الله تعالى للناس، فمن تعلّم وعمل به كفر، ومن تعلّم وتوقى عمله ثبت على الإيمان،

(١) أحكام القرآن: ١/٢٨.

ولله تعالى أن يمتحن عباده بما شاء كما امتحن قوم طالوت بالنهر»[1].

والفتنة: الابتلاء والاختبار، ومنه قولهم فتنت الذهب بالنار، إذا امتحنتها لتعرف جودتها من رداءتها.

ولا يجوز لأحد أن يتعلَّم السحر ويعلمه مدعيا أنه يقتدي بالملكين في ذلك، فإنَّ الله كلَّف الملكين بما يقومان به من التعليم، ونهى عباده عن تعلمه، وبهذا نكشف عن الزور الذي يقوم به بعض الدجالين من السحرة، الذين يوهمون الناس أنهم روحانيون مقتدون بهاروت وماروت حيث يقولون للناس الذين يعلمونهم الكتابة للمحبة والبغض: نوصيك بألا تكتب هذا لجلب امرأة متزوجة إلى حبِّ رجل غير زوجها؟ وألا تكتب لأحد الزوجين بأن يبغض الآخر؟ وبأن تخصَّ هذه الفوائد بالمصلحة كالحب بين الزوجين المتباغضين، والتفريق بين العاشقين الفاسقين، وإنما يقولون في هذا ليوهموا الناس أن علومهم إلهية، وأن صناعتهم روحانية، وأنهم صحيحو النية[2].

وقد ورد في قصة هاروت وماروت كثير من الأحاديث والآثار محصلها أن هاروت وماروت ملكان أهبطا إلى الأرض، وسبب ذلك أنَّ الله تعالى لما اطلع الملائكة على معاصي بني آدم عجبوا من معصيتهم له مع كثرة أنعمه عليهم، فقال الله تعالى لهم: اما انكم لو كنتم مكانهم لعملتم مثل أعمالهم.

فقالوا: سبحانك ما ينبغي لنا.

فأمرهم الله أن يختاروا ملكين ليهبطا إلى الأرض، فاختاروا هاروت وماروت، فأهبطا إلى الأرض، وأحلّ لهما كلَّ شيء، على أن لا يشركا بالله شيئا ولا يسرقا ولا يزنيا، ولا يشربا الخمر، ولا يقتلا النفس التي حرم الله إلا

(١) روح المعاني: ١/٣٤٠.
(٢) مختصر تفسير المنار: ١/٨٣.

بالحق، فعرضت لهما امرأة ـ وكانا يحكمان بين الناس ـ تخاصم زوجها، واسمها بالعربية الزهرة، وبالفارسية: فندرخت، فوقعت في أنفسهما، فطلباها، فامتنعت عليهما إلا أن يعبدا صنما، ويشربا الخمر، فشربا الخمر، وعبدا الصنم، وواقعاها، وقتلا سابلا مرَّ بهما خافا أن يشهر أمرهما، وعلماها الكلام الذي إذا تكلم به المتكلم عرج به إلى السماء، فتكلمت وعرجت، ثم نسيت ما إذا تكلمت به نزلت، فمسخت كوكبا.

قال كعب: فوالله ما أمسيا من يومهما الذي هبطا فيه حتى استكملا جميع ما نهيا عنه، فتعجب الملائكة من ذلك، ثم لم يقدر هاروت وماروت على الصعود إلى السماء، فكانا يعلمان السحر»[1].

وهذه القصة التي يذكرها المفسرون عند هذه الآية غير صحيحة، يقول القاضي عياض: «وإنَّ ما ذكره أهل الأخبار، ونقله المفسرون في قصة هاروت وماروت، وما روي عن علي وابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في تأويلها فاعلم ـ أكرمك الله ـ أنَّ هذه الأخبار لم يرو منها سقيم ولا صحيح عن رسول الله ﷺ، وليس هو شيئا يؤخذ بالقياس، والذي منه في القرآن اختلف المفسرون في معناه، وأنكر ما قال بعضهم فيه كثير من السلف، وهذه الأخبار من كتب اليهود وافترائهم، كما نصه الله تعالى أول الآيات»[2].

ولله در ابن كثير حيث قال بعد سياقه للأحاديث والآثار الواردة في قصة هاروت وماروت: «وحاصلها راجع في تفصيلها إلى أخبار بني اسرائيل، إذ ليس فيها حديث مرفوع صحيح متصل الإسناد إلى الصادق المصدوق المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى، وظاهر سياق القرآن إجمال القصة من غير بسط ولا

(١) تفسير الماوردي. ١/١٤٢.
(٢) انظر تعليق محقق زاد المسير: ١/١٢٥.

إطناب، فنحن نؤمن بما ورد في القرآن على ما أراده الله تعالى، والله أعلم بحقيقة الحال»(١).

وقال أيضاً: «وأما ما يذكره كثير من المفسرين في قصة هاروت وماروت من أنَّ الزهرة كانت امرأة فراوداها عن نفسها فأبت إلا أن يعلماها الاسم الأعظم فعلماها فقالته، فرفعت كوكبا إلى السماء، فهذا من وضع الإسرائيليين، وإن كان أخرجه كعب الأحبار، وتلقاه عنه طائفة من السلف، فذكروه على سبيل الحكاية والتحديث عن بني إسرائيل»(٢).

وقال القرطبي بعد سياقه لبعض الآثار والنصوص التي وردت في قصة هاروت وماروت: «هذا كلُّه ضعيف، وبعيد عن ابن عمر وغيره، لا يصحُّ منه شيء، فإنَّه قول تدفعه الأصول في الملائكة الذين هم أمناء الله على وحيه، وسفراؤه إلى رسله، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، ثم ذكر ما معناه أنَّ العقل يجوِّز وقوع ذلك منهم، لكن وقوع هذا الجائز لا يُدْرى إلا بالسمع ولم يصح»(٣). انتهى.

وهل كان وجود هاروت وماروت في عصر من العصور ثم انتهت مهمتهم، أو استمرَّ وجودهم على مرِّ العصور.

روى الطبري في تفسيره قصة عن عائشة تدلُّ على أنَّ وجودهم مستمر.

قال الطبري: «حدثنا الربيع بن سليمان، قال لنا ابن وهب: أخبرنا ابن أبي الزناد، قال: حدثني هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة زوج النبي ﷺ

---

(١) تفسير ابن كثير: ١/٢٤٨.
(٢) البداية والنهاية: ١/٣٧.
(٣) تفسير القرطبي: ٢/٥٢.

أنها قالت: «قدمت عليّ امرأة من أهل دومة الجندل، جاءت تبتغي رسول الله ﷺ بعد موته حداثة ذلك، تسأله عن شيء دخلت فيه من أمر السحر ولم تعمل به.

قالت عائشة لعروة: يا ابن أختي، فرأيتها تبكي حين لم تجد رسول الله ﷺ فيشفيها. كانت تبكي حتى إني لأرحمها، وتقول: إني لأخاف أن أكون قد هلكت. كان لي زوج فغاب عني، فدخلت عليّ عجوز، فشكوت ذلك إليها. فقالت: إن فعلت ما آمرك به، فأجعله يأتيك.

فلما كان الليل جاءتني بكلبين أسودين، فركبت أحدهما، وركبت الآخر، فلم يكن كشيء حتى وقفنا ببابل، فإذا برجلين معلقين بأرجلهما. فقالا: ما جاء بك؟ فقلت: أتعلم السحر. فقالا: إنما نحن فتنة فلا تكفري وارجعي. فأبيت، وقلت: لا. فقالا: اذهبي إلى ذلك التنور فبولي فيه، فذهبت ففزعت، فلم أفعل، فرجعت إليهما، فقالا: أفعلت؟ قلت نعم، فقالا: فهل رأيت شيئا، قلت: لم أر شيئا، فقالا لي: لم تفعلي، ارجعي إلى بلادك ولا تكفري، فأبيت، فقالا: اذهبي إلى ذلك التنور فبولي فيه، فذهبت، فاقشعررت وخفت، ثم رجعت إليهما فقلت: قد فعلت: فقالا: فما رأيت؟ فقلت: لم أر شيئا، فقالا: كذبت لم تفعلي، ارجعي إلى بلادك ولا تكفري. فإنك على رأس أمرك، فأبيت، فقالا: اذهبي إلى ذلك التنور فبولي فيه، فذهبت إليه فبلت فيه، فرأيت فارسا مقتنعا بحديد خرج مني، حتى ذهب في السماء، وغاب عني، حتى ما أراه، فجئتهما فقلت: قد فعلت، فقالا: ما رأيت؟ فقالت: فارسا متقنعا خرج مني فذهب في السماء حتى ما أراه، فقالا: صدقت، ذلك إيمانك خرج منك. اذهبي.

فقلت للمرأة: والله ما أعلم شيئا، وما قالا لي شيئا، فقالت: بلى. لن تريدي شيئا إلا كان، خذي هذا القمح، فابذري فبذرت، فقلت أطلعي فأطلعت، وقلت: أحقلي فأحقلت، ثم قلت: أفركي فأفركت، ثم قلت: أيبسي فأيبست، ثم قلت: اطحني فأطحنت، ثم قلت: اخبزي فأخبزت، فلما رأيت أني لا أريد شيئا إلا كان، سقط في يدي وندمت، والله يا أم المؤمنين، والله ما فعلت شيئا قط ولا أفعله أبدا»(١).

وهذه القصة غير صحيحة، ثم هي مخالفة للنصِّ القرآني، فالنصُّ يدلُّ صراحة على أنَّ هاروت وماروت يعلمان طالب السحر السحر، بعد أن يقولا له لا تكفر، وهذه القصة مصرحة بأنهما لم يعلّما هذه المرأة شيئا..

والأمر الثاني: أنَّ القرآن مصرح بموضوع التعليم وهو التفريق بين المرء وزوجه ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ﴾(٢)، والقصة تدلُّ دلالة واضحة أنَّ هذه المرأة لم تتعلم من هاروت وماروت ما دلت الآية على أنهم يعلمونه الساحر.

وعلى فرض صحة القصة إلى عائشة فمن أدرانا أنَّ هذه المرأة صادقة في دعواها، فقد يكون الذي رأتها معلقين شياطين أرادا إضلالها، وقد تكون كاذبة أصلا لم يقع لها شيء، وقد تكون من أعداء الإسلام أرادت أن تضلَّ بهذه القصة المسلمين، وكم أضلَّت هذه القصة من عقول، وأفسدت من قلوب، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

(١) تفسير الطبري: ١/٤٦٠.
(٢) سورة البقرة. ١٠٢.

قوله: ﴿ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾[1] يعني بحكمه وقضائه لا بأمره، لأنَّ الله تعالى لا يأمر بالفحشاء، ويقضي الخلق بها، قاله ابن العربي[2].

وهذه الآية مصرحة بأنَّ ما شاء الله كان، وما لم يشأ فإنه لا يكون، ولذلك فإنَّ الساحر لا يستطيع أن يؤثر بسحره إذا لم يشأ الله ذلك، وفي هذا توجيه لقلوب العباد كي تقصد معبودها وباريها دون غيره، فعليه التوكل، وهو المرتجى، ولا حول ولا قوة إلا به.

وقوله: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ ﴾[3] المعنى أنَّ اليهود قد علموا فيما عهد الله إليهم أنَّ الذين يستبدلون بكتاب الله السحر أنه ليس لهم في الآخرة (من خلاق) أي نصيب.

«والمراد بالشراء هنا الاستبدال، أي من استبدل ما تتلو الشياطين بكتاب الله»[4].

---

(١) سورة البقرة: ١٠٢.
(٢) أحكام القرآن: ٣١/١.
(٣) سورة البقرة: ١٠٢.
(٤) نيل المرام لصديق حسن خان. ص ٢٢.

الفصل الثالث عشر
أدعياء الغيب
المبحث الأول
تعريف الغيب وبيان سر ولع الناس بمعرفته

المطلب الأول: تعريف الغيب

الغيب في لغة العرب ما غاب عن العيون. وقال ابن الأعرابي: الغيب ما غاب عن العيون، وإن كان محصّلا في القلوب[1].

والحق أنّ الغيب ليس مقصورا على ما غاب عن العيون فحسب، بل ما غاب عن حواس الإنسان جميعها، وعلى ذلك فالغيب هو ما لا نعتمد في إدراكه على إحدى الحواس، فلا يدخل في دائرته استنباط النتائج من مقدماتها، ومعرفة الأسباب من أسبابها بطريق الاستدلال، وقياس ما غاب بما حضر، كعلمنا بشفاء المريض قبل حصوله إذا وجدنا العلاج ناجعاً، وكثرة ثمار الأرض إذا رأينا النبات ناميا، وسقوط أُمّةٍ إذا ألفينا أبناءها متفرقي القلوب منغمسين في اللهو والترف منصرفين عن الجدّ والعمل. كلُّ ذلك خارج عن دائرة علم الغيب أو التنبؤ بالغيب[2].

---

(١) لسان العرب. ١٠٣٣/٢ بصائر ذوي التمييز: ١٥٢/٤

(٢) التنبؤ بالغيب: ص ٥.

المطلب الثاني
ولع الإنسان بمعرفة الغيوب

وقد توصل الباحثون في تاريخ البشر ونفس الإنسان إلى أنَّ الإنسان له ولع شديد بمعرفة الغيب، وفي ذلك يقول العلامة ابن خلدون: «اعلم أنَّ من خواص النفوس البشرية التشوف إلى عواقب أمورهم، وعلم ما يحدث لهم من حياة وموت وخير وشر، سيما الحوادث العامة كمعرفة ما بقي من الدنيا، ومعرفة مُدَد الدول أو تفاوتها، والتطلع إلى هذا طبيعة البشر، مجبولون عليها، ولذلك نجد الكثير من الناس يتشوفون إلى الوقوف على ذلك في المنام»(١).

المطلب الثالث
الرسل والرسالات لبثّ الرغبة النفسية لدى البشر

وقد أشبعت الشرائع الإلهية والرسل المبعوثون من عند الله هذه النزعة البشرية في النفس الإنسانية، فحدثت الناس عن العوالم غير المنظورة التي سماها القرآن عالم الغيب، حدثهم ربهم عن نفسه وأسمائه وصفاته وأفعاله، كما حدثهم عن عالم الملائكة وعالم الجن، وحدثهم طويلا عن الموت وسكراته، والقبر وسؤاله وأهواله، والبعث والنشور والجنة والنار.

وأطلعهم على كثير من الحوادث التي ستقع فوق ظهر هذه الأرض، فموسى وعيسى بَشَّرا ببعثة نبينا محمد ﷺ: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾(٢).

---

(١) مقدمة ابن خلدون: ٥٨٧.

(٢) سورة الصف: ٦.

وأنذر كلُّ نبي أمته المسيح الدجال، ففي الحديث الذي يرويه البخاري عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: قام رسول الله ﷺ فأثنى على الله بما هو أهله، ثمَّ ذكر الدجال فقال: (إني أنذركموه، وما من نبي إلا أنذره قومه، ولكني سأقول لكم فيه قولا لم يقله نبي لقومه، إنه أعور، وإنَّ الله ليس بأعور) (١).

وفي الصحيحين عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: قال النبي ﷺ: (ما بعث نبي إلا أنذر أمته الأعور الكذاب، ألا إنه أعور، وإنَّ ربكم ليس بأعور، وإنَّ بين عينيه مكتوب كافر)(٢).

ومن نظر في الغيوب التي أخبرنا بها القرآن، وأخبرنا بها رسولنا ﷺ وجد كمًّا هائلا من الأخبار في هذا المجال، وقد جمعت قدرا صالحاً من هذه الأخبار في كتابي: «القيامة الصغرى».

ومن هذه الأخبار الصحيحة أنَّ الروم سيهزمون الفرس في بضع سنين، وتولي أبي بكر وعمر وعثمان وعلي الخلافة من بعد الرسول ﷺ، وإصلاح الحسن بن علي بن أبي طالب بين الفريقين المتقاتلين، واعتلاء بني أمية الحكم.

ومن هذه الأخبار أشراط الساعة، وهي: الدخان، وخروج الدجال، والنار التي تخرج آخر الزمان تحشر الناس إلى محشرهم، وخروج الدابة، وطلوع الشمس من مغربها(٣).

---

(١) صحيح البخاري: كتاب الفتن، باب ذكر الدجال. فتح الباري· (١٣/٩٠).
(٢) صحيح البخاري: كتاب الفتن، باب ذكر الدجال. فتح الباري: (١٣/٩١). صحيح مسلم: كتاب الفتن. باب ذكر الدجال وصفة ما معه. (٤/٢٢٤٨) ورقم الحديث: ٢٩٣٣.
(٣) راجع كتابنا: القيامة الصغرى.

وهذه الأخبار يجب الإيمان بها لأنها إخبار عن الله - تعالى - الذي أحاط بكلّ شيء علماً، وقد امتدح الله المؤمنين الذين يصدِّقون بالغيب الذي يخبر به، أو يخبر به رسوله ﷺ: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾[1].

طريقة حصول الرسل على الغيب

والطريق الذي يبلغ الله به رسله وأنبياءه أخبار الغيب والشرائع والأحكام هو الوحي ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّۦنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾[2].

وكان الرسول أو النبي يجد في نفسه ما يريد الله إبلاغه إياه من غير أن يسمع صوتا، وقد يكلمه الله من وراء حجاب، وقد يرسل إليه ملكا فيوحي إليه ما حمَّله الله إياه ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾[3].

وقد دلتنا النصوص المبينة كيفية وحي الملك إلى الرسول ﷺ أنَّ الملك كان يأتيه على ثلاثة أحوال:

الأول: أن يرى الرسول ﷺ جبريل على صورته التي خلقه الله عليها، فيوحي إليه بما أرسله الله به، ولم يحدث هذا للرسول إلا مرتين.

(١) سورة البقرة: ١ - ٣.
(٢) سورة النساء: ١٦٣.
(٣) سورة الشورى: ٥١.

الثاني: أن يأتيه الوحي في مثل صلصلة الجرس، فيذهب جبريل عن الرسول ﷺ، وقد فقه الرسول ﷺ عنه ما قاله، وقد كان الرسول ﷺ عندما يأتيه جبريل في هذه الحال يشرق وجهه ويثقل جسده وينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقا. ويسمع الحاضرون دويا كدوي النحل عند رأسه، ولا يتكلم الرسول ﷺ في حال الوحي شيئا، وعندما يذهب عنه الملك يكون قد فقه عنه كلَّ ما أوحى به إليه.

الثالث: أن يتمثل له الملك رجلا فيكلمه ويخاطبه، ويعي عنه ما يقول، وهذه أخف الأحوال على الرسول ﷺ(1).

المطلب الرابع
مدى قدرة الإنسان على معرفة الغيب بنفسه

ولم يقنع البشر بما أخبرتهم به الرسل والأنبياء من غيوب آتية، فذهبوا يستكشفون الغيب الآتي، وزعموا أنَّ بعض البشر لديه القدرة على معرفة الغيب، وقام في كلِّ عصر وفي كل مصر أقوام يزعمون أنَّ لديهم القدرة على معرفة الأحداث الآتية، والكائنات الغائبة.

وصَدَّق بعض الباحثين في هذا المجال بأنَّ بعض الناس لديهم قوة تمكنهم من رؤية الأشياء والحوادث غير المنظورة سواء في الزمان أو في المكان، وعللوا هذا بوجود خاصية في أرواحهم سموها بُعْد النظر الروحي(2).

وهذا الذي قالوه غير صحيح، وحسبنا أن نعلم أنَّ أفضل أفراد الجنس الإنساني وهم الأنبياء والرسل لا يملكون هذه الخاصة المزعومة، فقد أمر الله خيرة

---

(1) راجع في هذا المبحث كتابنا: الرسل والرسالات: ص ٥٩

(2) التنبؤ بالغيب. للدكتور أحمد الشتناوي: ص ١٢.

خلقه أن يعلن هذه الحقيقة للناس: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ﴾(١).

وما عرفه الرسل من الغيب فهو مما أطلعهم الله عليه لا بقدراتهم الذاتية ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ﴿٢٧﴾ لِّيَعۡلَمَ أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا﴾(٢).

وعلم الغيب مختص بالله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾(٣)، ومن الغيب الذي لم يطلع الله عليه أحدا حتى رسله وأنبيائه، تلك الأمور التي سماها الحقُّ بمفاتح الغيب ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾(٤).

ومفاتح الغيب هي المذكورة في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ﴾(٥).

---

(١) سورة الأعراف: ١٨٨.
(٢) سورة الجن. ٢٦ ـ ٢٨.
(٣) سورة النمل ٦٥
(٤) سورة الأنعام: ٥٩.
(٥) سورة لقمان: ٣٤.

المبحث الثاني

الكهانة والعرافة

المطلب الأول: الألقاب التي أطلقت على أدعياء الغيب

وأشهر الذين يدعون الغيب هم الكهان وقد تسمي العرب كلَّ من يدعي علم الغيب كاهنا.

وقد عَرَّف ابن حجر الهيثمي الكاهن بأنه «الذي يخبر عن بعض المضمرات، فيصيب بعضها ويخطىء أكثرها، ويزعم أنَّ الجن تخبره بذلك».

ونقل عن بعض العلماء أنَّ الكهانة «تعاطي الإخبار عن المغيبات في مستقبل الزمان، وادعاء علم الغيب وزعم أنَّ الجان هي التي تخبر بذلك»(١).

وقال ابن عابدين: «الكاهن من يدعي معرفة الغيب بأسباب، وهي مختلفة، فلذا انقسم إلى أنواع متعددة كالعراف والرمال والمنجم، وهو الذي يخبر عن المستقبل بطلوع النجم وغروبه، والذي يضرب بالحصى، والذي يدعي أنَّ له صاحبا من الجن يخبره عما سيكون»(٢).

وقال الشيخ محمد بن عبدالوهاب: «قال البغوي: العراف الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات يستدلُّ بها على المسروق ومكان الضالة ونحو ذلك، وقيل هو الكاهن، والكاهن هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل، وقيل الذي يخبر عما في الضمير.

---

(١) الزواجر: ٢/١٠٩.

(٢) حاشية ابن عابدين: ٤/٢٤٢.

وقال أبو العباس ابن تيمية: العراف اسم للكاهن والمنجم والرمال ونحوهم ممن يتكلم في معرفة الأمور بهذه الطرق»[1].

وقال الشارح الشيخ سليمان: «من يدعي علم شيء من المغيبات فهو إما داخل في اسم الكاهن، وإمّا مشارك له في المعنى فيلحق به، وإصابة المخبر ببعض الأمور الغائبة في بعض الأحيان يكون بالكشف، ومنه ماهو من الشياطين، ويكون بالفأل وزجر الطير والضرب بالحصى والخط بالأرض والكهانة والتنجيم، ونحو هذا من علوم الجاهلية... وكلُّ هذه الأمور يسمى صاحبها كاهنا وعرافا أو مافي معناهما فمن أتاهم فصدقهم بما يقولون لحقه الوعيد»[2].

المطلب الثاني
طرق الكهان في معرفة الغيب

استقصى الباحثون أحوال أدعياء الغيب فوجدوا أن ما يخبرون به إمّا أمر قد مضى وانقضى، أو هو أمر آت قادم. فإن كان المخبر به شيء قد وقع فإن معرفة هذا أمر ممكن مقدور، وليس من الغيب في شيء، وهؤلاء يكون لهم أعوان وجواسيس يخالطون الناس ويأتونهم بأخبارهم، ثم يكاشفون الناس بها فيظن من لا علم عنده أنهم يعرفون الغيب.

وبعض هؤلاء تعينه الجن في معرفة السارق وموضع السرقة، ويُعَرِّفونه بأن فلانا الغائب سيقدم عليه اليوم أو غدا، ونحو ذلك، والعلم بالواقع ونقل هذا العلم أمر ممكن سهل، وقد أصبح اليوم أمرا لا يتعجب منه بعد اختراع الهاتف والتلكس ونحوها من وسائل الاتصال في هذا العصر.

---

(١) تيسير العزيز الحميد: ص ٣٦٠.
(٢) تيسير العريز الحميد: ص ٣٦١.

وبعض الكهان يكونون من الذكاء والنباهة بحيث يجيبون إجابات محتملة عامة يمكن تفسير كل الاحتمالات في ضوئها، بحيث يبدو أنَّ الكاهن أخبر بالحقِّ مهما كانت النتيجة التي صار إليها الإنسان المستخبر، وأقرب مثال لهذا أنَّ رجلا استشار كذابا من هؤلاء الدجالين في ابنه المريض، فقال له: إنَّ ابنك سيستريح، فلما مات الولد قال له: ألم أقل لك إنه سيستريح من آلامه وأوجاعه، ولو كان شفي من مرضه لكانت تلك الإجابة مقنعة للسائل بصحة قول ذلك الدجال أيضا.

وبعض ما يصيب به الكهان يكون مستندا إلى ظنٍّ وتخمين وحدس، وهذا قد يجعل الله فيه لبعض الناس قوة مع كثرة الكذب فيه.

وبعض ما يصيبون فيه يكون مستندا إلى التجربة والعادة فيستدلُّ على الحادث بما وقع قبل ذلك.

ولكنَّ الأخبار التي يصيب فيها الكهان مما لا يستند إلى التجربة أو الظن والحدس من الأخبار الآتية فإنَّ مصدره الشياطين، والذين يستحقون اسم الكهانة هم هؤلاء الذين يوحي إليهم الشيطان.

المطلب الثالث
علاقة الكهان بالشيطان وطريقة وحي الشيطان إليهم

وأغلب الكهان عباد للشيطان يتلبس بهم، وينطق على لسانهم، والشياطين تألف هذه النفوس الخبيثة التي تدنست بالشر ورضيت به.

يقول الخطابي: «الكهنة قوم لهم أذهان حادة ونفوس شريرة وطباع نارية، فألفتهم الشياطين، لما بينهم من التناسب في هذه الأمور، ومساعدتهم بكلِّ ما

تصل قدرتهم إليه، وكانت الكهانة في الجاهلية فاشية في العرب لانقطاع النبوة فيهم»[1].

المطلب الرابع
نماذج من العرافة والكهانة

١ ـ كهان الإغريق والمصريين

ومن أشهر مراكز التنبؤ في العالم القديم مركز (دلفي) في بلاد الإغريق، وكان اليونان يقصدون هذا المركز لاستشارة الكهنة فيما ينوون القيام به من أعمال، وكانوا يعظمون هذا المعبد، ويغمرون مذابح المعبد بالهدايا والقرابين، وقد كان مركز (دلفي) يمتاز بالساحات الواسعة، ومحلى بالنوافير والمعابد الجميلة، وبه (أستاد) عظيم ومسرح فخم، وتماثيل مصنوعة من الرخام، وأخرى من البرونز أو الذهب، وأبدع رسومه أكبر الفنانين في عصره.

وأشهر كاهنات (دلفي) كانت تدعى (بيثا)، وكان من دأبها أن تلوك بين أسنانها بعض أوراق شجر الغار، وتستنشق الغازات التي كانت تنبعث من شقٍّ في الصخر أسفل الكرسي الذي كانت تجلس عليه، وتشرب من مياه نبع (كاسوتس) فتعتريها شبه غيبوبة وتهذي بكلام ينبيء عما سيقع من أحداث في مستقبل الأيام[2].

وأقدم من هذا المركز في اليونان مركز كهانة (دودونا) في جنوب مقدونيا، وكان هذا المركز يقوم وسط مرج من أشجار البلوط، وكان الاعتقاد عند أهل

---

(١) فتح الباري: ١/٢١٧.
(٢) التنبؤ بالغيب: ص ١٩.

ذلك العصر أنَّ حفيف تلك الأشجار يحمل في طياته إرادة الإله (زيوس) ومشيئته.

وكان الكهنة الدجالون يقومون بتفسير تلك الأصوات التي تنبعث من أوراق تلك الأشجار، ويعدونها الإجابة المنشودة عن الأسئلة التي كانت تنهال على الكهنة في ذلك المركز من قبل الوافدين إليهم من جميع أنحاء اليونان استنباء عما يخفيه القدر عنهم من أمور وأحداث[1]

ومن مراكز الكهانة الشهيرة في العالم مركز (آمنون رع) في مصر، ويرجع تاريخ هذا المعبد الشركي إلى القرن الخامس عشر قبل الميلاد، وكان الشيطان قد عشش في ذلك المركز وباض، وكان يظهر للناس في شكل طيف يمثل الإله يتحدث إلى الناس، ويسمع الأسئلة ويجيب عنها، ويقال إنَّ الإسكندر الأكبر عندما زار معبد (آمنون رع) في صحراء مصر خرج إليه ذلك الطيف وخاطبه قائلا: «إنني أعدك بأنك سوف تملك البلاد جميعا وتخضع لك جميع الأديان»[2].

وهؤلاء الكهان يزعمون أنهم يوحى إليهم، وهذا صحيح، ولكنه ليس بوحي رحماني بل وحي إبليسي شيطاني قال تعالى: ﴿شَيَـٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾[3] ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ﴾[4].

والشيطان عندما يوحي إلى هؤلاء الكهان - كما هو مشاهد من أحوالهم - فإنه يُغْشَى على الواحد منهم، ويذهب عقله، ويأخذ في الهذيان، ويتكلم في حال

(١) التنبؤ بالغيب: ص ١٩.
(٢) المصدر السابق: ص ٣٩.
(٣) سورة الأنعام: ١١٢.
(٤) سورة الأنعام: ١٢١.

غشيته، والمتكلم هو الشيطان، ينطق بلسان الكاهن، ويجيب عمّا يسأل عنه، وعندما يفيق هذا الكاهن لا يدري عما سئل عنه، وما أجاب به حال غشيته شيئا، وهذا كله مخالف لحال الرسل الذين تحدثنا عن كيفية وحي الله إليهم، وكيف يكون حالهم عند الوحي.

فالرسول لا ينطق حال الوحي، ويكون الوحي نماء في جسده بحيث يثقلْ جسده ويتفصد جبينه عرقا، وهذا بخلاف حال الكاهن الذي يصفر وجهه، ويضعف جسده، وتنحل قواه، ويتحدث في حال غيبوبته، ولا يدري عما تحدث به بعد أن يفيق من غيبوبته شيئا. يقول أحمد الشنتناوي عن الحال التي تصيب الكهان عندما يوحى إليهم: «وكان الرأي أنَّ هذا النوع من النبوءات يعدُّ ضربا من الهذيان يعتري الكهنة في تلك المراكز التنبئية، فتنطلق ألسنتهم بأقوال تنبىء عما سيحدث في قابل الأيام.

وقد فَسَّر سقراط هذا الهذيان، بأنه هبة خاصة من السماء، ومنبع من أعظم النعم بين البشر»[1].

وكذب سقراط، فإنَّ هذا الهذيان وحي الشيطان لا وحي الرحمن، وهو نقمة تغضب الرحمن، وليس نعمة من الله.

واشتهر ـ أيضاً ـ في البلاد المصرية معبد (هليوبوليس)، وكان الناس يفدون إليه في كلِّ بلد لاستشارة كهنته في أهم أمورهم. والمعروف أنَّ الامبراطور الروماني (تراجان) أرسل قبل أن يشترك في حرب (برثيا) وفدا إلى هذا المركز لاستشارة كهنته في مصير هذه الحرب.

---

(١) التنبؤ بالغيب: ص ١٨.

ويذكر التاريخ أنَّ الكهنة أجابوا إجابة صامتة، وذلك بأن أرسلوا إلى (تراجان) غصن كرم مكسور دون أي تعليق أو شرح.

وقد قتل هذا الامبراطور في هذه الحرب وحمل جثمانه إلى روما(١).

٢ ـ كهان العرب

كان الكهان منتشرين في الجزيرة العربية قبل الإسلام، وكانت لهم مكانة كبيرة عند العرب، وكان العرب يلجؤون إليهم لاستشارتهم في الأمور المعضلة، كما كانوا يستعلمون منهم عن أمور الغيب، والأحداث التي تقع في مقبل الزمان.

روى البخاري في صحيحه عن جابر بن عبدالله الأنصاري قال: «كان الطواغيت التي يتحاكمون إليها في جهينة واحد، وفي أسلم واحد، وفي كل حيّ واحد، كهان ينزل عليهم الشيطان»(٢).

وكانوا يتعاطون ـ بالإضافة إلى ما سبق ـ الطب ومداواة المرضى، وقد أثبت هذا العرب في شعرهم، وفي هذا يقول أحد شعرائهم:

فقلت لعراف اليمامة داوني ... فإنك إن داويتني لطبيب

وقال الآخر:

جعلت لعراف اليمامة حكمه ... وعراف نجد إن هما شفياني
فقالا شفاك الله والله ما لنا ... بما حملت منك الضلوع يدان

وعراف اليمامة هو رباح بن عجلة، وعراف نجد هو الأبلق الأسدي.

---

(١) التنبؤ بالغيب: ص ٣٩.
(٢) رواه البخاري في صحيحه تعليقا: انظر فتح الباري: ص ٨/٢٥١.

ولم تكن الكهانة والعرافة وقفا على الرجال عند العرب، بل مارستها النساء أيضا، وقد عرف من الكاهنات العربيات في الجاهلية ظريفة الخير كاهنة حمير، وسلمى الهمدانية، وفاطمة بنت مرٍّ الهمدانية، وعفراء حمير، وسجاح التي ادعت النبوة.

ومن أشهر كهان العرب في الجاهلية شقٌّ وسطيح، وخنافر بن التوأم الحميري، وسواد بن قارب الدوسي.

أخبـــار شـــق وســـطيح

سمي شقٌّ بهذا الاسم لأنه - كما يقولون - كان كشقٍّ إنسان، وأما سطيح فكان كالبضعة الملقاة على الأرض فكأنه سطح عليها.

وقال ابن عباس: «لم يكن شيء من بني آدم يشبه سطيحا، إنما كان لحما على وضم، ليس فيه عظم ولا عصب إلا في رأسه وعينيه وكفيه، وكان يُطْوَى كما يطوى الثوب من رجليه إلى عنقه، ولم يكن فيه شيء يتحرك إلا لسانه. وقال غيره: إنه كان إذا غضب انتفخ وجلس»[1].

واسم سطيح ربيع بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب بن عدي بن مازن غسّان.

وشقّ هو ابن صعب بن يشكر بن رهم بن أفرك بن قسر بن عبقر بن أنمار بن نزار، وأنمار أبو بجيلة وخثعم.

---

(١) البداية والنهاية: ٢٥١/٨.

ومن أخبار شقّ وسطيح أنَّ ربيعة بن نصر ملك اليمن رأى رؤيا هالته، وفظع[1] بها فلم يَدَعْ كاهنا، ولا ساحرا، ولا عائفا[2] ولا منجما من أهل مملكته إلا جمعه إليه، فقال لهم: إني قد رأيت رؤيا هالتني وفظعت بها، فأخبروني بها وبتأويلها، قالوا له: اقصصها علينا نخبرك بتأويلها. قال: إني إن أخبرتكم بها لم أطمئن إلى خبركم عن تأويلها، فإنه لا يعرف تأويلها إلا من عرفها قبل أن أخبره بها. فقال له رجل منهم: فإن كان الملك يريد هذا فليبعث إلى سطيح وشقّ، فإنه ليس أحد أعلم منهما، فهما يخبرانه بما سأل عنه.

فبعث إليهما، فقدم عليه سطيح قبل شق، فقال له: إني رأيت رؤيا هالتني وفظعت بها، فأخبرني بها، فإنك إن أصبتها أصبت تأويلها. قال: أفعل، رأيت حممه[3]، خرجت من ظلمه[4]، فوقعت بأرض تهمة[5]، فأكلت منها كل ذات[6] جمجمة.

فقال له الملك: ما أخطأت منها شيئا يا سطيح، فما عندك في تأويلها؟ فقال: أحلف بما بين الحرتين[7] من حنش، لتهبطن أرضكم الحبش[8]، فلتملكن ما بين أبين[9] إلى جرش[10]؟

---

(١) فظع بالأمر: كعلم إذا اشتدَّ عليه.
(٢) العائف: الذي يزجز الطير.
(٣) الحممة: الفحمة، وإنما أراد فحمه فيها نار.
(٤) من ظلمة: أي من ظلام، يعني من جهة البحر؛ يريد خروج عسكر الحبشة من أرض السودان
(٥) التهمة: الأرض المتصوبة نحو البحر.
(٦) قال «كل ذات» لأن القصد إلى النفس والنسمة، ويدحل فيه جميع ذوات الأرواح
(٧) الحرة: أرض فيها حجارة سود متشيطة
(٨) يقال إنهم بنو حبش بن كوش بن حام بن نوح، وبه سميت الحبشة.
(٩) أبين (بفتح أوله ويكسر).
(١٠) جرش (بالضم ثم الفتح وشين معجمة): من مخاليف اليمن من حهة مكة، وقيل: هي مدينة عظيمة باليمن، وولاية واسعة.

فقال له الملك: وأبيك يا سطيح، إن هذا لنا لغائظ مُوجِع، فمتى هو كائن؟ أفي زماني هذا، أم بعده؟ قال: لا، بل بعده بحين، أكثر من لستين أو سبعين، يمضين من السنين.

قال: أفيدوم ذلك من مُلكهم أم ينقطع؟ قال: لا، بل ينقطع لبضع وسبعين من السنين، ثم يقتلون ويخرجون منها هاربين.

قال: ومن يلي من ذلك من قتلهم وإخراجهم؟ قال: يليه إرم بن ذي يزن[1]، يخرج عليهم من عدن، فلا يترك أحدا منهم باليمن.

قال: أفيدوم ذلك من سلطانه، أم ينقطع؟ قال: لا، بل ينقطع، قال: ومن يقطعه؟ قال: نبي زكي، يأتيه الوحي من قبل العلي.

قال: وممن هذا النبي؟ قال: رجل من ولد غالب بن فهر بن مالك بن النضر، يكون الملك في قومه إلى آخر الدهر.

قال: وهل للدهر من آخر؟ قال: نعم، يومٌ يجمع فيه الأولون والآخرون، يسعد فيه المحسنون، ويشقى فيه المسيئون.

قال: أحقٌ ما تخبرني؟ قال: نعم، والشفق والغسق، والفلق إذا اتسق، إن ما أنبأتك به لحق.

ثم قدم عليه شقّ، فقال له كقوله لسطيح، وكتمه ما قاله سطيح، لينظر أيتفقان أم يختلفان، فقال: نعم، رأيت حممه، خرجت من ظلمه، فوقعت بين روضة وأكمه، فأكلت منها كلُّ ذات نسمة

---

(١) المعروف: سيف بن ذي يزن، ولكنه جعله إرما، إما لأن الإرم هو العلم فمدحه بذلك، وإما أن يكون أراد تشبيهه بعاد إرم في عظم الخلق والقوة.

قال: فلما قال له ذلك، وعرف أنهما قد اتفقا وأنَّ قولهما واحد إلا أنَّ سطيحا قال: «وقعت بأرض تهمه، فأكلت منها كلَّ ذات جمجمة». وقال شق: «وقعت بين روضة وأكمه، فأكلت منها كل ذات نسمه».

فقال له الملك: ما أخطأت يا شق منها شيئا، فما عندك في تأويلها؟ قال: أحلف بما بين الحرتين من إنسان، لينزلن أرضكم السودان، فليغلبن على كلِّ طفلة[1] البنان، وليملكن ما بين أبين إلى نجران.

فقال له الملك: وأبيك يا شقُّ، إنَّ هذا لنا لغائظ موجع، فمتى هو كائن؟ أفي زماني، أم بعده؟ قال: لا، بل بعده بزمان، ثم يستنقذكم منهم عظيم ذو شآن، ويذيقهم أشدَّ الهوان.

قال: ومن هذا العظيم الشأن؟ قال: غلام ليس بدني، ولا مدن[2]، يخرج عليهم من بيت ذي يزن، فلا يترك أحدا منهم باليمن

قال: أفيدوم سلطانه، أم ينقطع؟ قال: بل ينقطع برسول مرسل يأتي بالحقِّ والعدل، بين أهل الدين والفضل، يكون الملك في قومه إلى يوم الفصل.

قال: وما يوم الفصل؟ قال: يوم تجزى فيه الولاة، ويدعى فيه من السماء بدعوات، يسمع منها الأحياء والأموات، ويجمع فيه بين الناس للميقات، يكون فيه لمن اتقى الفوز والخيرات.

قال: أحقٌّ ما تقول؟ قال: إي ورب السماء والأرض، وما بينهما من رفع وخفض، إن ما أنبأتك به لحقّ ما فيه أمض[3].

---

(١) الطفلة: الناعمة الرخصة.

(٢) المدنى: «بصيغة اسم الفاعل» المقصر في الأمور أو الذي يتبع خسيسها. وفي ابن الأثير «مزن» من أزنته بكذا: أي اتهمته به.

(٣) ما فيه أمض: يعني شكًّا بلغة حمير.

فوقع في نفس ربيعة بن نصر ما قالا. فجهز بنيه وأهل بيته إلى العراق بما يصلحهم، وكتب لهم إلى ملك من ملوك فارس يقال له سابور بن خرزاذ، فأسكنهم الحيرة[1].

وينقل الحافظ ابن كثير في كتابه (البداية والنهاية) عن الحافظ أبي بكر محمد بن جعفر بن سهل الخرائطي في كتابه (هواتف الجان) بإسناده إلى مخزوم بن هاني المخزومي عن أبيه أنَّ إيوان كسرى ارتج، وسقطت منه أربع عشرة شرفة، وخمدت نار فارس، ولم تخمد قبل ذلك بألف عام، وغاصت بحيرة ساوة، ورأى الموبذان إبلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة، وانتشرت في بلادهم. فلما أصبح كسرى أفزعه ذلك، فتصبر عليه تشجعا، ثم رأى أن لا يستر ذلك عن مرازبته، فجمعهم، ولبس تاجه، وجلس على سريره، ثم بعث إليهم، فلما اجتمعوا عنده قال: أتدرون فيم بعثت إليكم؟ قالوا: لا إلا أن يخبرنا الملك.

فبينما هم كذلك إذ ورد عليهم كتاب خمود النيران، فازداد غما إلى غمه، ثمَّ أخبرهم بما رأى وما هاله، فقال الموبذان: وأنا ـ أصلح الله الملك ـ قد رأيت هذه الليلة رؤيا، ثم قص عليه رؤياه في الإبل. فقال أي شيء يكون هذا يا موبذان؟ قال: حدث يكون في ناحية العرب، وكان أعلمهم من أنفسهم.

وَتَذْكُر القصة أنَّ كسرى أرسل إلى النعمان بن المنذر فوجَّه إليه النعمان رجلا عليما اسمه عبدالمسيح، فلما قصَّ عليه كسرى ما رأى هو والموبذان، أشار باستخبار سطيح، فأرسله كسرى إليه، فأدركه الرسول وهو في حال الاحتضار، فاستعلمه عبدالمسيح عما جاء من أجله بأبيات من الشعر، فلما سمع سطيح شعره رفع رأسه يقول: عبدالمسيح، على جمل مشيح، أتى سطيح، وقد أوفى على

---

(١) السيرة لابن هشام: ١٥/١ ـ ١٨ وراجع في هذه القصة البداية والنهاية: ١٦٢/٢.

الضريح، بعثك ملك ساسان، لارتجاس الإيوان، وخمود النيران، ورؤيا الموبذان، رأى إبلا صعابا، تقود خيلا عرابا، قد قطعت دجلة، وانتشرت في بلاده.

يا عبدالمسيح، إذا كثرت التلاوة، وظهر صاحب الهراوة، وفاض وادي السماوة، وغاصت بحيرة ساوة، وخمدت نار فارس، فليس الشام لسطيح شاما. يملك منهم ملوك وملكات على عدد الشرفات، وكلما هو آت آت، ثم قضى سطيح مكانه[1].

ويذكر ابن كثير أيضا أنَّ سطيح قدم مكة فاستقبله جماعة من رؤساء أهلها وسألوه عما يكون في آخر الزمان، فقال لهم: خذوا مني ومن إلهام الله إياي: أنتم يا معشر العرب في زمان الهرم، سواء بصائركم وبصائر العجم، لا علم عندكم ولا فهم، وينشأ من عقبكم ذوو فهم، يطلبون أنواع العلم، فيكسرون الصنم، ويتبعون الروم، ويقتلون العجم، ويطلبون الغنم.

ثم قال: والباقي الأبد، والبالغ الأمد، ليخرجن من هذا البلد، نبي مهتد، يهدي إلى الرشد، يرفض يغوث والفند، يبرأ عن عبادة الضدد، يعبد ربا انفرد، ثم يتوفاه الله بخير دار محمودا، من الأرض مفقودا، وفي السماء مشهودا، ثم يلي أمره الصديق، إذا قضى صدق، وفي رد الحقوق لا خرق ولا نزق، ثم يلي أمره الحنيف، مجرب غطريف، قد أضاف المضيف، وأحكم التحنيف، ثمَّ ذكر عثمان ومقتله، وما يكون بعد ذلك من أيام بني أمية ثم بني العباس، وما بعد ذلك من الفتن والملاحم.

قال ابن كثير: ساقه ابن عساكر بسنده إلى ابن عباس بطوله[1].

---

(١) انظر القصة بتمامها في (البداية والنهاية): ٢/٢٦٨

المطلب الخامس
مصادر الغيب الذي توحي به الشياطين

الشياطين الذين يوحون بأخبار الغيب للكهان أكثرهم كاذبون فيما يوحون به، وفي ذلك يقول رب العزة ﴿هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم يلقون السمع وأكثرهم كاذبون﴾[1] ولذلك فإنَّ أخبار الكهان أكثرها كذب وافتراء، وكثير منها مخالف للحقيقة، وقد ظهر في كل عصر ومصر كذب هؤلاء الضالين المفترين الذين تنزل عليهم الشياطين.

ومن هذه المفتريات التي دونها التاريخ، وبقيت وصمة عار في جبين الكهان والمنجمين كذبهم في دعواهم أنَّ المعتصم لا يمكنه فتح مدينة عمورية قبل نضج التين والعنب، ونصح المنجمون المعتصم بعدم الخروج للحرب والقتال، ولكنَّ المعتصم لم يعبأ بأقوالهم وترهاتهم، وخرج متوكلا على رب العباد، وأكذب الله المنجمين، وأعزَّ المؤمنين، فقد فتح المسلمون تلك المدينة الحصينة، وكان الفتح استجابة لصرخة امرأة مسلمة أذلها الروم فصرخت: وامعتصماه.

وحضر الشاعر المبدع أبوتمام خليفة المسلمين في فتحه عمورية[2]، وخلَّد ذلك الفتح بقصيدة عصماء، عرض فيها لدجل المنجمين وكذبهم، ومما قاله في قصيدته:

السيف أصدق أنباءً من الكتب ... في حده الحد بين الجد واللعب
بيض الصفائح لا سود الصفائح ... في متونهن جلاء الشك والريب

---

(١) البداية والنهاية: ٢/٢٧٠

(٢) عمورية: بلدة حصينة في الأناضول (تركيا اليوم). فتحها المعتصم في سنة (٢٢٢ هـ) راجع ابن الأثير في حوادث هذه السنة.

والعلم في شهب الأرماح لامعة — بين الخميسين لا في السبعة الشهب[1]
أين الرواية بل أين النجوم وما — صاغوه من زخرف فيها ومن كذب
تخرصا وأحاديثا ملفقة — ليست بنبع إذا عدت ولا غرب[2]
عجائبا زعموا الأيام مجفلة — عنهن في صفر الأصفار أو رجب
وخوفوا الناس من دهياء مظلمة — إذا بدا الكوكب الغربي ذو الذنب[3]
وصيروا الأبراج العليا مرتبة — ما كان منقلبا أو غير منقلب
لو بينت قط أمرا قبل موقعه — لم يخف ما حلَّ بالأوثان والصلب
تسعون ألفا كآساد الشرى نضجت — أعمارهم قبل نضج التين والعنب
فتح الفتوح تعالى أن يحيط به — نظم من الشعر أو نثر من الخطب
فتح تفتح أبواب السماء له — وتبرز الأرض في أثوابها القشب
تدبير معتصم بالله منتقم — لله مرتقب في الله مرتغب

ويذكر المؤرخون أنَّ المنجمين زعموا عند بناء بغداد أنَّ طالعها يقضي أنَّ لا يموت فيها خليفة، وشاع ذلك حتى هنأ المنصور بذلك بعضُ شعرائه في قوله:

يهنيك منها بلدة تقضي لنا — أن الممات بها عليك حرام
لما قضت أحكام طالع وقتها — أن لا يرى فيها بموت إمام

وأكدَّ هذا القول في نفوس الناس موت المنصور بطريق مكة، وموت الخليفة المهدي بماسبذان، ثم الهادي بعساباذ، ثم الرشيد بطوس. ولكنَّ هذه

---

(١) الخميسان: الجيشان. والسبعة الشهب: هي الكواكب السبعة السيارة التي يعتمد عليها المنجمون.
(٢) النبع: شجر صلب تعمل منه السفن. والغرب: شجر هش. والمعنى أن أقوالهم ليست من الحقيقة في شيء.
(٣) الكوكب الغربي ذو الذنب: هو الكوكب المعروف بمذنب هالي، ويظهر في سمائنا كل ستة وسبعين عاما مرة. وآخر مرة ظهر فيها في عام (١٩٨٦م)

الفرية تهاوت، وبان كذبها عندما قتل بها المأمون الأمين بشارع باب الأنبار، وفي ذلك قال أحد شعراء ذلك الزمان:

كذب المنجم في مقالته التي ... نطقت به كذبا على بغدان
قتل الأمين بها لعمري يقتضي ... تكذيبهم في سائر الحسبان

وقد مات بعد ذلك في بغداد جماعة من الخلفاء مثل الواثق والمتوكل والمعتضد والمكتفي والناصر وغيرهم(١).

وزعم المنجمون أنَّ الدعوة لا تخرج في القاهرة عن الفاطميين إلى غيرهم وإن تداولتها الألسن العربية والعجمية، وهذا الزعم مبني على أنَّ نجوم طالعها كانت في غاية الاستقامة عند بنائها، وقد جمع القائد جوهر الصقلي المنجمين، وأمر كلَّ واحد منهم أن يحقق الرصد ويحكمه، وأمر البنائين ألا يضعوا الأساس حتى يقال لهم ضعوه، وأن يكونوا على هيئة من التيقظ والإسراع حتى يوافقوا طالع الكوكب القاهر الذي هو زحل أو المريخ، ووضعت الأساسات عندما أمر المنجمون بذلك.

وقد تأكد زعم المنجمين عندما رأى الناس أنَّ أسد الدين شيركوه ومن بعده ابن أخيه صلاح الدين الأيوبي أبقيا الدعوة للفاطميين بعد ملكهم لها، ولكن عندما صرف صلاح الدين الدعوة إلى بني العباس تبين للناس كذب المنجمين(٢).

ويذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أنَّ علي بن أبي طالب عندما أراد المسير لقتال الخوارج عرض له منجم فقال: يا أمير المؤمنين لا تسافر، فإنَّ القمر في العقرب، فإنك إن سافرت والقمر في العقرب هزم أصحابك. فقال علي: بل

---

(١) التنبؤ بالغيب: ص ٦٧
(٢) التنبؤ بالغيب: ص ٦٨

نسافر ثقة بالله، وتوكلا على الله، وتكذيبا لك. فسافر فبورك له في ذلك السفر حتى قتل عامة الخوارج، وكان ذلك من أعظم ما سر به، حيث كان قتالهم بأمر النبي ﷺ(١).

ومن الكذبات الكبرى ما تنبأ به (جوهان ستوفلر) في القرون الوسطى أنَّ العالم سيجتاحه طوفان مدمر كطوفان نوح، فسارع الناس إلى بناء السفن ليعتصموا بها عندما يحين وقت الفيضان(٢).

وتنبأ هؤلاء الدجالون في كثير من الأزمنة بنهاية العالم، وقد ذكر معظم المنجمين في وقتهم أنَّ هذه النهاية ستأتي في عام (٩٩٩م) وقد أثرت هذه الأكذوبة في أهل أوروبا، فخرج الحجاج منها متوجهين إلى بيت المقدس أرض المحشر، وكانوا لكثرتهم يشبهون الجيش العرمرم، ويذكر المؤرخون أنَّ أولئك الحجاج باعوا جميع ما يملكونه من حطام الدنيا قبل أن يغادروا أوروبا في طريقهم إلى بيت المقدس.

وأهمل الناس في ذلك الوقت تشييد المباني العامة وإصلاحها، إذ ما الداعي إلى ذلك ونهاية العالم أصبحت قاب قوسين أو أدنى، وكانت النتيجة أن أصاب التلف والدمار الكثير من هذه المنشآت العامة وتهدم أكثرها، ولم ينج من ذلك المصير المفجع الكنائس وبيوت العبادة.

لقد توجَّه إلى بيت المقدس الأمراء والفرسان ورجال الدين والعبيد يسيرون جميعا ومعهم أولادهم وأزواجهم ينشدون الأناشيد والترانيم وعيونهم متجهة إلى

---

(١) الفتاوى الكبرى لشيخ الإسلام: جـ١ مسألة رقم ٢٣١
(٢) التنبؤ بالغيب: ص ٨٣

السماء في خوف وتضرع ووجل يتوقعون في كل لحظة أن تنفرج السماء ويهبط منها المسيح(١).

وعندما ظهر كذبُ أدعياء الغيب لم يتوقف الناس عن تصديق مثل هذه الافتراءات، فلا يزال يظهر بين فترة وأخرى من يزعم أنَّ نهاية العالم ستحين في عام يحدده.

(١) التنبؤ بالغيب: ص ٨٤

المطلب السادس
انتشار التنجيم والكهانة في هذه الأيام(١)

مع بداية كل عام ... يُطِلُّ علينا المنجمون، والدجالون ومدعو قراءة الغيب، بسيل متضارب من تنبؤاتهم وتوقعاتهم عما سيحدث في العالم خلال عام سيأتي ... ويَدَّعون بأنَّ هناك حربا ستنشب بين بلد كذا وبلد كذا .. وأن الفنانة «الفلانية» سَتُطَلَّق، والمنطقة «الفلانية» ستشهد قلاقل.

ويمضي الكثيرون منهم في دجلهم ويحددون مستقبل الأبراج .. فأصحاب برج الجدي حظهم سعيد .. أما أصحاب برج الجوزاء تعيس .. وهناك أيام نحس، وأيام سعادة، إلى غير ذلك من سيل الأوهام.

ففي أوروبا مثلا ..، وبجانب استقبال بلدانها للسياح العرب بغرض العلاج، أو العمل والاستشفاء، هناك وظيفة أخرى ظهرت حديثا ... واستطاع «النصابون» الخواجات استثمارها في جذب الدولارات الموجودة في جيب السائح العربي .. حيث أصبح من الطبيعي جدا أن تجد الكثير من المكاتب التي تدعي تخصصها في قراءة المستقبل من خلال الكف أو النجوم أو أوراق اللعب أو حتى الفنجان.

وأعلن في أوروبا أيضاً عن استعانة الرئيس الأمريكي (ريجان) وزوجته (نانسي) بالمنجمة «جوان كويجلي» في تحديد جدول الأعمال.. واتخاذ بعض القرارات، مما كان له تأثير كبير في ازدياد شعبية المنجمين بوجه عام .. وكيف لا، ورئيس أكبر دولة في العالم المتحضر.. يلجأ إلى الاستعانة بالمنجمين!

---

(١) هذا الموضوع مأخوذ من مقال قيم نشرته جريدة المسلمون في عددها (٢٠٥) ٢٨ جمادى الأولى ١٤٠٩هـ ٦ يناير ١٩٨٩م.

لقد استغلَّ الكثيرون منهم هذه الفرصة، وعلّقوا صورة (ريجان ونانسي)، والعرافة على واجهات محلاتهم، والأكثر من ذلك أنَّ كتاب «رونالد ريجان» (من وول ستريت إلى البيت الأبيض).. لم يكشف لجوء ريجان ونانسي وحدهما للمنجمين.. ولكن كشف النقاب أيضا عن لجوء الكثير من رؤساء الدول ـ الحاليين والسابقين ـ إلى الاستعانة بالعرافين.

لقد اتضح أنَّ (ريجان) ليس الوحيد الذي لجأت زوجته إلى استشارة العرافين بمستقبل تحركاته بعد تعرضه لمحاولة الاغتيال الشهيرة على يد الشاب المهووس، فقد تبين أنَّ راجيف غاندي فعل ذلك عندما يئس من موجة الجفاف الشديد التي حلت ببلاده .. كما استشار السياسيون في تايوان العارفين بالنجوم لتحديد أفضل الأيام لدفن الرئيس الراحل «شيانج شنج كو».

والمعروف ـ أيضا ـ أنَّ الرئيس الأندونيسي «سوهارتو» كان يجتمع بانتظام بالروحانيين والمشعوذين .. بل إنَّ أحدهم كان يقيم بصفة شبه مستمرة في قصر الرئاسة.

كما أنه من المعروف أنَّ أنديرا غاندي كانت تستشير النجوم، وكذلك رئيس الوزراء السابق للهند موراجي ديساي.

وحديثا عرف عن الرئيس الفرنسي الأسبق جيسكار ديستان أنه استشار قارىء طالع في انتخابات الرئاسة عام ١٩٨١م.

ولأنَّ «الخواجات» تعلموا أن يبيعوا الوهم ما دام هناك مشتر سيدفع وبالعملة الصعبة، فقد ركب البعض الموجة وصمم منجما خاصا الكترونيا .. وهذا العراف (الالكتروني) ـ الظريف ـ يحدد الزواج السعيد والفاشل ..، ويختار لك الزوجة المناسبة، وهو في حجم الآلة الحاسبة، وتقوم فكرته على وجود دورة

(بيولوجية)، ودورة نفسية، وأخرى عصبية تبدأ بمولد الإنسان .. فإذا أدخلت تاريخ ميلادك يقوم «العراف الألكتروني» بحساب ثلاث دورات لك احداها كل ٩٠ يوما، والأخرى كل شهر، والأخيرة متغيرة .. ويحدد لك بناء على ذلك أيام التكامل العصبي، والاستقرار الذهني.. بحيث تستطيع اتخاذ القرارات الهامة وأمورا أخرى كثيرة يحددها لك «الدجال الألكتروني» !

وفي فرنسا تكونت رابطة تجمع أبناء مهنة التنجيم والمهن الأخرى المرتبطة بها، ويدعي أعضاء هذه الرابطة أنَّ التنجيم علم للتفسير أكثر من كونه علما للتنبؤ.. وأنهم يستطيعون معرفة الماضي بتذبذبات الجسم والأمر طبعا لا يقتصر على الدول المتقدمة ..، فالدول العربية تعرف هي الأخرى المنجمين..، فدولة مثل المغرب بها ما لا يقل عن ١٦ ألف قارئة كف !

وبيوت السحرة والمشعوذين ومحلاتهم تتمركز في الأحياء الفقيرة من القرى والمدن المغربية..، كذلك الأمر في مصر..، فلا تكاد تخلو قرية أو مدينة من قارىء كف .. أو مدعي معرفة الغيب، الذي يستطيع «فتح المندل» وإحضار التائهة !

ويدعي المنجمون أنَّ هناك علاقة تربط بين الأجسام السماوية، والأجسام البشرية . وأن هذه العلاقة إذا فسرناها نستطيع معرفة حاضر الإنسان ومستقبله.. بل وماضيه ! فوضع الشمس والقمر والكواكب ساعة ميلاد الشخص يكون له علاقة واضحة بشخصيته وحياته، والمنجم يقوم بعمل تنبؤاته ودجله عن طريق عمل خرائط الأبراج .. التي يتحدد فيها أماكن النجوم والكواكب وتواريخ ميلاد كل واحد من البشر وهي مقسمة إلى ١٢ برجا، وكل برج له تاريخه وله علامته المميزة.

ومن آخر الهراءات والادعاءات التي تدلُّ على جهل المنجمين وأنَّ ما يصدر عنهم ما هو إلا خزعبلات .. تلك التنبؤات التي أعلنها هؤلاء الدجالون .. للعام الذي انتهى، (عام١٩٨٨) فماذا قالوا؟

جاء على صدر تنبؤاتهم - كما هي العادة في الأعوام الأخيرة - أن عام ٨٨ سيشهد لا محالة طلاق الأميرة ديانا، والكونتيسة «صوفيا»، وادعت منجمة أخرى تدعى «باربرا» أنَّ الأميرة ديانا ستصاب في حادث سيارة، وسوف تجري لها جراحة تجميل، وبالطبع لم يحدث شيء من هذا.

كما توقع منجم مجلة «جلوب» أنَّ الأميرة كارولين سترزق بأربعة توائم، وتنبأ دجال آخر بفضيحة في إمارة موناكو، ولم نسمع عن شيء حدث من هذا الدجل.

وأكدت دجالة تَدَّعي قراءة الغيب أنَّ الرئيس فيدل كاسترو سينجو من الموت بأعجوبة. الطريف أنها تنبأت بأنَّ الزعيم السوفييتي جورباتشوف سوف يهجر زوجته «ريسا»، وينجذب إلى مضيفة شقراء عمرها ١٩ سنة، وكلُّ هذا لم يحدث.

وقد أضافت العرافة نفسها أنَّ جاكسون وديانا روس سينجوان من حريق هائل في نيويورك، و«شطحت» عرافة تدعى جين ديكسون بتنبؤاتها وادعت أنَّ العقد الثامن سيشهد دمار البشرية، وإعادة بنائها بصورة أكثر روحية، وأنَّ شخصا من الشرق الأوسط سوف يحدث ثورة في العالم!

ليس هذا فحسب، بل ادعى أحد المنجمين أنَّ دولة غنية بالبترول في الشرق الأوسط ستعلن الحرب على الصين في شهر مارس، ولا أعلم لماذا خمن المنجم هذا الكلام، كما أنه قال بوجود مرض جلدي غامض في كلِّ أنحاء

العالم، وكعادة المنجمين دائما يقدمون في تنبؤاتهم أشياء أشبه بالنكات، فقد قال أحد المنجمين: إن انتخابات الرئاسة الأمريكية ستشهد انسحاب سياسي لامع بعد نشر إحدى المجلات لصورة له وهو يرتدي زي النساء، وبالطبع لم يحدث أيضا شيء من هذا الدجل!

ولو عدنا قليلا إلى الوراء إلى عام ١٩٨٣ م، نجد أنَّ أكثر من منجم ـ حسبما قالت لهم حساباتهم الفلكية الدقيقة التي لا تخطىء ـ تنبأوا بأنَّ ملكة بريطانيا سوف تتنازل عن العرش لابنها ولي العهد الأمير تشارلز، كما أنَّ الرئيس الفرنسي فرانسوا ميتران سيضطر لترك السلطة لمرضه! كما أنَّ الاتحاد السوفيتي سيغزو إيران.

فهل تحقق شيء من هذا؟

كما تنبأت الإيطالية الفلكية «رافيلا جيرادو» بمحاولة اغتيال لراجيف غاندي، وأطفاله الثلاثة.

أما أغرب التنبؤات التي ساقها لنا المنجمون فهي أنَّ نهاية العام ستكون بحلول عام ١٩٨٦ الذي مضى عليه الآن سنتان. قالوا في نبوءتهم الكاذبة أنَّ الأرض ستميل من محورها فجأة، فتختفي قارات بأكملها وتحرق البراكين الأرض بمن عليها، بسبب ظهور المذنب هالي الذي يظهر كل ٧٦ سنة مرة، وهو مذنب خطير على سكان الأرض، والحمدلله مرت سنة ٨٦ وتلتها ٨٧ ثم ٨٨ ولم يحدث شيء من هذه المخاوف والخزعبلات!

ويبدو أنَّ المنجمين يتنبأون بأشياء تتفق وطبيعة التوجهات السياسية، فقد ذكر المنجمون الأمريكيون أن عام ١٩٨٧ سيشهد ـ لا محالة ـ إنهيار حكومتي كوبا ونيكاراجوا، بعد وفاة كاسترو، وأنَّ أطلال القارة المفقودة «اطلنتس» في شمال

الأطلسي ستظهر بعد زلزال عنيف، ليس هذا بل إن القمر سيصطدم بنيزك ضخم، يصبح بعدها حجمه نصف هذا الحجم! وأنَّ عام ١٩٨٧ سيشهد خروج إنسان من «التبت» لنجدة الجنس البشري، فهل حدث أي شيء من هذا الدجل؟

استغلال الساسة للمنجمين والكهان

كان السياسيون ولا يزالون يستغلون المنجمين والكهان لتنفيذ مخططاتهم، وتحقيق أهدافهم. ولذلك فإنَّ كثيرا من هؤلاء المنجمين يُشْتَرَوْنَ من رجال الحكم في بعض الدول، ويطلبون من المنجمين أن يؤثروا على من يؤمن بهم ويصدق بنبوأتهم من الزعماء وأتباعهم، وكثيرا ما يكون لنبوءات السحرة التي صنعها الساسة المحنكون الأثر الكبير في تدمير الشعوب، وهزيمة الجيوش، وتضليل الناس حتى لا يعرفوا الحقائق.

وقد جاء في خبر بثته (كونا) من لندن، ونشرته جريدة القبس بتاريخ ٨٨/٥/٢٣ أنَّ الرئيس الأمريكي (رونالد ريجان) لم يكن الوحيد الذي استخدم نصائح المنجمين في شؤون الدولة.

وقال عميل سابق لوكالة المخابرات المركزية الأميركية في رسالة إلى صحيفة «التايمز» أنَّ الوكالة حاولت التأثير على زعماء العالم الثالث بتنبؤات مزيفة.

وكتب (مايلز كوبلاند) الذي أشرف على قسم العمليات العالمية أنَّ رئيس جمهورية غانا (كوامي نكروما) ورئيس جمهورية أندونيسيا أحمد سوكارنو والزعيم الألباني محمد شيحو أمكن التأثير عليهم بنجاح من خلال خرائط للنجوم أعطتها لهم وكالة المخابرات المركزية الأميركية.

وقال (كوبلاند) وفي الحقيقة أمكن إقناع (نكروما) بزيارة الصين حتى يكون بعيدا عن الساحة عندما يقوم الجنرال (انكراه) بانقلابه والامساك بزمام السلطة.

وقد أصدر مدير المخابرات المركزية الأميركية في ذلك الوقت (جون فوستر دالاس) أمرا بإغلاق ذلك القسم عندما علم أنّ خرائط مماثلة كانت في طريقها إلى موظفي الرئيس في البيت الأبيض.

وفي رسالة أخرى إلى صحيفة التايمز قال خبير الدعاية البريطاني (سير بيتر تينانت) أنه استخدم عمل المنجمين لكي يدمر القوات الألمانية في النرويج والدانمرك خلال الحرب العالمية الثانية.

وقد تضمنت نشرات «اسأل النجوم» التي وزعها عملاء بريطانيون تعليمات عن أمراض مزورة مثل التيفوئيد والدوزنتاريا لتوقف الجنود الألمان عن الخدمة في الجبهة الروسية.

المطلب السابع
السر في صدق الكهان في بعض الأحيان

قد يقال نحن معكم في أنّ أكثر أخبار الكهنة والمنجمين والعرافين كذب وافتراء، ولكننا سمعنا ورأينا بعض أخبارهم وقعت وصدقت فمن ذلك أن منجما يُدعى (تيخو) تنبأ في عام (١٥٦٣) بالطاعون الكبير الذي اجتاح أوروبا عام (١٦٦٥م)[١].

(١) التنبؤ بالغيب: ص ٧٨

وتنبأ منجم يدعى (جون دي) بموت (جوستاف أدولف) في العام الذي توفي فيه[١].

وتنبأ (ليللي) بالطاعون وبالحريق الذي اجتاح لندن عام (١٦٦٦) قبل وقوعهما بعدة سنوات[٢].

وتنبأ (نسترادادموس) وهو من أشهر المتنبئين في القارة الأوروبية بنبوءات كثيرة، ولا يزال كتابه (القرون) يرجع إليه في معرفة بعض النبوءات والأحداث التي تقع في هذا العالم.

وقد كشف لنا القرآن الكريم كما كشفت السنة النبوية عن السر في صدق هؤلاء المتنبئين في بعض الأحيان.

فالنصوص تخبرنا بأنَّ الشياطين لديهم القدرة على استراق أخبار السماء التي تتحدث عما سيقع في هذا الكون قبل حدوثه، وكان هذا كثيرا قبل البعثة النبوية، فلما بعث الرسول ﷺ حرست السماء، وقلت قدرة الشياطين على استراق السمع، وقد حدثنا ربنا عن الجن أنهم قالوا: ﴿ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْآنَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴾[٣] وقال: ﴿ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴾[٤] وقال ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴾[٥].

---

(١) التنبؤ بالغيب: ص ٧٨
(٢) التنبؤ بالغيب: ص ٨٢
(٣) سورة الجن. ٩
(٤) سورة الحجر: ١٨
(٥) سورة الملك: ٥

وقد جاءت النصوص الحديثية موضحة وشارحة للنصوص القرآنية، ففي صحيح البخاري[1] عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: «إن نبي الله ﷺ قال: إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا[2] لقوله كأنه سلسلة على صفوان[3]، فإذا فزع عن قلوبهم[4]، قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا - للذي قال -: الحق، وهو العلي الكبير، فيسمعها مسترق السمع، ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض، ووصف سفيان بكفه فَحَرَّفها[5] وبدد بين أصابعه، فيسمع الكلمة، فيلقيها إلى من تحته، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته، حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن، فربما أدرك الشهاب[6] قبل أن يلقيها، وربما ألقاها قبل أن يدركه، فيكذب معها مائة كذبة، فيقال: أليس قال لنا يوم كذا كذا وكذا، فيصدق بتلك الكلمة التي سمع من السماء».

وفي صحيح مسلم عن ابن عباس قال: أخبرني رجل من أصحاب النبي ﷺ من الأنصار أنهم بينما هم جلوس ليلة مع رسول الله ﷺ رمي بنجم فاستنار. فقال لهم رسول الله ﷺ: (ماذا كنتم تقولون في الجاهلية إذا رمي بمثل هذا؟).

قالوا: الله ورسوله أعلم. كنا نقول: ولد الليلة رجل عظيم. ومات الليلة رجل عظيم. فقال رسول الله ﷺ: (فإنه لا يرمى بها لموت أحد ولا لحياته،

---

(١) رواه البخاري في كتاب التفسير، تفسير سورة سبأ باب (حتى إذا فزع عن قلوبهم). فتح الباري: ٥٣٧/٨ ورواه الترمذي في سننه في كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة سبأ: (٣٦١/٥) ورقم الحديث: (٣٢٢٢). وقال فيه الترمذي: حديث حسن صحيح. واللفظ الذي سقناه للبخاري.

(٢) خضعانا: الخاضع: المطيع المنقاد الذليل، وخضعانا جمعه.

(٣) الصفوان: الحجر الأملس.

(٤) فزع عن قلوبهم: أي كشف عنها.

(٥) فحرفها: أي أمالها عن جهتها المستقيمة.

(٦) الشهاب: الشعلة من النار، وأراد به الذي ينقض في الليل شبه الكوكب.

ولكن ربنا ـ تبارك وتعالى اسمه ـ إذا قضى أمرا سبَّح حملة العرش، ثمَّ سبح أهل السماء الذين يلونهم، حتى يبلغ التسبيح أهل هذه السماء الدنيا. ثم قال الذين يلون حملة العرش لحملة العرش: ماذا قال ربكم؟ فيخبرونهم ماذا قال. قال: فيستخبر بعض أهل السموات بعضا، حتى يبلغ الخبر هذه السماء الدنيا، فتخطف الجن السمع، فيقذفون إلى أوليائهم، ويرمون به، فما جاؤوا به على وجهه فهو حقّ، ولكنهم يفرقون فيه ويزيدون)[1].

وروى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: «سئل رسول الله ﷺ عن الكهان فقال: (ليسوا بشيء).

قالوا: يا رسول الله، إنهم يحدثوننا أحيانا بالشيء فيكون حقًّا؟

فقال رسول الله ﷺ: (تلك الكلمة من الحقِّ يخطفها[2] الجني، فيقذفها[3] في أذن وليه فيخلطون معها مائة كذبة).

زاد في رواية: (فيقرقرها في أذن وليه كقرقرة[4] الدجاجة).

وفي رواية: (فيقرها في أذن وليه قرّ الدجاجة).

وللبخاري في رواية قال: (الملائكة تحدّث في العنان ـ والعنان الغمام ـ بالأمر يكون في السماء، فتسمع الشياطين الكلمة، فتقرها في أذن الكاهن كما تُقَرُّ القارورة، فيزيدون معها مائة كذبة)[5].

---

(١) صحيح مسلم: ٤/١٧٥٠. ورقمه: ٢٢٢٩. ورواه الترمذي في سننه: ٥/٣٦٢. وقال فيه: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) يخطفها: أي يسلبها بسرعة.

(٣) يقذفها: يلقيها إليه.

(٤) القرقرة: ترديد الكلام في أذن الأصم حتى يفهم، ومن رواه كقَرِّ الدجاجة أراد صوتها إذا قطعته، يقال: قرت الدجاجة تقر قرارا وقريرا إذا قطعت صوتها، فإن رددته قيل: قرقرت قرقرة.

(٥) جامع الأصول لابن الأثير: ٥/٦٣.

قد يقال هذا كان قبل البعثة أما بعد البعثة النبوية فقد مُنِعَتْ الشياطين من استراق السمع، والجواب: أنَّ الشياطين لم تمنع منعا باتاً، ولكنَّ السماء زيد في حراستها، فقلَّ استراقهم للسمع.

يقول ابن حجر[1]: «كان إصابة الكهان قبل الإسلام كثيرة جدًا، فلما جاء الإسلام ونزل القرآن حرست السماء من الشياطين، وأرسلت الشهب، فبقي من استراقهم ما يخطفه الأعلى فيلقيه إلى الأسفل قبل أن يصيبه الشهاب، وإلى ذلك الإشارة بقوله: ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾[2].

---

(١) فتح الباري: ٢١٧/١٠.

(٢) سورة الصافات: ١٠.

المبحث الثالث
التطير والتشاؤم

المطلب الأول
تعريف التطير والتشاؤم

التطير هو التشاؤم، واشتقاقها من الطير، وكانت العرب تتطير من الغراب والأخيل ونحوهما من الطير وتتشاءم به، وترى أنَّ ذلك مانع من الخير، وكان الواحد من أهل الجاهلية إذا خرج لأمر، فإن رأى الطير طار يمنة تيمن به واستمرَّ، وإن رآه طار يسرة تشاءم به ورجع، وربما كان أحدهم يهيج الطير فيعتمدها، وكانوا يسمون الطائر أو الحيوان الذي يأخذ ذات اليمين إذا أَثَرْتَه بالسانح، ويستبشرون به، ويعدونه من اليمن، ويجعلونه دليلا على أن سفرهم ناجح وحاجتهم مقضية.

ويسمون الذي يأخذ ذات الشمال بالبارح ويتشاءمون منه، وقد يرجع الواحد منهم عن المضي في السفر، أو يتوقف عما شرع فيه من عمل إذا رأى مثل ذلك.

وذكر البيهقي في شعب الإيمان ما ملخصه: «كان التطير في الجاهلية في العرب إزعاج الطير عند إرادة الخروج للحاجة. وهكذا كانوا يتطيرون بصوت الغراب، وبمرور الظباء، فسموا الكلَّ تطيرا، لأنَّ أصله الأول.

قال: وكان التشاؤم في العجم، إذا رأى الصبي ذاهبا إلى المعلم تشاءم، أو راجعا تيمن، وكذا إذا رأى الجمل موقرا حملا تشاءم، فإن رآه واضعا حمله

تيمن، ونحو ذلك، فجاء الشرع برفع ذلك كله»[1].

والتطير كان قديما في الأمم، فقد أخبرنا الله أنَّ فرعون وقومه تطيروا بموسى ومن معه ﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ﴾[2]. وتشاءم قوم صالح بصالح ﴿قَالُواْ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ﴾[3] وتشاءم أهل القرية برسلهم ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾[4].

وكان الرد عليهم جميعا أنَّ الشر ما جاءهم إلا من قبل أنفسهم بكفرهم وعنادهم وإهمالهم سنن الله في الحياة ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾[5]، ﴿طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ﴾[6].

وللأمم في التشاؤم من الأيام أو الساعات أو الأعداد شيء كثير وعجيب، فالرافضة كما يذكر ابن تيمية «يكرهون التكلم بلفظ العشرة، أو فعل شيء يكون عشرة، حتى في البناء لا يبنون على عشرة أعمدة، ولا بعشرة جذوع ونحو ذلك، لكونهم يبغضون خيار الصحابة، وهم العشرة المشهود لهم بالجنّة»[7].

وكثير من الناس في الغرب يتشاءمون برقم ثلاثة عشر، ولذلك حذفته بعض شركات الطيران في ترقيم المقاعد.

وكثير من أهل بلادنا يتشاءمون بنعيق البوم والغراب.

---

(١) راجع: جامع الأصول: ٦٢٨/٧. وشرح النووي على مسلم: ٢١٨/٤. وفتح الباري: ٢١٣/١٠.
(٢) سورة الأعراف: ١٣١.
(٣) سورة النمل: ٤٧.
(٤) سورة ياسين: ١٨.
(٥) سورة الأعراف: ١٣٠.
(٦) سورة يس: ١٩.
(٧) منهاج السنة: ١٠/١.

المطلب الثاني
خطورة التطير

عدّ الرسول ﷺ الطيرة من الجبت، والجبت هو السحر، ففي الحديث الذي أخرجه أبو داود عن قطن بن قبيصة عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (العيافةُ والطيرة والطرق من الجبت)[1]، والجبت السحر، فسره بذلك عمر بن الخطاب، ورواه عنه البخاري تعليقا[2].

وقد حذَّر الإسلام من الطيرة ونهى عنها، ففي سنن أبي داود وسنن الترمذي عن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله: (الطيرة شرك، الطيرة شرك، الطيرة شرك، وما منا إلا، ولكن يذهبه الله بالتوكل)[3]. وقوله: (وما منا) في هذا الكلام محذوف تقديره: وما منا إلا ويعتريه التطير، ويسبق إلى قلبه الكراهة له، فحذف ذلك اختصارا واعتمادا على فهم السامع، وقد جاء في كتاب الترمذي أنَّ هذا الكلام من كلام ابن مسعود، وليس من الحديث»[4].

وفي قوله (وما منا إلا، ولكن الله يذهبه بالتوكل) إشارة إلى أنَّ من وقع له ذلك فسلَّم لله، ولم يعبأ بالطيرة أنه لا يؤاخذ بما عرض له من ذلك.

وإنما جعل التطير شركا لاعتقادهم أنَّ ذلك يجلب نفعا أو يدفع ضررا، فكأنهم أشركوه مع الله تعالى، وهذا الاعتقاد منافٍ لما قرره الحق ـ تبارك وتعالى ـ في مثل قوله:

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه في كتاب الطب: ٢٢/٤. ورقمه: ٣٩٠٧.

(٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة النساء، فتح الباري ٢٥١/٨. وللعلماء في تفسير الجبت أقوال أخرى. انظر فتح الباري (٢٥٢/١٠).

(٣) رواه أبو داود: ٢٢/٤ ورقم الحديث: ٣٩١٠. ورواه الترمذي (١٦٠/٤) ورقم الحديث ١٦١٤، وقال: حديث حسن صحيح. واللفظ لأبي داود.

(٤) جامع الأصول: ٦٣٠/٧.

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾[1] فالله هو الضار النافع، وهذه الطيور لا تعلم الغيب، وسنوحها لا ينفع، وبروحها لا يضر.

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: «التطير هو التشاؤم بمرئي أو مسموع، فإذا استعملها الإنسان فرجع بها من سفر وامتنع بها عما عزم عليه، فقد قرع باب الشرك، بل ولجه، وبرىء من التوكل على الله سبحانه، وفتح على نفسه باب الخوف والتعلق بغير الله، والتطير مما يراه أو يسمعه، وذلك قاطع عن مقام ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[2] ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾[3] و﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[4].

فيصير قلبه متعلقا بغير الله عبادة وتوكلا، فيفسد عليه قلبه وإيمانه وحاله، ويبقى هدفا لسهام الطيرة، ويساق إليه من كل أرب، ويقيض له الشيطان من يفسد عليه دينه ودنياه، وكم هلك بسبب ذلك وخسر الدنيا والآخرة.

وكم ضرت الطيرة العباد في دنياهم ومنعتهم من خير كثير. فكم رأينا من أهل بيت نكصوا عن تزويج كريمتهم بعد الخطبة والاتفاق بكلمة سمعوها أو خيال رؤي لهم في المنام، فنسوا البنت وأضاعوا عليها فرصة الزواج.

وكم رأينا من تاجر قعد عن السفر، وأهمل تجارته اعتمادا على تشاؤم أو نبوءة دجال كاذب.

---

(١) سورة يونس: ١٠٧.
(٢) سورة الفاتحة: ٤.
(٣) سورة هود: ١٢٣.
(٤) سورة الشورى: ١٠.

المطلب الثالث

التطير لا يقوم على أسس صحيحة

الطيرة لا تقوم على أسس صحيحة، إنما تقوم على توهمات وتخيلات تقع في القلب، ففي الحديث الذي يرويه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر»(١).

فقد نفى أمورا كان يعتقدها أهل الجاهلية، فكانوا يظنون أنَّ المريض يعدي السليم بنفسه، كما كانوا يعتمدون في معرفة عواقب الأمور على زجر الطير. وقوله: «لا هامة» نفي لما كانت العرب تعتقده من أنَّ عظام الميت وروحه تنقلب هامة تطير.

وقوله: (لا صفر) «تعني لما كان عليه أهل الجاهلية من التشاؤم بشهر صفر(٢)، ويقولون هو شهر الدواهي، فنفى ذلك ﷺ وأبطله، وأخبر أنَّ شهر صفر كغيره من الشهور لا تأثير له في جلب نفع ولا دفع ضرر، وكذلك الأيام والليالي والساعات لا فرق بينها، وكان أهل الجاهلية يتشاءمون بيوم الأربعاء، ويتشاءمون بشهر شوال في النكاح فيه خاصة، وكانت عائشة رضي الله عنها تقول: «تزوجني رسول الله ﷺ في شهر شوال فمن كان أحظى مني»(٣).

وقال أبو داود حدثنا محمد بن المصفى، حدثنا بقية. قال: قلت لمحمد يعني ابن رشد قوله: «هامه» كانت أهل الجاهلية تقول: ليس أحد يموت فيدفن إلا خرج من قبره هامة. قلت: فقوله: «صفر». قال سمعت أنَّ أهل الجاهلية يستشئمون بصفر. فقال النبي ﷺ: (لا صفر)(٤).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الطب، باب لا صفر. فتح الباري: (١٧١/١٠) ورواه مسلم: ١٧٤٢/٤ ورقم الحديث: ٢٢٢٠.

(٢) فسر البخاري الصفر المنفي بأنه داء يأخذ بالبطن. وهذا قول في تفسير الحديث.

(٣) فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم: ١٦٧/١.

(٤) سنن أبي داود: ٢٤/٤.

وقد أراد بعض الذين يتشاءمون ببعض الأيام أو الساعات الاستدلال على صحة ذلك بقوله تعالى في وصف العذاب الذي نزل بقوم عاد: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴾[1] وبقوله: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِيٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ ﴾[2]. قالوا: إنَّ القرآن يرشد في هذه الآيات إلى أنَّ في الأيامَ نحسا وسعودا.

ويكفي في الردِّ على هؤلاء ـ كما يقول الألوسي. أنَّ حادثة عاد استوعبت أيام الأسبوع كلها، قال تعالى: ﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ﴾[3] فإن كانت نحوسة الأيام لذلك، فأي أيام الأسبوع خلا منها؟

والحق أنَّ كلَّ الأيام سواء، ولا اختصاص ليوم بنحوسة، ولا لآخر بسعد وأنه ما من ساعة من الساعات إلا وهي سعد على شخص، ونحس على آخر باعتبار ما يقع فيها من الخير على هذا، والشر على ذاك، فإن استنحس يوما من الأيام لوقوع حادث فيه فليستنحس كلَّ يوم لما يقع في الأيام من أحداث، وما أولج الليل في النهار، والنهار في الليل إلا لإيلاد الحوادث، ولا تأثير لما يقع فيها من أحداث، ولا شأن للوقت أو المكان أو الأشياء في نحوسة أو سعود.

المطلب الرابع
علاج التطير

قد يقول قائل: إنّ الإنسان قد لا يستطيع أن يدفع ما يقع في نفسه من التشاؤم. والجواب: أنَّ المطلوب أن لا يتابع المسلم هذه الوسوسات التي يجدها في نفسه، ففي صحيح مسلم عن معاوية بن الحكم السلمي قال: قلت يا رسول الله: «كنا نتطير» قال: (ذاك شيء يجده أحدكم في نفسه، فلا يصدنكم)[4].

---

(١) سورة القمر: ١٩.
(٢) سورة فصلت: ١٦.
(٣) سورة الحاقة: ٧.
(٤) صحيح مسلم: ١٧٤٨/٤.

وثبت في سنن أبي داود عن بريدة أنَّ رسول الله ﷺ كان لا يتطير من شيء، وكان إذا بعث عاملا سأل عن اسمه، فإذا أعجبه اسمه فرح به ورؤي بِشْر ذلك[1] في وجهه، وإن كره اسمه رؤي كراهية ذلك في وجهه، وإذا دخل قرية سأل عن اسمها، فإن أعجبه اسمها فرح بها، ورؤي بشر ذلك في وجهه، وإن كره اسمها رؤي ذلك في وجهه»[2].

وعلاج التطير كما أخبر الرسول ﷺ أن لا يصدنا عما عزمنا على فعله، وأن نمضي مستعينين بالله، متوكلين عليه، وأن نقول كما ثبت في بعض الآثار: «اللهمَّ لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك»[3].

وروى أحمد في مسنده وابن السني بإسناد صحيح عن عبدالله بن عمرو أنَّ رسول الله ﷺ قال: (مَنْ رَدَّتْهُ الطيرةعن حاجته فقد أشرك).

قالوا: فما كفارة ذلك؟

قال: (أن تقول: اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك)[4].

المطلب الخامس
الشؤم في ثلاث

فإن قيل: ما وجه التوفيق بين النهي عن الطيرة، وبين ما ثبت في بعض الأحاديث أنَّ الشؤم في ثلاث: الدار، والمرأة، والفرس، كقوله ﷺ: في الحديث

---

(١) البِشر طلاقة الوجه وأمارات الفرح التي تظهر على الإنسان عند رؤية ما يسر سماعه.
(٢) سنن الترمذي: ٤/٢٥. ورقم الحديث: ٣٩٢٠.
(٣) هذا حديث رواه أبو داود في سننه، وفي إسناده مقال، ولذلك لم ننسبه إلى الرسول ﷺ.
(٤) النهج السديد ١٦٣.

الذي يرويه عبدالله بن عمر: (لا عدوى ولا طيرة، وإنما الشؤم في ثلاث: في الفرس والمرأة والدار).

وفي رواية: «ذكروا الشؤم عند النبي ﷺ فقال: (إن كان الشؤم ففي الدار والمرأة والفرس)»[1].

قال النووي: «اختلف العلماء في هذا الحديث، فقال مالك وطائفة هو على ظاهره، وأنَّ الدار قد يجعل الله تعالى سكناها سببا للضرر أو الهلاك، وكذا اتخاذ المرأة المعينة أو الفرس أو الخادم قد يحصل الهلاك عنده بقضاء الله تعالى، ومعناه قد يحصل الشؤم في هذه الثلاثة كما صرح به في رواية «إن لم يكن الشؤم في شيء» وقال الخطابي وكثيرون: هو في معنى الاستثناء من الطيرة، أي الطيرة منهي عنها إلا أن يكون له دار يسكنها، أو امرأة يكره صحبتها، أو فرس أو خادم، فليفارق الجميع بالبيع ونحوه وطلاق المرأة.

وقال آخرون: شؤم الدار ضيقها وسوء جيرانها وأذاهم، وشؤم المرأة عدم ولادتها وسلاطة لسانها وتعرضها للريب، وشؤم الفرس أن لا يُغْزى عليها، وقيل: حِرَانها وغلاء ثمنها، وشؤم الخادم سوء خلقه وقلة تعهده لما فوض إليه، وقيل المراد بالشؤم هنا عدم الموافقة.

واعترض بعض الملاحدة بحديث «لا طيرة» على هذا، فأجاب ابن قتيبة وغيره بأنَّ هذا مخصوص من حديث لا طيرة إلا في هذه الثلاث.

قال القاضي: قال بعض العلماء: الجامع لهذه الفصول السابقة في الأحاديث ثلاثة أقسام:

---

(١) رواه البخاري ومسلم. انظر جامع الأصول: ٦٣١/٧.

أحدها: مالم يقع الضرر به، ولا اطردت عادة خاصة ولا عامة، فهذا لا يلتفت إليه، وينكر الشارع الالتفات إليه، وهو الطيرة.

والثاني: ما يقع عنده الضرر عموما لا يخصه، ونادرا لا متكررا، كالوباء فلا يقدم عليه ولا يخرج منه.

والثالث: ما يخصُّ ولا يعمُّ كالدار والفرس والمرأة، فهذا يباح الفرار منه[1].

والذي حققه العلامة ابن القيم أنَّ «إخباره ﷺ بالشؤم في هذه الثلاثة ليس فيه إثبات الطيرة، وإنما غايته أنَّ الله ـ سبحانه ـ قد يخلق أعيانا مشؤومة على من قاربها وساكنها، وأعيانا مباركة لا يلحق من قاربها منها شؤم وشر، وهذا كما يعطي الله سبحانه الوالدين ولدا مباركا يريان الخير على وجهه، ويعطي غيرهما ولدا مشؤوما يريان الشرَّ على وجهه، وكذلك ما حصله العبد من ولاية وغيرها، فكذلك الدار والمرأة والفرس.

والله ـ سبحانه ـ خلق الخير والشر والسعود والنحوس، فيخلق بعض هذه الأعيان سعودا مباركة، ويقضي بسعادة من قاربها وحصول اليمن والبركة له، ويخلق بعضها نحوسا ينحس بها من قاربها، وكلُّ ذلك بقضاء الله وقدره، كما خلق سائر الأسباب وربطها بمسبباتها المتضادة والمختلفة، كما خلق المسك وغيره من الأرواح الطيبة ولذذ بها من قاربها من الناس، والفرق بين هذين النوعين مدرك بالحس، فكذلك في الديار والنساء والخيل، فهذا لون والطيرة لون.

---

(١) شرح النووي على مسلم: ٢٢١/١٤.

المطلب السادس
نماذج من شؤم الديار والمراكب

وقد صحَّ في سنن أبي داود عن أنس أنَّ رجلا قال: يا رسول الله، إنا كنا في دار، كثر فيها عددنا، وكثر فيها أموالنا، فتحولنا إلى دار أخرى، فقلَّ فيها عددنا، وقلت فيها أموالنا؟.

فقال رسول الله ﷺ: (ذروها ذميمة)(١).

وفي الموطأ عن أبي سعيد قال: «جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: دار سكناها، والعدد كثير، والمال وافر، فقلَّ العدد وذهب المال؟

فقال: (دعوها ذميمة)»(٢).

يقول ابن الأثير في قوله: «دعوها ذميمة» أي اتركوها مذمومة، وإنما أمرهم بالتحول عنها إبطالا لما وقع في نفوسهم من أنَّ المكروه إنما أصابهم بسبب الدار وسكناها، فإذا تحولوا عنها انقطعت مادة ذلك الوهم، وزال ما خامرهم من الشبهة والوهم الفاسد والله أعلم(٣).

الطائرة المشؤومة

ومن شؤم المراكب ما حدث لطائرة ركاب ضخمة بأربعة محركات من طراز «لوكهيد كونستلليسن» ففي شهر يوليو عام ١٩٤٥ بدأت سلسلة النحس بالنسبة للطائرة بحادث وقع ضحيته أحد عمال الصيانة، إذ اقترب العامل من أحد

---

(١) رواه أبو داود في سننه: ٢٦/٤. ورقم الحديث: ٢٦/٤.
(٢) رواه مالك في موطئه.
(٣) جامع الأصول: ٦٤١/٧.

محركات الطائرة لتنظيفه فدار المحرك وقتله، وبعد ذلك بعام في ٩ يوليو ١٩٤٦ مات قائد الطائرة الكاتب آرثر لويس بالسكتة القلبية وهو يجلس في كابينة القيادة بينما كانت الطائرة تعبر الأطلنطي، ثم بعد عام بالضبط في ٩ يوليو ١٩٤٧ انفجر أحد محركات الطائرة بعد إقلاعها بقليل، وشب حريق في غرفة القيادة كاد يؤدي إلى كارثة لولا أن تمكن الطيار ومساعده من الهبوط بمعجزة، ومرّ العام التالي ١٩٤٨ بلا حوادث، ولكن في ١٠ يوليو ١٩٤٩ تحطمت الطائرة بالقرب من شيكاغو وقتل جميع من فيها.

السيارة المشؤومة

ومن الأمثلة الشهيرة لنحس السيارات ما حدث لسيارة الأرشيدوق (فرانسيس فرديناند) ولي عهد النمسا والمجر الذي اغتاله طالب صربي في مدينة سيراجيفو في عام ١٩١٤ أثناء ركوبه سيارته، وماتت زوجته معه في الحادث، وهو الحادث الذي أشعل نيران الحرب العالمية الأولى، وبعد قيام الحرب بقليل حاز السيارة الجنرال «بوتيوريك» قائد جيش النمسا، وبعد أسابيع قليلة لحقت به هزيمة ساحقة في «فالجيفو» فأعيد إلى ڤيينا مهانا، ولم يستطع أن يتحمل مهانته، فجن، ومات.

وكان المالك التالي للسيارة ضابط في الجيش النمسوي من هيئة أركان «بيوتريك» وبعد تسعة أيام من امتلاكه السيارة صدم بها اثنين من الفلاحين فقتلهما، ثم اصطدم هو نفسه بشجرة فدقت عنقه.

وفي نهاية الحرب امتلك السيارة حاكم يوغوسلافيا، فوقعت له أربعة حوادث طرق في أربعة أشهر، وفقد في الحادث الأخير ذراعه فباع السيارة إلى طبيب، وبعد ستة أشهر عثر على السيارة المشؤومة في حفرة والطبيب مسحوق

بداخلها، وذهبت السيارة بعد ذلك إلى تاجر مجوهرات ثري، ولم يلبث أن انتحر بعد عام، وامتلك السيارة طبيب آخر، ولكنه تشاءم منها فباعها بخسارة كبيرة إلى رياضي سويسري يحترف سباق السيارات، وقتل المالك الجديد في سباق بجبال الألب الإيطالية عندما ارتطمت السيارة في السور، وكان المالك التالي مزارع من الصرب، ومات هو أيضا في حادث بداخلها، أما المالك الأخير فكان صاحب «كراج» سيارات يدعى تيبور هيرشفيلد، وذات يوم كان عائدا بالسيارة مع ستة من أصدقائه بعد حضورهم حفل عرس، وحاول هيرشفيلد أن يتجاوز سيارة أخرى أمامه، فانقلبت بهم السيارة وقتل مع أربعة من أصدقائه، ويبدو أن هذا السجل أصبح حافلا بما فيه الكفاية فنقلت السيارة إلى متحف فيينا حيث لا تزال فيه إلى اليوم .

القصر المشؤوم

وهناك مثال آخر للمنازل التي تجلب سوء الحظ لسكانها هو قلعة «ميرامار» بالقرب من (تريستا)، فقد بنى هذا القصر الامبراطور (فرانز جوزيف) امبراطور النمسا في منتصف القرن التاسع عشر، ولكنه لم يسكن فيه، وكان أول من سكنه (الارشيدوق ماكسميليان) الذي أصبح امبراطورا فيما بعد على المكسيك وأعدم هناك أمام فرقة إطلاق النار، وأصيبت زوجته بالجنون. وسكنت القصر بعد ذلك (الامبراطورة اليزابيث) وابنها الأمير (رودلف)، وفي عام ١٨٨٩ قتل (رودلف) عشيقته البارونة (ماري فيتسيرا) داخل قصر (ميرامار) وانتحر أمام جثتها، وفي عام ١٨٩٨ اغتيلت (الامبراطورة اليزابيث) على يد فوضوي إيطالي يؤمن بتحرير إيطاليا من النمسا.

وكان التالي في سكنى القصر هو (الأرشيدوق فرنسيس فرديناند) ابن عم (رودلف) وصاحب السيارة المشؤومة التي قتل فيها عام ١٩١٤ مما أدى إلى قيام الحرب العالمية الأولى، وفي نهاية هذه الحرب انتقل للإقامة في «ميرامار» (الدوق اوستا)، وقد مات هذا الدوق النمسوي في معسكر اعتقال بريطاني أثناء الحرب، ثم أقام في القصر على التوالي اثنان من الجنرالات الانجليز أثناء احتلال الحلفاء لإيطاليا، وقد مات الاثنان بالسكتة القلبية واحد بعد الآخر، وتحولت قلعة (ميرامار) بعد ذلك إلى متحف!

المطلب السابع
دعاء يدفع شؤم الثلاث

وقد أرشد الرسول ﷺ المسلم إلى دعاء يدعو الله به إذا ما تزوج امرأة أو اشترى خادما أو دابة، فقد روى البخاري في (خلق أفعال العباد)، والنسائي في (عمل اليوم والليلة)، وابن ماجه في سننه، والحاكم وصححه، ووافقه الذهبي والبيهقي والبغوي في (شرح السنة) عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال: «إذا تزوج أحدكم امرأة أو اشترى خادما فليقل: اللهم إني أسألك خيرها وخير ما جبلتها عليه، وأعوذ بك من شرها وشرّ ما جبلتهاعليه، وإذا اشترى بعيرا فليأخذ بذروة سنامه، وليقل مثل ذلك»[1] وإسناده حسن وصححه النووي في الأذكار، وقال الحافظ العراقي: إسناده جيد.

---

(١) القول السديد في تخريج أحاديث تيسير العزيز الحميد: ١٥٨.

المبحث الرابع
الفـــأل

الفأل الكلمة الحسنة يسمعها الإنسان يستبشر بها.

قال ابن الأثير: «الفأل: أصله مهموز، وقد يخفف، وهو مثل أن يكون الرجل مريضا، فيسمع آخر يقول: يا سالم، أو يكون طالبا، فيسمع آخر يقول: يا واجد، فيقع في ظنه أنه يبرأ من مرضه، ويجد ضالته، فيتوقع صحة هذه البشرى، ويتنفس بذلك نفسه، لأنه وقع من القائل على جهة الاتفاق.
تقول منه: تفاءلت»[1].

وقد كان رسول الله ﷺ يعجبه مثل هذا، ففي الحديث الذي يرويه البخاري ومسلم عن أنس بن مالك أنَّ رسول الله ﷺ قال: (لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل. قالوا: وما الفأل؟ قال: كلمة طيبة) أخرجه البخاري ومسلم.

وللبخاري مثله، وقال: (ويعجبني الفأل: الكلمة الحسنة).
ولمسلم مثله، وقال: (ويعجبني الفأل: الكلمة الحسنة الكلمة الطيبة)[2].

وفي سنن الترمذي عن أنس أيضا أنَّ رسول الله ﷺ (كان يعجبه إذا خرج لحاجته أن يسمع: يا راشد، يا نجيح). وقال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب صحيح»[3].

---

(١) جامع الأصول: ٦٣٨/٧.
(٢) جامع الأصول: ٦٣١/٧.
(٣) سنن الترمذي: ١٦١/٤. ورقم الحديث: ١٦١٦.

وقد يسأل سائل عن الفرق بين الفأل والتطير، والسر في استحباب الأول وتحريم الثاني، وقد أجاب ابن الأثير عن هذا بقوله: «الفأل فيما يرجى وقوعه من الخير، ويحسن ظاهره ويسر والطيرة لا تكون إلا فيما يسوء، وإنما أحب النبي ﷺ الفأل، لأنَّ الناس إذا أمَّلوا فائدة من الله، ورجوا عائدته عند كلِّ سبب ضعيف أو قوي فهم على خير، وإن لم يدركوا ما أمّلوا فقد أصابوا في الرجاء من الله وطلب ما عنده، وفي الرجاء لهم خير معجّل، ألا ترى أنهم إذا قطعوا أملهم ورجاءهم من الله كان ذلك من الشر؟

فأما الطيرة، فإنَّ فيها سوء الظن، وقطع الرجاء، وتوقع البلاء وقنوط النفس من الخير، وذلك مذموم بين العقلاء، منهي عنه من جهة الشرع»[1].

(١) جامع الأصول. ٦٣١/٧.

المبحث الخامس

حكم أدعياء علم الغيب

الذين يدعون الغيب ضالون، فالغيب لله ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾(١).

والرسل لا يعلمون من الغيب إلا ما أعلمهم الله تعالى، وقد أمر الله رسوله أن يعلن هذا ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾(٢).

والجن لا يعلمون الغيب، وقد قبض الله روح نبيه سليمان، وهو واقف على عصاه، وكان الجن ينظرون إليه، ويقومون بالأعمال الشاقة ظانين أنه لا يزال حيًّا، فلما أكلت دابة الأرض عصاته وخرّ على الأرض تبينت الجن وظهر للناس أنّ الجنّ لا يعلمون الغيب ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾(٣).

وقد ذمّ الرسول ﷺ الكهان، وحرّم الكهانة، وعظم جرم الذين يأتون الكهان، ومنهم العرافون والضاربون بالرمل والمنجمون، ففي صحيح مسلم عن

(١) سورة النمل: ٦٥.
(٢) سورة الأعراف: ١٨٨.
(٣) سورة سبأ: ١٤.

بعض أزواج النبي ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «من أتى عرّافا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة»(١).

وفي صحيح مسلم عن معاوية بن الحكم السلمي قال: قلت: يا رسول الله، أمورا كنا نصنعها في الجاهلية، كنا نأتي الكهان. قال: «فلا تأتوا الكهان» قال: قلت: كنا نتطير.

قال: ذاك شيء يجده أحدكم في نفسه، فلا يصدنكم(٢).

وعن عمران بن حصين مرفوعا: «ليس منا من تطير أو تطير له، أو تكهن أو تكهن له، أو سحر أو سحر له، ومن أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ»(٣).

وقد ذمَّ العلماء الكهان وحذروا منهم، وكفروهم وفسقوهم، قال ابن عابدين: «دعوى علم الغيب معارضة لنصِّ القرآن، فيكفر بها إلا إذا أسند ذلك صريحا أو دلالة إلى سبب من الله تعالى كوحي أو إلهام، وكذا لو أسنده إلى إمارة عادية بجعل الله تعالى»(٤).

وقال: «الكاهن من يدعي معرفة الغيب بأسباب وهي مختلفة، فلذا انقسم إلى أنواع متعددة كالعراف، والرمال والمنجم، وهو الذي يخبر عن المستقبل بطلوع النجم وغروبه، والذي يضرب بالحصى، والذي يدعي أنَّ له صاحبا من

---

(١) صحيح مسلم: ١٧٥١/٤. ورقم الحديث: ٢٢٣٠.
(٢) صحيح مسلم: ١٧٤٨/٤.
(٣) رواه البزار بإسناد حسن كما في الترغيب للحافظ المنذري: (٣٣/٤) وقال المنذري: إسناده جيد.
(٤) حاشية ابن عابدين: ٢٤٣/٤.

الجن يخبره عما سيكون، والكلُّ مذموم شرعا محكوم عليهم وعلى مصدقهم بالكفر. وفي البزازيّة: يكفر بادعاء علم الغيب وبإتيان الكاهن وتصديقه. وفي (التتارخانية): يكفر بقوله أنا أعلم المسروقات، أو أنا أخبر عن إخبار الجن إياي»[1].

ومذهب الحنابلة أنَّ الكاهن والعراف كالساحر يكفر بكهانته وعرافته ويقتل بذلك، وعندهم رواية عن الإمام أحمد اختارها ابن عقيل أنه لا يكفر. قال في (الترغيب): الكاهن والمنجم كالساحر عند أصحابنا، وابن عقيل فَسَّقه فقط إن قال: أصبت بحدسي وفراستي[2].

والتحقيق في المسألة أنَّ الذين يدَّعون علم الغيب من الكهان والعرافين إن كانوا من أولياء الشيطان الذين تتنزل عليهم الشياطين فهم كفار، قال تعالى: ﴿هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ﴿٢٢٢﴾ يُلۡقُونَ ٱلسَّمۡعَ وَأَكۡثَرُهُمۡ كَٰذِبُونَ﴾[3] وقد نصَّ القرآن على أنَّ الذين تتنزل عليهم الشياطين هم أولياء الشياطين ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ﴾[4] ومن كان وليا للشيطان لا يمكن أن يكون وليا للرحمن ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيۡطَٰنَ وَلِيّٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدۡ خَسِرَ خُسۡرَانٗا مُّبِينٗا﴾[5].

وإن كان أدعياء الغيب من الذين يدجلون على الناس، ويقولون بالخرص والتخمين، ولكنهم يخدعون الناس زاعمين أنَّ لديهم القدرة على الاطلاع على

---

(١) حاشية ابن عابدين: ٤٤٢/٤.
(٢) راجع المغني: ١٥٥/٨ والإنصاف: ٣٥١/١٠ والمقنع: ٥٢٤/٣.
(٣) سورة الشعراء: ٢٢١ - ٢٢٣.
(٤) سورة الأنعام: ١٢١.
(٥) سورة النساء: ١١٩.

الغيب من خلال الخط بالرمل، والنظر في اليد والفنجان وما أشبه ذلك فهؤلاء ضالون يستحقون التأديب والتعزير، ولا نحكم عليهم بالكفر ما لم يعتقدوا استباحة ذلك.

ومثل هذا يقال في الذين يأتون الكهان، فإن كانوا جازمين باستباحة ذلك، وصدقوهم فيما يدعون فهذا كفر، لأنَّ هؤلاء كَذَّبوا الله في خبره أنه وحده عالم الغيب ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾(١) ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾(٢) ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾(٣).

وقد سئل الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله تعالى عن قوله ﷺ «من أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد». هل هذا الكفر ناقل عن الملة؟

فأجاب «اختلف أهل العلم فيه، فقيل إنه لا يخرجه من الإسلام، بل هو من العصاة من أهل الإسلام المتغلظة معاصيهم، وإلا لو كان كافرا لما قيد الوعيد بأربعين، ـــ يعني قوله ـــ (لم تقبل له صلاة أربعين يوما). وقيل: إن هذا الحديث من أحاديث الوعيد فيمر كما جاء، ولا يتعرض له بتأويل، وهذا قول أحمد وعامّة السلف، لأنَّ ذلك أبلغ في الردع عن الجرائم.

فالأول ليس من التأويل، وهو تأدب في المعنى مع اللفظ، والثاني تأدب مع اللفظ، وكلٌّ مصيب.

---

(١) سورة النمل: ٦٥.
(٢) سورة الجن: ٢٦ ـ ٢٧.
(٣) سورة الأنعام: ٥٩.

ثم قال: «ولكنَّ الأولى أن يقال لمن يُظنُّ أنه يرى مذهب الخوارج: لا ينقل، فإنه بيان لحكمه، فإنَّ الخوارج زعموا أنه وأشباهه دليل على تكفير العصاة من أمّة محمد ﷺ، وإن كان الحال مأمون أن ينزع به أحد إلى تكفير العصاة، قيل كما في النصّ، أطلق كما أطلق النصّ.

وكذلك المنجم والضارب بالحصى والودع، لكن عدم كفر الواحد منهما مالم يعتقد إباحته، فإن اعتقد إباحته فهو مرتد، لأن برهانها ظاهر بالشرع، لأنه معلق على الاستخذاء للشياطين واستمتاع الشياطين بهم، وكذلك ما لم يدع أنه يعلم الغيب أو يدع التصرف في الوجود في بعض الأشياء، وكثير منهم أو أكثرهم لا ينفكون عن ادعاء علم المغيبات، ويعزر أصحاب هذه الأمور تعزيزا يردعهم وأمثالهم، ثم يكف عنهم، والتعزير يرجع إلى الإمام الناظر النظر الشرعي، فإذا اقتضى القتل لاسيما من كان له شهرة في ذلك، فإنه يقتل»[1].

وقد يشكل على القول بتحريم الكهانة والعرافة الحديث الذي يرويه مسلم في صحيحه عن معاوية بن الحكم السلمي قال: «كان نبي من الأنبياء يخط فمن وافق خطه فذاك»[2].

وقد اختلف العلماء في معنى هذا الحديث، والصحيح أنَّ معناه من وافق خطه فهو مباح له. ولكن لا طريق لنا إلى العلم اليقيني بالموافقة، فلا يباح. وعلى ذلك فإنه حرام، لأنه لا يباح إلا بيقين الموافقة، وليس لنا يقين.
وإنما قال النبي ﷺ: (فمن وافق خطه فذاك). ولم يقل: فهو حرام بغير تعليق على الموافقة، لئلا يتوهم متوهم أنَّ هذا النصَّ يدخل فيه ذاك النبي الذي كان يخط، فحافظ نبينا على حرمة ذاك النبي مع بيان الحكم في حقنا.

---

(١) فتاوي ورسائل محمد بن إبراهيم: ١/١٦٥.
(٢) صحيح مسلم: ٤/١٧٤٩.

الفصل الرابع عشر

المؤلفات في السحر

كان السحرة على مرِّ العصور يرجعون إلى كتب مدونة في السحر، يستمدون منها هذا الضلال الذي يقومون به ويضرون به العباد.

ولكنّ هذه الكتب لم تنتشر لأمرين:

الأول: أنَّ السحرة يضنون بنشر هذه الكتب وبثها بين الناس.

والثاني: أنّ كثيرا من الناس يتشاءمون من هذه الكتب ونشرها والاحتفاظ بها.

وقد حفظت لنا بعض المكتبات العامة في مختلف دول العالم بعض المؤلفات عن السحر، ولكنها لا تسمح بالإطلاع عليها إلا للباحثين المتخصصين وتحت شروط مشدَّدة.

والمؤلفات في السحر نوعان: نوع يبحث في عمل السحر، وكيف يصبح الإنسان ساحرا. وهذه المؤلفات عند أصحابها بمثابة المصاحف عند المسلمين، فهي ترسم للساحر طريقة حياته في طعامه وشرابه ولباسه، وعلاقاته بالناس، ومجاهداته، والذي يرسم ذلك كلَّه الشيطان، كي يُعَبَّدَ البشر لذاته الخبيثة، وهذه هي كتب السحر التي يحرم اقتناؤها وقراءتها ونشرها.

والنوع الثاني: الكتب الباحثة في السحر لمعرفة حقيقته وبيان فساده وضلال السحرة مثل مؤلفنا هذا.

فمن المؤلفات من النوع الأول كتاب (الإيضاح والبساتين لأرواح الجن والشياطين)، وكتاب (بغية الناشد ومطلب القاصد على طريقة العبرانيين)، وكتاب (الجمهرة ورسائل أرسطو)، وكتاب (الوقوفات على طريقة اليونانيين)، وكتاب (العمى) على طريقة العبرانيين، (ومرآة المعاني في إدراك العالم الإنساني) على طريقة الهند.

ذكر هذه الكتب حاجي خليفة في (كشف الظنون).

ومن هذه الكتب (الفلاحة النبطية)، لابن وحشية من أوضاع أهل بابل وكتاب (مصاحف الكواكب السبعة)، وكتاب (طمطم الهندي)، ومؤلفات وضعها جابر بن حيان، وكتاب (غاية الحكيم) لمحمد المجريطي الأندلسي.

وهذه الكتب ذكرها ابن خلدون في مقدمته، وذكر أن الأخير وهو (غاية الحكيم) هو مدونة هذه العلوم، وفيه استيفاؤها وكمال مسالكها.

وذكر محمد محمد جعفر عدة مؤلفات تداولها السحرة في الغرب، ويذكر أنّ أول كتاب كتب في السحر هو الذي كتبه الساحر (زورستر) ويذكر أنّ هذا الكتاب هو مرجع السحرة الأول.

وفي مكتبة (الترسانة) بباريس مؤلف في السحر، لا يوجد منه نسخة أخرى في غيرها، وهذا الكتاب يسمى (أسرار سحر ابرا) The secret maglc of abra لمؤلفه الساحر Melin.

ويذكر محمد محمد جعفر أنّ هذا الساحر استمد مؤلفه من مؤلفات ساحر يهودي يدعى (إبراهام)، كتبها لنجله (يافح) عام ١٤٦٨.

ومن أعظم كتب السحر التي يستعملها اليهود كتاب (كبالة)، وهو مخطوط بالعبرية في عشر مجلدات، ولا يسمح اليهود الذين تحت يدهم هذا الكتاب

لغيرهم بالاطلاع عليه.

ومن المؤلفات في السحر كتاب (الحكيم) لفرنسيس بارت.

ومن عهود بعيدة كان السحرة وأهل الضلال ينسبون هذا الكتاب الذي دعوه زورا وبهتانا بالحكيم إلى نبي الله سليمان.

وكان هذا الكتاب متداولا في عهد الامبراطور (فسباسيان)، وهو مملؤ بالعزائم والرقى الخاصة باستحضار الجن والشياطين.

وذكر المؤرخ (فلافيوس جوزيفوس Flavius Jozephus) وكان معاصرا لذلك العهد أنَّ هذا الكتاب كان في حوزة يهودي يدعى العازار. وقد استطاع هذا اليهودي في حضرة الإمبراطور (فسباسيان) أن يبرىء أشخاصاً مستهم الجن وذلك بأن وضع في أنوفهم حلقات عليها رسوم خاصة وضعها سليمان لهذا الغرض، ثمَّ تلى في الوقت ذاته بعض الصيغ التي ذكرها سليمان في هذا الكتاب.

وقد أضيف إلى هذا الكتاب بمضي الزمن الكثير من الصيغ والتعاويذ السحرية، ولعلَّ هذا الكتاب هو النواة التي خرج منها كتاب «مفاتيح سليمان»، وهو كتاب السحر الذي ذاع صيته في القرون الوسطى، وكان يعرف باسم (Cla-vicule de Salomon).

والكتَّاب في مختلف العصور يتحدثون عن كتب السحر التي تنسب إلى سليمان، ففي القرن الحادي عشر تحدث الكاتب اليوناني (ميخائيل سللوس Michael Psellus) عن رسالة في الجن وخواص الأحجار، وذكر أنَّ مؤلفها هو سليمان الحكيم. وتحدث مؤرخ بيزنطي آخر من أهل القرن الثالث عشر في تاريخه عن الإمبراطور (مانويل كومنينوس Manuel Comnenus) عن كتاب في السحر لاشك أنه هو كتاب «مفاتيح سليمان» السالف الذكر. وذكر أنَّ هذا

الكتاب كان في حوزة هارون إسحاق مترجم الإمبراطور. وقال إنَّ الذي يقرأ هذا الكتاب يستطيع أن يستحضر كتائب جمة من الجن والشياطين.

ويظهر أنَّ هذا الكتاب قد انتقل في القرن الثالث عشر من العالم البيزنطي إلى العالم اللاتيني، وتذهب الروايات أنَّ البابا (هنوريوس الثالث) الذي خلف (البابا إينوسنت الثالث) على الكرسي البابوي عام ١٢١٦ قد أعد نسخة جديدة من هذا الكتاب.

وقد اتهم لذلك بالشعوذة والسحر كما اتهم بذلك أيضا البابوات (ليو الثالث، وجون الثاني والعشرين، وسلفستر الثاني).

وكان الراهب المشهور (روجر باكون) الذي توفى عام ١٢٩٤ على دراية بكتب السحر التي تنسب إلى سليمان الحكيم، ولكنه كان يرى عدم صحة نسبتها إلى سليمان لما عرف عن هذا النبي من الفضل والحكمة. وفي حوالي عام ١٣٥٠ أمر (البابا إينوسنت السادس) بحرق كتاب كبير في السحر يسمى (كتاب سليمان) ويذكرون أنَّ هذا الكتاب كان مليئاً بالقواعد والتعازيم الخاصة باستحضار الجن.

ويستخلص من هذه الإشارات المختلفة التي أوردها المؤرخون المسيحيون في مختلف العصور أنَّ كتاب السحر الذي ينسب إلى سليمان كان منتشراً في مكتبات أوروبا، ولعلَّ هذا الكتاب كان خليطاً من طقوس وشعائر سحرية من أصل يهودي بعضها ينسب إلى سليمان، والبعض الآخر يرجع إلى عهود أخرى غير عهد سليمان، ومنها تعازيم وصيغ سحرية لاستحضار الجن قديمة العهد جدًّا كانت منقوشة باللغة المسمارية على ألواح (نينوى).

وما إن قاربت العصور الوسطى على الانتهاء حتى كانت هناك عدة نسخ مخطوطة من هذا الكتاب موزعة في جميع أنحاء أوروبا. وقد اهتم علماء عصر

النهضة بهذا الكتاب اهتماماً كبيراً، وظهرت منه أول نسخة مطبوعة في عام ١٦٢٩، ثم أعيد طبع هذا الكتاب بعد ذلك مراراً.

على أنَّ هذه النسخ المطبوعة لم يكن لها أية قيمة من الناحية العملية التطبيقية، لأنَّ التقاليد جرت على أنَّ الساحر الذي يحترم نفسه وفنه يجب أن يكون لديه نسخة مخطوطة من كتاب سليمان، وأن مراعاة هذا الشرط خير ضمان لنجاح عملية استحضار الجن والشياطين.

وقد ذكر كاتب مقدمة هذا الكتاب أنَّ سليمان قد عهد بهذا الكتاب وهو «مفاتيح سليمان» إلى ولده (رحبعم) وأنه دارت بين سليمان وولده هذا الحوار:

«تذكر يا ولدي (رحبعم) أنك أعز الأشياء عندي في هذا العالم، وأنَّ خالق المخلوقات جميعاً قد جمع في شخصي كلَّ حكمة».

فيجيبه (رحبعم): «وما هو سبيلي حتى أكون في ذلك مثل أبي».

فيقول سليمان: «إنَّ ملاك الربِّ قد أوحى إليَّ بذلك في المنام، فقد ذكرت الاسم المقدس «يهوَه» (الله)، وسألته أن يهبني وسائل الحكمة، فأراني إياها ملاك الرب في المنام، وقال لي: أخف سر الأسرار على أحسن ما يكون الإخفاء؛ لأنه سيأتي اليوم الذي ستتلاشى فيه العلوم، وتختفي تماماً، وتصبح باطلا من الأباطيل، واعلم أن يومك بات قريباً؛ وعند ذلك استيقظت من النوم كرجل مخمور أرتعد من الخوف وأخذت أفكر فيما عسى أن أصنعه في هذا الأمر».

ثم أوصى الملك سليمان ولده (رحبعم) أن يدفن معه هذا الكتاب في قبره. وقد تمَّ كلُّ شيء كما أمر سليمان، وظلَّ هذا الكتاب مخبوءاً زمناً طويلا إلى أن عثر عليه في قبر سليمان بعض فلاسفة بابل من صحابة سليمان. وقد وجدوا هذا الكتاب محفوظاً في صندوق عاجي فأخذوه، ولكن لم يستطع أحد منهم قراءته أو

فهم ما جاء به، وذلك لغموض ألفاظ هذا العلم الخفي.

ثم تذكر المقدمة بعد ذلك أنَّ فيلسوفاً من هؤلاء الفلاسفة ويدعى (تزجرك Tozgrec) كان جالساً ذات يوم في غرفته يتأمل هذا الكتاب ويفكر فيه إذا بملاك الرب يتجلى له ويقول مخاطبا إياه: «انظر واقرأ هذا الكتاب الصغير، فإنَّ الألفاظ التي تبدو خافية عليك سوف يسهل عليك توضيحها» وعند ذلك ابتهج (تزجرك) غاية الابتهاج ونظر في هذا الكتاب، فاستطاع أن يقرأ ما فيه بعد أن أعيى الجميع قراءته، وعند ذلك ابتهل إلى الله أن لا يقع هذا الكتاب في حوزة جاهل ثمل قال:

«إني أستحلف كلَّ من يقع في يديه هذا الكتاب بأعضاء بدنه، وبكلِّ ما يرغب فيه، ويرمى إلى عمله أن لا يترجم هذا الكتاب، ولا أن يفسره، ولا أن يظهره لأحد، اللهم إلا لأعظم الناس علماً وحكمة».

ونجد بعد هذه المقدمة فصولا خاصة بالأعمال التمهيدية المتصلة باستحضار الجن والشياطين[1]، وكلُّ هذا كذب وافتراء على ذلك النبي الكريم.

ومن المؤلفات التي تبحث في النوع الثاني كتاب (الأساطير العربية والخرافات) للدكتور مصطفى الجوزو. وكتاب (الأساطير والخرافات عند العرب قبل الإسلام) للدكتور محمد عبدالمعين خان الأفغاني، وقد نال المؤلف على مؤلفه هذا درجة الدكتوراة، ونشر في القاهرة في عام ١٩٣٨[2].

---

(١) كشف الظنون: ٢/٩٨١.
(٢) كتاب فنون السحر: ص ٥٣ ـ ٥٧.

وكتاب (اللعب مع الشيطان) لمؤلفة البريطاني (جون ديموس) صدر في عام ١٩٨٣.

وقد أثبتنا في مراجع مؤلفنا هذا أسماء كثير من المؤلفات التي رجعنا إليها في هذا النوع.

الخاتمة

يمكننا أن نجمل أهم ما توصل إليه البحث بالآتي:

١ ـ السحر عالم عجيب، جميل ظاهره عفن باطنه، تختلط فيه الحقيقة بالخرافة، والشعوذة بالعلم، ويعتمد فيه الساحر على الخفة والعلم والايهام، كما يستعين فيه بالشياطين.

٢ ـ السحر انحراف قديم في تاريخ الإنسان، فقد عرفته الشعوب والأمم عبر تاريخ البشرية المديد، وأضلّ به الشيطان جبلا كثيرا، وقد أفسد بالسحر فطرة الإنسان، وعبده به لغير الله فأوبقة وأهلكه.

٣ ـ لم ينته السحر في هذا العصر ولم يتوقف، بل لايزال للسحرة دور كبير في حياة البشر، ولا تزال الجهود الإنسانية تجرى وراء أوهام السحرة والعرافين والدجالين، وتضيع في جريها وراءهم الأوقات والأموال، وتزهق بسبب ذلك أيضا النفوس والأرواح.

٤ ـ السحر علم مكتسب يحصل بالتعلم والصناعة، ويمكن أن يحوزه الأذكياء والأغبياء، ولكن لا يمكن أن يتعاطاه الصالحون الأتقياء، وحال السحرة تدلُّ عليهم، فهم أفسق الناس وأرذلهم.

٥ ـ ليس السحر من باب خرق العادة، وإنما يرجع إلى أسباب خفية لا نعلمها، وقد تصبح الأسرار السحرية مشاعا معلوما يعرفه الناس كلهم. مع

تقدم المعارف والعلوم، وقد يكون اعتماد السحرة على الجن والشياطين، وللجن والشياطين قدرات تبدو للإنسان كأنها خارقة للعادة.

٦ ـ للسحر حقيقة، فقد ينتقل الساحر من مكان إلى مكان بسرعة لا يألفها البشر، وقد يمرض الساحر ويضر، ولكن لقدرته حدودا لا يمكن تجاوزها، فلا يستطيع الساحر أن يوقف الشمس، ويسقط النجوم، ويوقف حركة الأرض، ويبعث الحياة في الأموات، ويخلق من الجماد أحياء، كما لا يستطيع مسخ الإنسان حيوانا أو الحيوان إنسانا، وكل ما أوهم فعل شيء من ذلك فهو حيلة تروج على أصحاب العقول الضعيفة.

٧ ـ يمكن للسحر أن يبطله ساحر مثله، وقد يبطله الأتقياء الصلحاء الذين يلجؤون إلى الله ويحتمون به.

٨ ـ السحر أنواع منه الحقيقي، ومنه التخييلي، ومنه المجازي، ولكن أكثر السحرة يخلط في سحره بين أنواع السحر كلها، فالساحر يستعمل كلَّ ما يمكنه من قدرات للضحك على عقول البشر، وقد يكون ما يستخدمه حيلا علمية، أو حيلا تخييلية، وقد يستعين بالشياطين.

٩ ـ لا يستطيع الساحر أن يرتقي في سحره ما لم يعبد نفسه للشيطان، وكلما ارتقى في العبودية لهذا المخلوق اللعين ارتقي في السحر، ولذلك فإن الساحر تتدنس نفسه بالخبث والفساد وتتلذذ بالشر، وتتعاظم عنده الرغبة الدائمة في الإيذاء.

والشيطان يلزم الساحر بالكفر والشرك ومحادة الله ورسوله، ويأمره بكلِّ ما يغضب الرحمن، ويبعده عن الهداية والإيمان.

ومع كلِّ الولاء الذي يظهره الساحر للشيطان، فإنَّ الشيطان يتخلى عن الساحر وهو في أشدّ الحاجة إليه، ويتركه لمصيره الرهيب عندما ينزل به العذاب،

وتحيط به الصعاب.

١٠ ــ سيادة المادة في هذا العصر، وشقاء الروح بسبب انقطاع الصلة بالله في هذا العصر أدى إلى توجه كثير من الناس إلى السحرة يداوون أمراض النفوس، ويطلبون الراحة لنفوسهم المتعبة المكدودة، فلم يجدوا عندهم إلا مزيدا من الداء والبلاء.

١١ ــ للأمم طرائق كثيرة للوقاية من السحر قبل وقوعه، وللخلاص منه إذا وقع، وكثير من هذه الطرق مبنية على اللجوء إلى السحرة، وتقوم في مجملها على الكفر والشرك والضلال، وخير الهدى هدى محمد ﷺ، وهديه يقوم على الاحتماء بالله، والالتجاء إليه، وقراءة القرآن والأدعية والأذكار.

١٢ ــ كل الرقى مباحة مالم تكن شركا.

١٣ ــ لا يجوز تعلم السحر ولا تعليمه بحال من الأحوال، والذين أباحوا تعلمه من أهل العلم قلة شذت، ولا يجوز الالتفات إلى مذهبهم والعمل به.

١٤ ــ لا يختلف أهل العلم في الحكم على الساحر بالكفر إذا كان سحره من نوع الاستعانة بالشياطين والكواكب والنجوم، ويجب قتله في هذه الحال، أمّا إذا كان سحره بالحيل الصناعية، فإنه يعزر لإفساده عقائد الناس، حيث يوهمهم بسحره بالقدرة على ما لايقدر عليه إلا الله.

١٥ ــ الصحيح أنَّ توبة الساحر قبل القدرة عليه مقبولة، أما عند الله فإن باب التوبة مفتوح، ولا يحجب التوبة عنه أحد.

١٦ ــ لا يعلم الغيب إلا الله، ولا يجوز الاستعانة بأدعياء الغيب من المنجمين والكهان والعرافين، ويجب على الحكام أن يحاربوا هذا النوع من الدجل، ويوقعوا بأهله شتى أنواع العقوبات، وعلى العلماء أن يحذروا المسلمين من اللجوء إلى هؤلاء الدجالين.

١٧ ـ كثير من أدعياء الغيب هم ممن لهم فراسة في الأمور، وبعضهم يكون استعانته بالشياطين.

١٨ ـ على المسلمين أن يتوكلوا على ربهم فيما ينوبهم من مصائب ومشكلات، ولا يلجؤون إلى السحرة والعرافين والكهان، ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾[1].

---

(١) سورة الطلاق : ٣.

المراجع مرتبة على حروف المعجم

١ ـ أحكام القرآن لأبي بكر الرازي. دار الفكر للطباعة والنشر.

٢ ـ أحكام القرآن لابن العربي. مكتبة عيسى البابي الحلبي. ١٣٠٧هـ ١٩٦٧م.

٣ ـ أصل الاعتقاد للمؤلف. المكتبة السلفية ـ الكويت.

٤ ـ أضواء البيان للشيخ محمد الأمين الشنقيطي. مطبعة المدني. القاهرة. الطبعة الأولى ١٣٨٤هـ ١٩٦٥م.

٥ ـ أعلام الموقعين لابن القيم. دار الكتب الحديثة ـ القاهرة. ١٣٨٩هـ ١٩٦٩م.

٦ ـ الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف للمرداوي. مطبعة السنة المحمدية ـ القاهرة الأولى ١٣٧٧هـ ١٩٥٧م.

٧ ـ إيضاح الدلالة في عموم الرسالة لابن تيمية. إدارة الطباعة المنيريَّة ـ القاهرة. الأولى ١٣٤٣هـ.

٨ ـ بدائع الفوائد لابن القيم ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت.

٩ ـ البداية والنهاية لابن كثير. مكتبة المعارف ـ بيروت. الطبعة الثانية. ١٩٧٤م ١٣٩٤هـ.

١٠ ـ بصائر ذوي التمييز للفيروز آبادي ـ طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ـ القاهرة. ١٣٨٣هـ.

١١ ـ التعريفات للجرجاني. طبعة مصطفى البابي الحلبي ـ القاهرة. ١٣٥٧هـ ١٩٣٨م.
١٢ ـ التفاؤل والتشاؤم لنجيب يوسف بدوي. دار المعارف. مصر ١٩٦٨م.
١٣ ـ تفسير ابن كثير. طبعة دار الأندلس ـ بيروت. الطبعة الأولى. ١٣٨٥هـ ١٩٦٦م.
١٤ ـ تفسير الطبري. طبعة مصطفى البابي الحلبي. القاهرة. الطبعة الثانية. ١٣٧٣هـ ١٩٥٤م.
١٥ ـ تفسير القرطبي. طبعة دار الكتب المصرية. ١٣٨٧هـ ١٩٦٧م.
١٦ ـ التفسير القيم لابن القيم. جمع محمد أويس الندوي. طبعة لجنة التراث العربي ـ بيروت.
١٧ ـ تفسير الماوردي. نشر وزارة الأوقاف ـ الكويت. الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.
١٨ ـ التلمود تاريخه وتعاليمه لظفر الإسلام خان. دار النفائس ـ بيروت. الطبعة الثانية ١٩٧٢.
١٩ ـ التنبؤ بالغيب لأحمد الشنتناوي. دار المعارف ـ مصر. ١٩٥٩م.
٢٠ ـ التوراة. طبعة دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط.
٢١ ـ تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب. نشر الرئاسة العامة للبحوث. السعودية.
٢٢ ـ جامع الأصول لابن الأثير. مكتبة الحلواني ومطبعة الملاح ـ دمشق. الطبعة الأولى ١٣٩١هـ ١٩٧١م.
٢٣ ـ حاشية ابن عابدين. طبعة مصطفى البابي الحلبي. مصر. الطبعة الثانية ـ ١٣٨٦هـ ١٩٦٦م.
٢٤ ـ حجة القراءات لابن زنجله. مؤسسة الرسالة ـ بيروت. الطبعة الأولى

١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.

٢٥ ـ حقائق وغرائب لمحمد العزب موسى. مكتبة مدبولي بالقاهرة. ودار زيدون بلبنان.

٢٦ ـ دائرة معارف القرن العشرين لمحمد فريد وجدي. دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت. الطبعة الثانية ١٩٧١.

٢٧ ـ درء تعارض العقل والنقل لشيخ الإسلام. تحقيق محمد رشاد سالم. نشر جامعة الإمام محمد بن سعود. الرياض.

٢٨ ـ الدين الخالص لصديق حسن خان. مكتبة دار العروبة ـ القاهرة ـ ١٣٧٩هـ ١٩٦٠م.

٢٩ ـ رحلة ابن بطوطة. تحقيق د. علي المنتصر الكتاني. مؤسسة الرسالة. الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.

٣٠ ـ الرسل والرسالات للمؤلف. مكتبة الفلاح ـ الكويت.

٣١ ـ روح المعاني للألوسي. إدارة الطباعة المنيرية.

٣٢ ـ روضة الطالبين للنووي ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت.

٣٣ ـ زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي. المكتب الإسلامي. الطبعة الأولى. ١٣٨٤هـ ١٩٦٤م.

٣٤ ـ زاد المعاد لابن القيم. المطبعة المصرية ومكتبتها.

٣٥ ـ الزواجر عن اقتراف الكبائر للهيتمي. دار المعرفة ـ بيروت.

٣٦ ـ السحر لمحمد محمد جعفر. مكتبة الأنجلو المصرية. ١٩٥٨.

٣٧ ـ السحر لإبراهيم محمد الجمل. مكتبة القرآن للطباعة والنشر ـ القاهرة.

٣٨ ـ السحر بين الحقيقة والوهم لعبدالسلام عبدالرحيم السكري. مطبعة دار الكتب الجامعية الحديثة بطنطا ـ مصر ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

٣٩ ـ سنن أبي داود ـ المكتبة التجارية الكبرى ـ القاهرة.

٤٠ ــ سنن الترمذي. تحقيق محمد أحمد شاكر. طبعة مصطفى البابي الحلبي ـ القاهرة. الطبعة الأولى. ١٣٥٦هـ ١٩٣٧م.
٤١ ــ السيرة النبوية لابن هشام. مكتبة مصطفى البابي الحلبي ـ القاهرة. الطبعة الثانية ١٣٧٥هـ ١٩٥٥م.
٤٢ ــ الشرح الصغير إلى أقرب المسالك للدردير. دار المعارف ـ مصر. ١٩٧٤.
٤٣ ــ شرح العقيدة الطحاوية. لمحمد بن محمد بن أبي العز الحنفي. المكتب الإسلامي ـ بيروت ١٣٩١هـ.
٤٤ ــ شرح النووي على مسلم. المطبعة المصرية ومكتبتها.
٤٥ ــ الشفا للقاضي عياض. انظره مع شرحه لنور الدين القاري. مطبعة المدني ـ القاهرة.
٤٦ ــ صحيح البخاري. متن فتح الباري. طبعة السلفية ـ القاهرة. الطبعة الأولى.
٤٧ ــ صحيح مسلم. طبعة دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ الطبعة الثانية ١٩٧٢.
٤٨ ــ عالم الجن والشياطين للمؤلف. مكتبة الفلاح ـ الكويت.
٤٩ ــ علوم الدين الإسلامي لعمر رضا كحالة. مطبعة الحجاز ـ دمشق. ١٣٩٤ ١٩٧٤.
٥٠ ــ غرائب وعجائب الجن، لبدر الدين بن عبدالله الشبلي. مكتبة القرآن ـ القاهرة. الطبعة الأولى.
٥١ ــ فتاوي ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم. جمع وترتيب ابن قاسم. مطبعة الحكومة بمكة المكرمة. الطبعة الأولى. ١٣٩٩هـ.
٥٢ ــ فتح الباري. لابن حجر العسقلاني. المكتبة السلفية. القاهرة الأولى.
٥٣ ــ فتح القدير للشوكاني. دار إحياء التراث ـ بيروت.

٥٤ ــ الفروق للقرافي. دار المعرفة ـ بيروت.
٥٥ ــ الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم.
٥٦ ــ فن الشعوذة الحديثة ـ من مذكرات شارلوك هولمز. تعريب فؤاد واصف طبعة دار الهلال. ١٩٢٣م.
٥٧ ــ فنون السحر لأحمد الشنتناوي. دار المعرفة ـ مصر. ١٩٥٧م.
٥٨ ــ في ظلال القرآن لسيد قطب. طبعة دار الشروق.
٥٩ ــ قصة الحضارة لول ديورانت. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر. الطبعة الثانية. ١٩٥٦.
٦٠ ــ قصة السحر والسحرة للرازي. أخرجها من تفسيره ونشرها محمد إبراهيم سليم. مكتبة القرآن. . القاهرة. الطبعة الأولى.
٦١ ــ القيامة الصغرى للمؤلف. مكتبة الفلاح ـ الكويت.
٦٢ ــ كشاف اصطلاحات الفنون لمحمد علي الفاروقي التهانوي. طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب. ١٩٧٢م.
٦٣ ــ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة. مكتبة المثنى ـ بغداد. الطبعة الثانية ١٩٤٧م ١٣٧٨هـ.
٦٤ ــ لسان العرب. ترتيب يوسف خياط ونديم مرعشلي. دار لسان العرب. بيروت. الطبعة الأولى.
٦٥ ــ نيل المرام. مكتبة المدني ـ جدة. ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.
٦٦ ــ المبدع في شرح المقنع لابن مفلح. المكتب الإسلامي ـ بيروت. الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.
٦٧ ــ المحرر في الفقه لمجد الدين أبي البركات ابن تيمية. دار الكتاب العربي ـ بيروت.

٦٨ ــ المحلى لابن حزم. تحقيق أحمد محمد شاكر. المكتب التجاري للطباعة ـ بيروت.

٦٩ ــ مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية. جمع ابن قاسم. نشر دولة المملكة العربية السعودية. الطبعة الثانية.

٧٠ ــ المجموع للنووي. المكتبة السلفية ـ المدينة المنورة.

٧١ ــ مختصر تفسير المنار لمحمد أحمد كنعان. المكتب الإسلامي ـ بيروت: الطبعة الأولى. ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.

٧٢ ــ معارج القبول للشيخ حافظ حكمي. طبعة الرئاسة العامة لإدارات البحوث. السعودية.

٧٣ ــ المغني لابن قدامة. مكتبة الرياض الحديثة ـ الرياض.

٧٤ ــ المفردات للراغب. طبعة مصطفى البابي الحلبي. القاهرة. ١٣٨١هـ ١٩٦١م.

٧٥ ــ مفتاح دار السعادة لابن القيم. مكتبة صبيح ـ القاهرة.

٧٦ ــ المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني. طبعة مصطفى البابي الحلبي ـ القاهرة. ١٣٨١هـ.

٧٧ ــ المقدمة لابن خلدون. مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني ـ بيروت. الطبعة الثانية. ١٩٧٩م.

٧٨ ــ المقنع لابن قدامة. مكتبة الرياض الحديثة ـ الرياض. ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.

٧٩ ــ مسند الإمام أحمد. المكتب الإسلامي ـ بيروت.

٨٠ ــ منهاج السنة النبوية. مكتبة الرياض الحديثة ـ الرياض.

٨١ ــ الملل والنحل للشهر ستاني. دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت. الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ ١٩٧٥م.

٨٢ ـ الموسوعة العربية الميسرة. بإشراف محمد شفيق غربال. طبعة دار الشعب ومؤسسة فرانكلين.
٨٣ ـ الموطأ للإمام مالك بن أنس. تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي. طبعة كتاب الشعب.

الفهرس

الفصل الأول
تاريخ السحر

الفصل الثاني
تعريف السحر

الفصل الثالث

الفصل الرابع

الفصل الخامس
طرائق السحر وأنواعه

الفصل الثامن
سحر الرسول ﷺ

الفصل التاسع
علاج السحر والوقاية منه

الفصل العاشر
حكم السحر والسحرة

دار النفائس

هاتف ٦٩٣٩٤٠ ـ فاكس ٦٩٣٩٤١

ص.ب ٢١١٥١١ عمّان ١١١٢١ ـ الاردن